المملكة العربية السعودية

نفح العود

في سيرة دولة الشريف حمود

تأليف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي

تكملة

العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ محمد بن أحمد العقيلي

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز

(٢٢)

الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

نفح العود

في

سيرة دولة الشريف حمود

تأليف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي

تكملة

العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ محمد بن أحمد العقيلي

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز
(٢٢)

الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

مما لا ريب فيه ان هناك فترات من تاريخ بلادنا تحتاج الى مزيد من الأضواء . وهذا الكتاب يعالج احدى هذه الفترات . فهو يسجل لإثنى عشر عاما من تاريخ جنوب المملكة وشبه الجزيرة بوجه عام . والظروف التى أحاطت بقيام الدولة السعودية الاولى بوجه خاص . وأثر الدعوة السلفية في المنطقة ..

ومع ان المؤلف يتحامل على الدعوة السلفية . الا ان تحامله هذا لايستشف منه العداء للدعوة بقدر مايستشف منه مجاملته للحكام الذين يؤرخ لهم في ذاك الوقت . ويحاول ارضاءهم .. ومع ذلك فان الكتاب تاريخ لجزء من بلادنا ولفترة هامة تحتاج لمزيد من الاضواء .. ومن هنا كان اهتمام الدارة باخراجه ..

وقد عهدت الدارة لفضيلة الشيخ محمد بن احمد العقيلي بتحقيق هذه المخطوطة . فأجاد وأفاض . وقدم لها بدراسة شاملة للظروف المحيطة بشبه الجزيرة العربية محليا وعالميا ، بحيث تهيئ للقارئ معايشة الأحداث التى ألمت بالمنطقة في ذاك الوقت .. وهى دراسة تستحق التقدير والثناء ..

وقد لاحظنا عتد تهيئة هذا الكتاب للطباعة أن به ثمة أخطاء لغوية في نص المخطوطة لم يعالجها المحقق . وإن اكتشاف مثل هذه الأخطاء لا يخفى على القارئ الفطن .

وحين نقدم هذا الكتاب للقارىء الكريم نأمل ان نكون قد أسدينا جزءا يسيرا من حقه علينا في القاء الاضواء على الفترات التى هى في حاجة لمزيد من الاضواء .. والله الموفق ..

الدارة

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .... وبعد :

فهذا كتاب نفح العود وهو من الكتب التراثية المؤلف بفتح اللام في قسم من الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجرى والذى لا يزال مخطوطاً الى هذا التاريخ مع أنه المصدر الوحيد لفترة من أهم فترات جنوب الجزيرة بصفة عامة وتاريخنا السعودى الأول والنهضة السلفية بصورة خاصة. ومن المهم في نهضتنا الحاضرة احياء كتب التراث وبالأخص ما يتعلق بتاريخنا السعودى في دولته الأولى ونهضته الاصلاحية. فالماضى هو أساس للحاضر وامتداد للمستقبل والأقدار تبرز الرجال الذين يقومون بدورهم التاريخى ونهضتهم الاصلاحية حتى تكشف باذنه تعالى عن نبراس هاد أو قوة منقذة أو طاقة دافعة وهذا كله كان واقعا حقيقة في النهضة الاصلاحية في الدولة السعودية الأولى من اصلاح دينى ويقظة اسلامية ونهضة عربية لم تعرفها الجزيرة العربية بعد العصر الأول .

والشعوب التى تتمتع بذاكرة تاريخية واعية ترى في تاريخها وآدابها ما يشبع احساسها الفكرى وعاطفتها الروحية ويرشحها للمجد والانتشار فالتعليق بالماضى والاعتزاز بالتراث هو من عوامل التطلعات الانسانية والاعتزازات القومية مما يعينها على امتصاص المحن وتخطى النوائب والتحليق فوق عواصف الكوارث بقدرة الله تعالى .

لهذا رأيت أن أقوم بتحقيق ونشر هذا الكتاب الجليل بعد التمهيد بدراسات وتعليقات وملاحظات حول أهم ما ورد فيه عن الدعوة السلفية والدولة السعودية من نقد وتحامل قد يكون اقتضتها ظروف ذلك الوقت أو مجاراة لما

كان ينشر من قبل الدولة التركية المناهضة للدعوة الاصلاحية من الدعايات المغرضة شأن كل دعوة اصلاحية يقاومها الناس لانها في عرفهم تخالف المألوف وتباين ما جبلوا عليه من المعتاد وهكذا شأن كل اصلاح .

وقد قمت بعونه تعالى بالتحقيقات والتعليمات مما سيجده القارىء الكريم فيما يأتى :

تمهيــد :

ويشمل : دراسة موجزة حول ما كانت عليه أوروبا من التأخر . وشأن العرب ودور الجزيرة في الصدر الأول وأهمية البحر الأحمر ـ الطرق التجارية العالمية .

الأفق الدولى :

ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا ـ البندقية ونشاطها التجارى ـ التطلعات للاكتشافات في أوروبا ـ محاولة جنوا لاكتشاف رأس الرجاء الصالح .

البرتغال :

نهضتها الاستكشافية ـ اكتشافها رأس الرجاء الصالح ـ محاولة استغلالها لتجارة الشرق عامة وشبه الجزيرة خاصة ـ نشاطها في البحر الأحمر والمحيط والخليج .

المماليك المصريون :

استصراخ بعض أمراء جنوب الجزيرة وبعض أمراء مسلمى الهند بقنصوه

الغورى من نشاط أساطيل البرتغال في البحر الأحمر ـ اتصال المماليك بالعثمانيين ـ طلبهم أسلحة نارية لمساعدتهم في مطاردة البرتغال من البحر الأحمر ـ المماليك والعثمانيون ـ أول حملة للمماليك لمطاردة الأسطول البرتغالى ـ الاسطول البرتغالى وأسطول المماليك .

العثمانيون والبرتغاليون :

الأسطول العثمانى ومطاردته للأسطول البرتغالى ـ تقدم الأسطول التركى بقيادة سليمان الخادمى ـ وصوله الى جنوب الجزيرة ـ تقدمه نحو عدن والشحر ـ تقدمه الى الهند ـ عودته الى زبيد واستئصاله لبقية المماليك ـ الصراع بين العثمانيين والبرتغال في الخليج .

الهولنديون ونشاطهم التجارى :

أول سفينة هولندية تعبر رأس الرجاء الصالح ـ تأسيس الشركة الشرقية الهولندية في الهند ـ محطاتهم التجارية في (المخا) ـ عدن ـ الشحر ـ جزيرة قشم ـ وصول أول مركب هولندى الى بلاد العرب ـ حصولهم على ترخيص للقيام بشئون التجارة في موانىء جنوب الجزيرة .

الشركة الشرقية الهندية الانجليزية :

وصول سفينتين انجليزيتين الى عدن ـ وصول احدى السفينتين الى المخا ـ مندوب انجليزى يتوجه الى صنعاء ـ شكوك الاتراك ومخاوفهم من صلات الانجليز التجارية في جنوب الجزيرة .

فرنسا وجنوب الجزيرة :

أول بعثة فرنسية تجارية الى جنوب الجزيرة ـ توجهها الى صنعاء ـ التنافس

بين البرتغال والهولنديين والانجليز والفرنسيين ـ الحاكم التركى يبقى كابتن انجليزى تحت الاقامة الجبرية ستة أسابيع .

عدن والانجليز :

الكابتن (بلفير) يزور عدن ـ حملة انجليزية بحرية تطوف أنحاء البحر الأحمر ـ احتلال جزيرة (ميون) ـ عقد أول معاهدة تجارية وسياسية بين أمير عدن وبريطانيا ـ وصول أسطول سعودى الى عدن .

نابليون وحملته :

احتلال مصر ـ طموحاته لقطع المواصلات الانجليزية وتأسيس امبراطورية في الشرق ـ حشد اساطيل الآنجليز في البحر الأبيض للقضاء على حملة نابليون ـ معركة أبى قير ـ سياسة نابليون واتصالاته مع بعض أمراء شبه الجزيرة ـ جلاء الفرنسيين عن مصر .

بريطانيا ودورها الجديد :

بريطانيا ودورها الجديد المباشر في الشرق ـ تربصها لكل نهضة اسلامية عربية في شبه الجزيرة .

محمد على :

دوره المعروف محليا وعالميا في مصر ـ ارتباطاته بسياسة بريطانيا ـ السياسة الأوروبية وأقطابها في ذلك التاريخ .

الحالة في الحجاز :

دخولها تحت التبعية العثمانية ـ الحالة العامة في الحجاز ـ أبو طالب بن حسن

وتوليه شرافة مكة ـ محسن بن حسين وتوليه الامارة ـ ٤٤ أميرا يتولون امارة مكة خلال ١٥٥ سنة بمعدل أربع سنوات تقريبا لكل أمير تخللها من الفتن والثورات المسلحة والسلب والنهب زهاء سبعين فتنة بمعدل فتنة واحدة كل سنتين وفي عهده كان دخول تباشير الدعوة السلفية وسلطان الدولة السعودية إلى قبائل الحجاز .

تركيا وجنوب الجزيرة :

الجراكسة والعثمانيون ـ ثورة الامام القاسم على الأتراك ـ الأتراك وحروبهم في اليمن ـ الحالة في اليمن ـ الفتن والفوضى في اليمن ـ نجاح ثورة الامام القاسم ـ ضعف أحوال أئمة اليمن ـ توزيع البلاد اقطاعيات بين ورثة الامام ـ أمراء صبيا وحلى ـ الدعوة الاصلاحية في جنوب الجزيرة ـ المخلاف السليماني من سنة ٩٢٢ الى سنة ١٢١٣ .

أقوال المؤرخين عن الدعوة السلفية واليقظة الاسلامية :

ما جاء في حاضر العالم الاسلامي للكاتب الأمريكي (لوثروب ستودارد) ترجمة عجاج نويهض الفصل الأول من ص ٢٥٩ حول النهضة الاصلاحية والدعوة السلفية ـ ما ورد في كتاب الشعوب الاسلامية لـ (كارل بروكلمان) ج ٤ ص ١٨ ـ أقوال الرحالة الاسلامي المعروف بالحاج على بكر العباسي ـ قول المؤرخ المصرى (عبد الرحمن الجبرتى) ـ قول المستشرق السويسرى (بركهارت) ـ قول وليم جيفرد بلجريف ـ قول المستشرق (جولد زيهر) ـ قصيدة الشيخ محمد بن اسماعيل الأمير ـ قول المستشرق الاسبانى (ارمانو) ـ قول العالم الأزهرى (أبو الهدى الصعيدى) ـ قول الشيخ ابراهيم محمد الأمير ـ مرثية الشوكانى في الشيخ محمد .

دراسة لمخطوط كتاب نفح العود :

تمهيد ـ المصادر التى اعتمد عليها المؤلف ـ أهمية الكتاب ـ قول صاحب التكملة ـ نظرية المحقق حول تأليف الكتاب والتكملة ـ أسلوب الكتاب ـ اختلاف بين بعض النسخ ـ ملاحظة حول كلمة اليمن والشام في الكتاب ـ ملاحظة العدد ـ تحقيق المخطوط والتعليق عليه ـ اختلاف في النسخ ـ منهج التحقيق .

مؤلف الكتاب :

اسم مؤلف الكتاب ـ مولده ـ أسرته ـ مشايخه ـ عودته الى وطنه ـ وظائف القضاء التى تولاها ـ آثاره الأدبية ـ مؤلفاته ـ وفاته .

صاحب التكملة :

مولده ـ مشائخه ـ خلاصة لما تولى من الأعمال القضائية والعلمية ـ مؤلفاته .

« الحواشي والتعليقات المهمة على المتن »

الامام عبد العزيز بن محمد

مولده ـ نشأته ـ اتصال عبد العزيز بالشيخ محمد ـ طَلَبُه من الشيخ تفسير الفاتحة ـ وصول الشيخ للدرعية ـ ثقة الشيخ فيه واعجابه به ـ ثناء (رينو) أول أوروبى يصل الى الدرعية على عبد العزيز ـ خلافته لأبيه ـ شمول سلطانه لأغلب الجزيرة العربية ـ وفاته ـ صفاته الجسمانية ـ أخلاقه .

الداعية أحمد بن حسين الفلقى :

مولده ـ رحيله الى الدرعية ـ عودته الى المخلاف السليماني ـ الرسالة التى حملها لأمراء وأعيان المخلاف ـ قيامه بالدعوة ـ جهاده ـ اشتراكه في معركة أبى عريش ـ وفاته .

حمود بن محمد :

مولده ـ يفوعته ـ نشأته ـ أول بروز له ـ مخالفته على أخيه ـ اشتراكه ضد الداعية الفلقي وأنصار الدعوة ـ الخلاف بينه وبين أمير المخلاف وابن أخيه علي بن حيدر ـ تولى حمود الامارة ـ معركة أبى عريش ـ دخوله في طاعة السعوديين ـ دخوله في الدعوة ـ غزوه لتهامة اليمن وامتلاكها باسم الدولة السعودية ـ كفاءة حمود ـ دراسة عن شخصيته ـ قتاله ضد امام صنعاء ـ معركته مع عبد الوهاب .

النعامية :

موطنهم ـ رجال العلم منهم ـ مكانتهم الاجتماعية .

ناصر بن محمد بن أحمد الحسنى :

مولده ـ نشأته ـ امارته على صبيا ـ تخليه لابنه عن امارة صبيا ـ سياسته ـ اشارته الى ابنه بالدخول في الدعوة ـ مكانته في الأسرة ـ استشارة حمود له ـ وفاته .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

نسبه ـ مولده ـ نشأته ـ طلبه للعلم ـ تقديم أبيه له في امامة الصلاة ـ دعوته للاصلاح الديني .

منصور بن ناصر :

امارته على صبيا ـ مخالفته مع عمه حمود ـ دخوله في الدعوة ـ اشتراكه مع أنصار الدعوة ـ اشتراكه في معركة أبي عريش ـ رحيله الى الدرعية ـ اشتراكه في معركة السعدية مع عبد الوهاب ـ اختلافه الثانى مع عمه ـ شكواه للامام سعود من عمه ـ وصول لجنة للنظر في الخلاف بينه وبين عمه ـ استمالة عمه له ـ اشتراكه في معركة بيش ـ رحيله الى أبي عريش ـ تفاقم الخلاف بينه وبين عمه حمود ـ رحيله الى مكة ـ الى حاكم محمد على ـ اشتراكه في معركة الملاحة ـ قتله .

على بن حيدر الخيراتي :

مولده ـ نشأته ـ توليه امارة المنطقة ـ مقاومته للدعوة السلفية ـ إختلافه مع عمه حمود ـ تنازله عن الامارة لعمه ـ توجهه الى مكة لمقابلة الامام سعود ـ اختلافه مع عمه ـ اشتراكه في معركة بيش ـ معاودة الخلاف بينه وبين عمه ـ رحيله الى حاكم مكة من قبل محمد على ـ اشتراكه في معركة (الحمة) اقامته في حلى ـ وصوله الى المنطقة مع خليل باشا ـ امارته على المخلاف ـ وفاته .

رد على أقوال المؤلف وتوضيح حقيقة الدعوة :

رد على قول المؤلف دين النجدى ـ رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ توضيح حقيقة دعوته ـ أهم أمور دعوة التوحيد ـ توحيد الربوبية ـ توحيد الالوهية ـ توحيد الأسماء والصفات ـ زيارة القبور ـ التكفير والقتال ـ الاجتهاد والتقليد .

وصول الدعوة الى وادي الدواسر ومنها الى الجنوب :

الدعوة في وادى الدواسر ـ تسرب اشعاعها الى قحطان وشهران وبيشة ثم

عسير - استراتيجية الدعوة - رد على قول المؤلف ومن ذكرتهم يتأولون أن أهل نجد خوارج .

الخوارج :

الخوارج في التاريخ - أصل حركتهم في عهد الامام على - موقفهم في وقعة صفين - موقفهم من التحكيم بين على ومعاوية - انسحاب فرقة منهم الى حرور - تأميرهم لعبد الله بن وهب الراسبى - حملة على عليهم واستئصال غالبيتهم - تفرق من بقى منهم في البلدان - قولهم بالطعن في سلوك عثمان - قولهم بعدم أحقية على للخلافة - بكفر من لا يجاريهم - التبرء من عثمان - الشيخ محمد سلفى العقيدة حنبلى المذهب - يشيد بالصحابة ويقدرهم ويترضى عنهم ويتولى الخلفاء الراشدين الأربعة - اتباعه في موضوع الخلافة والامامة - رأى أهل السنة والجماعة - الخلافة أمر دنيوى - قوله تعالى : أطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم - الحديث اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى - قول الشهرستانى في كتابه الملل والنحل ص ١٢ ليس مسألة من المسائل أسالت الدماء وأثارت النزاع كما أسالته وأثارته مسألة الخلافة - الواقع التاريخى والخلافة - ابن خلدون وقوله : (لم يبق من الخلافة بعد زوال سلطان العرب الا اسمها - قول بعض كبار علماء السنة مثل أبى بكر الباقلانى وبدر الدين بن جماعة ان الامام يلى منصبه إما بالانتخاب أو بالقوة وفى الحالة الثانية يجب أن تؤدى له الطاعة - قول بعض العلماء على ما جاء في الحديث ان الخلافة ثلاثون عاما فقط - تولى الخلافة آل عثمان الأتراك وهم ليسوا من العرب فضلا أن يكونوا من قريش كلمة الشيخ حسن بن عبدالله عاكش ورده على من قال ان أهل نجد خوارج .

هذا عدا حواشى وتعليقات حول بعض الأشخاص والبلدان وتعليقات أدبية ولغوية وتاريخية وعن الانساب وغير ذلك مثل :

١) حاشية مبايعة شيوخ حجة لحمود على الدخول في الدعوة والسمع والطاعة لسعود .

٢) حاشية وصول الدعوة وعامل حمود الى جبل كوكبان .
٣) حاشية حول العداء الشخصي بين عبد الوهاب وحمود .
٤) حاشية حول تقدير جيش عبد الوهاب وحمود .
٥) حاشية حول تحقيق وقعة الملاحة بين حمود والأتراك وصحة تاريخ وفاة حمود .
٦) حاشية حول غزوة نجران وكتاب سعود بن عبد العزيز لأهل نجران .
٧) رسالة تاريخية مرسلة من وزير حمود الى الأمير عبدالله بن سعود .

المحقق

محمد بن أحمد العقيلي

تمهيـــد

ان موجات غزو البرابرة الجرمانيين لأوروبا في القرنين الرابع والخامس محت حضارة الرومان وما آل اليهم من الحضارات القديمة والمعارف السالفة ولم يبق من تلك العلوم الا ما احتفظت به بعض الأديرة من المخطوطات القليلة .

وجاء الاسلام يحمل مشعل النور والهداية فازدادت اوروبا توحشا وعزلة تحت ضغوط الفتوح الاسلامية ولولا وقوف شارل مارتل في وجه الجيوش الاسلامية في (بواتييه) سنة ٧٣٢ هـ ثم صمود بيزنطة سنة ٧٤٣ في وجه الجيش الاسلامى لكان التقاء الجيشين في قلب أوروبا وتمت سيادة الاسلام على أرجاء العالم ومع ذلك بقيت أوروبا المتبربرة غارقة في جهلها وراء مياه البحر الابيض لا تجتاز شواطئها الشرقية وبرغم الفتوحات وامتداد سلطان الاسلام واندفاع عرب الجزيرة جحافل تطوى الأرض وتفتح البلاد فقد استهوتهم الأقطار المفتوحة فلم يعودوا الى جزيرتهم التى انتقلت منها عاصمة الخلافة وادارة الدولة والنشاط الحربى والاقتصادى والادارى أولاً الى دمشق ثم الى بغداد ، فأصبحت الجزيرة في زاوية الظل ودوائر النسيان ومنحنى الاهمال موزعة بين سلطات محلية تحت سلطان الخلافة الاسمى أو تُرسل اليها قيادة وقوة جديدة كما صنع المأمون بارسال ابن زياد أو يقوم في ناحية قصية ثائر كما فعلت الدولة الفاطمية بتشجيع الصليحى لاقامة دولة باسمها أو كما فعل صلاح الدين بارسال أخويه .

أما الدولة الرسولية والتى امتد سلطانها مائتين وأربعين سنة فهى مدد للدولة الأيوبية سياسيا ودينيا وروحيا تحت تبعية الخلافة العباسية اسميا .

لقد كانت شبه الجزيرة بعيدة عن التيارات الأجنبية والأوروبية فلم تعد الاتصالات الحربية وما شابه كالحروب الصليبية الأولى والثانية وما بعدها

وهى اتصالات لها مقاوماتها بالسبق ومناعة الشعوب المتحاربة ضد التيارات والأيديولوجيات .

فالحرب من عادتها أن تفرز مناعات دينية وقومية ضد العدو تقيها وتلقحها بكل أسباب القوة والمنعة والمقاومة ، لذلك لم يكن هناك أى تأثير أو تأثر بين الشرق والغرب ، الا في حدود الأخذ والعطاء المحدود وفي أضيق نطاق .

وكان البحر الأحمر طيلة التاريخ الاسلامى بحيرة عربية خالصة لا يعكر صفوها أو يهدد أمنها غارة أجنبية أو تهديد خارجى حتى جاءت الحرب الصليبية فاغتنم أحد قادتهم (ديشاتيون) الفرصة فاحتل ميناء العقبة ونقل على ظهور الجمال أجزاء سفن فككها في شواطىء فلسطين وأعاد تركيبها في مياه العقبة ثم سيرها من البحر الأحمر سنة ٥٧٨ هـ - ٥٧٩ هـ عاث بها فسادا وأثار بها المخاوف في البحر الأحمر برهة من الوقت حتى قضت عليه قوات صلاح الدين ، ثم ما كان بعد ذلك أثر اكتشاف رأس الرجاء الصالح وطمعهم في احتكار تجارة الشرق عامة والجزيرة العربية خاصة .

كانت تجارة الشرق تصل الى أوروبا عبر طريقين بريين وطريق بحرى .

١ - طريق البر الأول عبر بلاد الخليج فالعراق وسوريا فأوروبا .

٢ - طريق البر الثانى بمحاذاة البحر الأحمر الى الشام فأوروبا .

٣ - طريق بحرى الى السويس ومنها ترحل برا الى الاسكندرية فأوروبا .

وكلا الطريقين ذات تكاليف باهظة ومسافات شاسعة ومسيرات تقطع الأيام والليالى فيها القوافل في حل وترحال مع ما تتعرض له في الطرقات من المهالك والفتن ولكن الأرباح المغرية تتغلب على المخاوف والأخطار ، ولا يقل طريق السويس - الاسكندرية - أوروبا عن الطريقين السابقين خطرا وتكاليفا .

وفي القرن الثالث الذى بلغت فيه الحضارة العربية الاسلامية أوجها تسرب نور حضارتها الى أوروبا بواسطة جامعات الأندلس وصقلية وغيرها فأحيت تلك المعارف العربية سواءً ما استفادتها عن طريق اليونان أو ما استنبطتها

فكان ابتداء عصر النهضة الأوروبية الذى ابتدأ من القرن الرابع عشر الميلادى القرن التاسع الهجرى الى القرن الخامس عشر وهى المدة التى صارت فيها اوروبا نحو الخلاص من نظم الهمجية والحجر الاستبدادى ، واستيقظت من سُباتها العميق وأخذ أهلها من بعد ذلك يتطلعون الى الخروج من شبه العزلة التى كان يحتمها عليهم جهلهم السابق في بيئتهم الأوروبية التى لا يرون وراءها الا البحر كأنه ضرب عليها سورا لا يعرفون ما وراءه أخذت تتطلع الى المجهول وتخوض ما وراء المعلوم للاكتشافات الجغرافية والجرى وراء التوسع في التجارة العالمية والبحث عن طريق المواصلات والطرق البرية والمسالك البحرية الأيسر والأسهل مما يمكنهم من الحصول على الثروات وخيرات الدنيا وريادة وسيادة العالم .

(الأفق الدولى)

كان لـ (جنوا) و (البندقية) نشاط تجارى مع الشرق عبر مصر للأفاوية والتوابل والاحجار الكريمة فالاسكندرية فشبه الجزيرة الايطالية ومنها تتسرب الى أوروبا .

وكان في طليعة دول أوروبا المتطلعة للاكتشافات والفتح (البرتغال) وان كان قد سبقها رجال مدينة جنوا بمحاولات استكشاف الطريق حول أفريقيا وانما كانت رحلاتهم البحرية تؤول الى فناء سفنهم ورجالهم وفي سنة ٨٦٠ هـ ١٤٥٥ م قام بحاران من (جنوا) و (البندقية) برحلة لم يصلا فيها الى أبعد من جزر رأس (فيرد) رأس الرجاء الصالح .

أما أول من تمكن من الوصول الى الأطراف الجنوبية الأفريقية ثم الدخول الى المحيط الهندى فهو برتغالى يدعى (دار فلوميودياز) الذى أكمل رحلته سنة ٨٩٤ هـ - ١٤٨٨ م والذى واجه لدى وصوله الى الطرف الجنوبى لأفريقيا عواصف عنيفة مما حدا به الى تسمية ذلك الرأس برأس العواصف وعندما عاد الى ملك البرتغال وقدم نتيجة اكتشافه وما صادفه من أهوال ووصف للعواصف التى صادفته تفاءل ملك البرتغال بذلك الكشف الذى اعتبره المدخل الى الثروة الخيالية والمجد العريض فسماه تفاؤلا (رأس الرجاء الصالح) .

وبعد عشر سنوات تقريبا وعلى وجه التحديد في سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م أبحرت أربع سفن من البرتغال بقيادة (فاسكو داجاما) فوصلت الى ما سمى رأس الرجاء الصالح ، ثم والت سيرها حتى وصلت (كلكتا) في الهند في ٢٢ مايو سنة ١٤٩٨ م ٩٠٤ هـ ومع الوقت كونت البرتغال لنفسها مستعمراتها المعروفة آنذاك في جزر رأس الرجاء الصالح وغينيا وموزامبيق وأنجولا وسيلان وشبه جزيرة الملايو - وفي الخليج ، واستشرى شرها وأرادت أن تحصر تجارة

الشرق لنفسها وتقضى على سفن العرب والهند وغيرها التى كان منحصراً في نشاطها نقل نفائس الشرق وعروضه فيما بين الهند والخليج والبحر الأحمر ، ثم الى مصر فأوروبا وحصر التجارة العالمية في أساطيلها وأرادوا أن يستعدو لغزو جده والأماكن المقدسة واتخذوا من جزيرة كمران قاعدة بحرية وبنوا فيها حصناً في مدخلها الشرقى لا يزال باقيا آثارها .

عند ذلك ساور الخوف والقلق النصف الجنوبى من شبه الجزيرة وبالأخص ما كانت على الشواطىء وتنبهت دولة المماليك المصرية للخطر الجديد .

ولم يكن في ذلك العهد دولة أقرب الى أمراء شبه الجزيرة إلا مصر الدولة العربية المسلمة التى يترأسها المماليك فأخذ أمراء تلك الجهات كالدولة الطاهرية وأمير المخلاف السليمانى وأمراء الشحر وحكام الهند أخذوا في الرفع وطلب العون من مصر لصد عادية العدو المغير ، فصادف ذلك ما تريده من الاستعداد وللخطر قبل أن يطرق أبوابها .

وكان يدفع مصر للاستجابة الرابطة الاسلامية والخوف من تفاقم شر البرتغال عن موانئها الشرقية على البحر الأحمر من ناحية ومن ناحية أخرى دوافع اقتصادية محضة ، ولأن التجارة العالمية التى كانت ترد الى السويس وتتوزع الى اوروبا عن طريق الاسكندرية عبر البحر الأبيض أصبحت ترحل في السفن البرتغالية عبر رأس الرجاء الصالح الأسرع والأيسر كلفة وآمن طريقا فدر ذلك على البرتغال ارباحا وفيرة ونفوذا عريضا بعكس ما وقع على مصر من كساد وركود حركة وفتور اقتصادى .

في تلك الأثناء كانت تركيا في زخم قوتها وعنفوان نفوذها وكان الطريق البرى قد تأثر بحكم موقف تركيا وحروبها مع أوروبا وفارس وتطلعاتها المستقبلية وما تعده لضم البلاد العربية كسوريا والعراق وغيرها وشبه الجزيرة ، وقبل هذا التاريخ وبوصول طلب المساعدة والنجدة الى ملك مصر والذى لم يكن قد عرف في جيشه الأسلحة النارية وتركيا القوية المسلمة لديها من الأسلحة النارية

من المدافع والبنادق التى تعتبر من أحدث الأسلحة في ذلك التاريخ ما يلزمها، فقد طلب ملك مصر من السلطان العثماني باسم الوحدة الاسلامية والدفاع عنها ونتيجة لما وصله من طلب النجدات طلب منه أسلحة نارية فبعثها السلطان العثمانى الى مصر وكان الأسطول الذى أمر ملك مصر بصنعه جاهزا فشحنه بالجنود وسلحه ببعض تلك الأسلحة وأقلع الاسطول من السويس الى جدة ومنها للمياه الجنوبية للبحر الأحمر لمطاردة البرتغال . وكان ما هو معروف من استيلاء قوات المماليك المصريين على جنوب الجزيرة وتقدم الأسطول المصرى بقيادة حسين الرومى الى جنوبى الهند ثم عدن بدون نتيجة تذكر . كما سنورده مفصلاً .

ومن بعد ذلك التأريخ تطورت الأمور الى الأسوأ ما بين العثمانيين والمماليك المصريين .

لقد كانت هناك خلافات ما بين مصر وتركيا العثمانية وقايتباى المملوك المصرى سنة ٨٨٤ انما لم تطف على السطح كما تفاقمت الأمور في عام ٩٠٤ وتقدمت الوساطة الخيرة من حاكم تونس وغيره وسويت الأمور في عام ٩٠٦ هـ .

وفي عهد قنصوه الغورى سلطان مصر المملوكى تأزمت الأموروزاد النار وقودا استيلاء العثمانيين على بلاد القدرية (مرعش) التى كانت شبه حاجز فاصل بين المملكتين .

فشق ذلك على قنصوه فحمى غضبه وأخذ يستعد لقتال الأتراك واتصل بالعدو التقليدى للعثمانيين شاه فارس لاعلان الحرب من الجهتين على العثمانيين وتقدم هو يقود جيشا لجبا إلى شمال سوريا وتقدم بدوره السلطان العثمانى يقود ما ئة وخمسين ألفا وبعث أسطوله الى الاسكندرية وبوصول قنصوه إلى حلب تقدم بالقوات التركية على (عنتاب) فاستولت عليها عنوة وتقدمت الى مرج دابق القريب من حلب ودارت المعركة التاريخية المشهورة بمعركة مرج دابق والتى انتهت بانتصار الأتراك وهزيمة قنصوه وقتله وبعد أربعة أشهر من ترتيب

أمور الشام تحرك صوب مصر ودخلها فاتحاً وشنق السلطان الجديد (طومان باى) على باب زويلة وبذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية وذلك في عام ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م لقد انضم الحجاز الى السلطنة العثمانية كما انضم بعد ذلك الجراكسة الذين في جنوب الجزيرة اسميا الى السلطان العثمانى إلا أن مقاليد الأمور ظلت في أيديهم فساموا عرب الجنوب الذل والخسف وما أحدثه استبدادهم وسوء تصرفاتهم من ازالة السلطات الشرعية المحلية كالقضاء على الدولة الطاهرية ومؤامرة اطاحتهم بأمير جازان وتدخلهم ضد شرف الدين الذى ساعدهم ضد الطاهريين واستغلال نفوذهم واستيلائهم على أموال الخاصة فضلا عن أموال العامة أحدث كل ذلك شرخاً عميقاً في وجدان الجماهير واهتزازات في تصوراتهم ، وتمردات على واقعهم .

يضاف الى ذلك ما يحمله ذلك العنصر الشركسى من تعصب لعنصرهم وتمزقات في ولائهم وتناقضات في أخلاقهم وضحالة في الاعتقاد وتساهلات في أمور الدين وتعلقات بكرامة الأضرحة وجرأة على التبذل والفساد والفجور كل ذلك أحدث تقلصات في المفاهيم وتمزقات في الأخلاق ، واهتزازات في المشاعر .

واتفق ذلك مع الغزو الأجنبى المسيحى البرتغالى وما يحمله من ترويع وارتباطاته من محاولات وتعهدات لنشر المسيحية فيما استولى عليه من بلاد المسلمين وشراسة الطرق الاستعمارية سواء في شواطىء الخليج أو في شواطىء البحر الأحمر بمصادرته للسفن ومن يختطفهم على الشواطىء أو يأسرهم في السفن فبات الترقب والخوف والحذر المشوب بالترقب المخيف سماة تغشى المجتمعات وتسرى في وجدانات الجماهير متوغلة في داخلية البلاد ، فساد الجهل وعم البلاء .

وأصبحت بلاد شبه الجزيرة على منصة المطامع وليمة شهية تثير الشره وتحفز المطامع الأوروبية التى حذت حذو البرتغال إلى تجارة الشرق فراحت بدورها تحضر لمطامعها المستقبلية سياسيا واستعماريا واقتصاديا .

وبدأ تفاقم الجهل والفقر والعزلة ترين على أرجاء الجزيرة ، وجاء بعد الجراكسة الحكم التركى في سنة ٩٤٥ ـ ١٥٣٧ يسوق الجحافل والأسلحة المدمرة بحجة ضمها الى الخلافة العثمانية وحمايتها من الأجنبى المغير وفرضها العزلة على البلاد بحجة عدم توغل الأجانب الى شبه الجزيرة لحماية الحرمين .

فكانوا في الجنوب أشر من الجراكسة ، وفي الخليج لا يقلون في تسلطهم عن الأجنبى المغير.

لقد أفرزت تلك الارتباطات وأحدثت تلك الانتماءات ، وتركت تلك الطروحات سلبيات في الأخلاق وهزات في القيم وتناقضات في المثل ، وضمور في القدرات وخمود في الطاقات وتقلصات في الولاءات وانحسارات في اليقين وتعلقات بالأوهام وران الجهل على أرجائها والخرافات والأساطير في عقولها .

(تركيا والبرتغال)

وأفرزت رحلات البرتغال المتتالية ثورة في تجارة أوروبا وفوزا سياسيا واقتصاديا للبرتغال فأطلق ملوكهم على أنفسهم لقبا ضخما وهو (سادات الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس) ، وفي سنة ٩١١ هـ ١٥٠٥ م قرر ملك البرتغال عمانويل أن يقضى على السيطرة العربية على البحر والخليج والمحيط الهندى واتخذ الوسيلة بانفاذ مخططه لمحاولة احتلال ثغر عدن وجزر هرمز وملقا ، ولتنفيذ ذلك بعث فرنسيكو ذى الميدا حاكما للمستعمرات في الشرق فاتخذ (الميدا) من (كوش) قاعدة رئيسية ، وكما سبق الاشارة ، أرسلت مصر بقيادة حسين الكردى اسطولا لمطاردة الاساطيل البرتغالية في حوالى سنة ٩١٨ هـ ـ ١٥١٢ م فوصل الى جدة وأخذ في انشاء سور لحمايتها وتحرك بعد ذلك بوقت لمطاردة البرتغاليين في البحر الأحمر ثم تقدم

بعد ذلك الى الهند سنة ٩١٨ وانما لم تتكلل مهمته بالنجاح فعاد الى جده ، فمر على ميناء عدن ـ كما سبق الاشارة الى ذلك .

وفي سنة ١٥٠٩ م ٩١٥ هـ أصبح (البوكيرك) نائبا للملك وتوفى بعد ذلك .

نشط الأسطول التركى في المحيط والخليج وفي أثناء ذلك قامت على البرتغال ثورة في الخليج فأخمدوها بعنف .

وفي سنة ٩٤٥ هـ ـ ١٥٣٨ م تقدم اسطول تركى من مصر بقيادة سليمان الخادم لمطاردة البرتغاليين والقضاء على نشاطهم في البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فوصل الى عدن فـ (الشحر) ومخر المحيط الهندى الى الهند ولمّا لم يحقق أهدافه المحددة عاد الى ميناء زبيد وقضى على الناخوذة أحمد حاكم زبيد الشركسى وعاد الى قواعده .

وفي سنة ٩٥٧ هـ ـ ١٥٥٠ م تحول الصراع بين الأتراك والبرتغال الى الخليج فغزا البرتغاليون (القطيف) ووصلوا الى البصرة ثم جلوا عنها فأرسل الأتراك أسطولا استولى على مسقط وطرد حاميتهم وهاجم جزيرة (هرمز) .

(نشاط الهولنديين)

ظل البرتغاليون متفردين بالنشاط التجارى والحربى في المحيط والبحر الأحمر والخليج بدون منافس وفي سنة ١٠٠٤ هـ ١٥٩٥ م اجتازت أول سفينة هولندية طريق رأس الرجاء الصالح وكان لهم بعض الامتيازات التجارية عن طريق وكلائهم التجاريين وهم في سياستهم على النقيض من سياسة البرتغاليين مع مجاملتهم للحكومة التركية لتأمين مصالحهم التجارية فيما بين الهند وشبه الجزيرة العربية وبسبب ذلك وقعت المنافسة بين الفريقين .

لقد تأسست الشركة الشرقية الهولندية في الهند سنة ١٠١١ هـ - ١٦٥٢ م ولم يكن في ذلك التاريخ لهم حصون أو قلاع أو أملاك ، بل استكفوا بارتياد أربع محطات تجارية هى :

١) المخا ٢) عدن ٣) الشحر ٤) جزيرة قشم

علاوة على علاقات غير مستقرة في الحديدة ومسقط ، وفي سنة ١٠٢٣ هـ ١٦١٤ م وصل أول مركب هولندى الى بلاد العرب في سنة ١٠٢٧ هـ ١٦١٨ م - تقريبا - وصلت بعثة تجارية هولندية الى عدن بقيادة (فاندون بروكه) فلم يسمح لهم بالنزول ، فأبحرت الى الشحر وصار الى (قشم) ومنها الى الهند وفي السنة التالية عاد الى المخا مع سفن تحمل عروضاً تجارية بعد أن مر بالشحر وتم الاتفاق بينه وبين السلطات المحلية أن تأخذ منه ٣٪ ، ثم قابل الامام في صنعاء ولم يتمكن من الحصول على ترخيص بالبقاء في (المخا) .

وانما بعد ذلك حصلت الشركة الهولندية على ترخيص للقيام بشئون التجارة في موانىء جنوب الجزيرة .

(الشركة الشرقية الهندية الانجليزية)

في سنة ١٠١٨ هـ ١٦٠٩ م وصلت سفينتان الى عدن التى كانت تابعة لتركيا ومرتبطة بوالى صنعاء فقد احتلها الأتراك سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م وطردوا منها ثم استعادوها في سنة ٩٥٨ هـ - ١٥٥١ م وبعد حوادث وأحداث رحل (شاربيه) أحد قائدى السفينتين الى (المخا) ومنها الى صنعاء ثم عاد الى المخا بعد أن حصل على ترخيص ببيع بضاعته ولم يحصل على تخفيض في الرسوم فأقلع الى الهند .

بدأت شكوك الأتراك ومخاوفهم تتراكم من الصلة التجارية التى بدأ الانجليز في انشائها في شبه الجزيرة وبالأخص مع جده (باب الحرمين) .

بعد ذلك وصلت ثلاث سفن من شركة الهند الشرقية تقل عددا من التجار فألقى القبض عليهم تنفيذا لأوامر الوالى التركى في صنعاء ، ثم أطلقوا بعد ستة أسابيع .

ومثل الهولنديين وغيرهم وصلت الى جنوب الجزيرة بعثات فرنسية تجارية واتصلت كما اتصل غيرها بصنعاء ، وفي سنة ١١٢١ هـ - ١٧٠٨ م انتهت البعثة الفرنسية من زيارة اليمن وتوجهت الى عدن وذلك في عهد الامام « صاحب المواهب » ، ثم حصل التنافس بين البرتغال والهولنديين والانجليز وبين الانجليز والفرنسيين وكان بعد العراك الدامى الفوز للانجليز بأكبر نصيب ففى سنة ١٠١٨ هـ ١٦٠٩ م واليمن في معارك وتمزقات بين الأتراك والامام القاسم بن محمد وصلت الى شواطىء عدن أول سفينة انجليزية كانت شركة الهند الشرقية الانجليزية رأت أن تباشر الاتصال باسم التجارة مع موانىء البحر الأحمر فأرسلت الكابتن (الكسندر شاربى) في السفينة (اسنشن) فرست في مرسى صيره بعدن فاستقبل حاكم عدن العثمانى الكابتن وبعد المجاملة أبقاه تحت الاقامة الجبرية ستة أسابيع وصادر البضائع التي تقلها السفينة ثم أطلق الحاكم سراح الكابتن فأبحر الكابتن الى المخا وسمح له حاكمها بالقيام بأعمال التجارة كغيره من الأجانب ثم ألقى القبض عليه في سنة ١٠١٩ هـ - ١٦١١ م وصلت ثلاث سفن الى عدن بقيادة أمير البحر (ميدلتين) ثم سار الى المخا فاستقبله الحاكم التركى بالترحاب وقدم له منزلا لاقامته ثم أسره . [١]

---

(١) ان النشاط التجارى في جنوب الجزيرة - في تلك الفترة تضرر بعض الضرر في أول الأمر ثم عرف أصحاب السفن كيف يتدبرون أمرهم في الحيطة والسير في الطرق المأمونة والإلتجاء الى المراسى الأمان ، والتخفى عند اللازم في المضائق والخلجان والسعى ليلاً ، وبذلك كانت السفن العربية والهندية توالى نشاطها التجارى فيما بين الصين والهند وأفريقيا والجزيرة العربية ، وهذا أحد المعاصرين الأوروبيين يورد ما يأتى : =

وفي عام ١٠٢٧ وصل الكابتن (شلنجر) الى المخا فوعده حاكمها بحرية التجـارة ، وبعد انسحاب العثمانيين وفي عهد الامام المؤيد غزت جيوشه (يافع) وتوفى المؤيد سنة ١٠٥٤ هـ ١٦٤٤ م فخلفه اسماعيل المتوكل الذى أرسل جيوشه الى حضرموت واستولى على عدن وانما في عام ١١٤٤ هـ الموافق ١٧٣١ م ثار الأمير العبدلى على رجال الأمام وطرد جيشه من عدن وذلك في عهد المنصور الثانى ثم استعاد الجيش الامامى لحج وعدن ولكن طردمنها في شهر رجب سنة ١١٤٥ هـ - ١٧٣٢ م .

= ويقول : (فان دون بروله) انه في رحلته الثانية سنة ١٦١٦ - ١٠٢٥ هـ وجد في ميناء (المخا) ثلاثين سفينة تجارية بين كبيرة وصغيرة ، هندية وعربية وفارسية . كما وردت قافلة من حلب والسويس مؤلفة من ألف جمل محملة بمائتى ألف ريال ومائة (دوكا) بحرية وبندقية ومغربية ، ونوع المخامل والأنسجة الحريرية وأنسجة ومشقية من الدمكس والبروكار الموشى بالذهب والخوخ ، والقرمز ، ومن الطيوب الزعفران ومن البضائع بضائع نورمبرغ . وقطعت المسافة الى المخا في خلال شهرين لما شاهد من ضمن ما تورده السفن المحملة الى ميناء المخا .

القصدير - الفضة الخام - الجلد المسكونى - الفوه : (عشبة تستعمل للصباغة معروفة في شبه الجزيرة) وكان الفرس والعرب والهنود يقايضون تجار السفن بما معهم من بضائع جلبوها معهم من بلدانهم .

كما رأى خلال مدة اقامته بالمخا - بعدما سبق بعاليه - قدوم اربعين سفينة قادمة من الهند ، وفارس وأفريقيا محملة بالصبر والخزف - وجوز الهند - واللبان - الأنسجة القطنية - والطيب - والعاج - والسكر - والعبيد والاماء - والحرير الطبيعى - والتبلة - والدار صينى - والعنبر الرمادى - والارز - والزنجبيل - والقرنفل - وخشب الصندل - والزباد - والتبغ - وألبان الجوز .

وكل تلك البضائع تتوزع بين جنوب الجزيرة والحجاز ومصر ، وبذلك تكون النظرية التى تقول عن ركود الحالة الاقتصادية قبل وبعد وصول البرتغال ليست كل الحقيقة .

استمرت عدن بعد ثورتها يحكمها امراؤها بالتوارث الى أن توفي أميرها فضل بن عبد الكريم العبدلى سنة ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م وخلفه أخوه أحمد بن عبد الكريم .

وفي عهد هذا زار عدن الكابتن (بلفير) وقد أشار الى ما يعرف منه أن العلاقات حسنة بينه وبين الانجليز ثم زارها المستر (سولت) في سنة ١٨٠٩ .

فأرسلت الحكومة الانجليزية في الهند في سنة ١٧٩٩ حملة بحرية بقيادة أمير البحر بلانت ليطوف بعمارته في أنحاء البحر الأحمر كما أمرت باحتلال جزيرة (ميون) لتجعل منفذ البحر الأحمر الجنوبى تحت طائلها ، وفي سنة ١٢١٩ الموافق ١٨٠٢ م وصل أول سفير بريطانى (السير هوموفيم) الى (المخا) وتوجه من لديه وفد الى صنعاء ليحملوا مشروع معاهدة وانما رفض ذلك المشروع من قبل الامام، وفي سنة ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م وصل (السير هوموفيم) الذى لاقى الصعاب في مهمته الى اليمن وصل الى عدن واستقبله أميرها أحمد عبد الكريم الفضلى بحفاوة وقبل عقد معاهدة بين عدن وبريطانيا .

وتحتوى تلك المعاهدة على سبع عشرة مادة تنص المادة الأولى على العلاقات التجارية والثانية : أن يجعل سلطان عدن ميناءها مفتوحة أمام جميع البضائع الواردة على السفن البريطانية .

وألا تزيد ما يؤخذ من رسوم على البضائع عن ٢٪ بنسبة ما هو مسجل في قوائم البضائع تسرى ذلك لمدة عشر سنوات .

٣ - يمكن للسلطان أن يزيد الرسوم ٣٪ بعد انتهاء مدة المعاهدة .

٤ - حول الرسوم الجمركية والصادرات من حاصلات بلاد السلطان .

٥ - حول الحاصلات التى تدخل لبلاد السلطان من اليمن ويشتريها أحد الرعايا البريطانيين .

٦ - لرعايا بريطانيا كامل الحرية في استعمال ميناء عدن دون ضغط من جانب السلطان ومن نوابه ودون وسطاء ولا دلالين وأن يكون الأمر باختيارهم .

٧ - موافقة السلطان على وجود مقيم بريطاني لرعاية مصالح الرعايا البريطانيين .

٨ - تقضى بتسجيل جميع الرعايا البريطانيين وأن يحمل كل منهم شهادة مسجلة في دار القضاء ودائرة المقيم البريطاني .

٩ - حول امتيازات خاصة للضباط المشرفين على السفن وتجارتها .

١٠ - حول الديون المستحقة للرعايا البريطانيين على رعاية السلطان .

١١ - اعطاء المقيم البريطاني سلطة قضائية .

١٢ - حول محاكمة الرعايا .

١٣ - أن يعطى السلطان الدولة البريطانية مساحة أرض معينة في غرب مدينة عدن بمبلغ من المال وغير ذلك من المواد المذلة والمخجلة .

لا زال الانجليز يحيكون دسائسهم وينصبون شراكهم حول عدن حتى تمكنوا في سنة ١٢٤٥ بارسال قوة من حكومتهم في الهند واستمر الحال على ذلك مع اصطناع الحوادث واستغلال الظروف .

وفي سنة ١٢١٩ - ١٨١٤ وكنتيجة لتلك المعاهدة وصل الى عدن الأسطول السعودى بقيادة (الجوشمى) وكانت ترسو في الميناء سفينة هندية كبيرة ترفع العلم البريطاني فأرسل السلطان عبد الكريم جنداً لحماية السفينة من الأسطول السعودى .

وبدلا من أن يغتنم الفرصة ويتعاون معه ضد الانجليز ، طلب منه أن يغادر الميناء وفي سنة ١٢٥٥/١٨٣٩ م تم احتلال عدن .

(نابليون وحملته)

كان نابليون هو الشخصية اللامعة في أوروبا والمنافس القوى لبريطانيا وأدرك بذكائه الخارق ما أفرزه الواقع بما استفادته بريطانيا من سيطرتها على الهند والخليج بالمعاهدات وعلاقتها مع عدن التى أصبحت وشيكة الوقوع في حبائلها .

كل ذلك دفع نابليون الى تحضير حملته المشهورة للاندفاع الى الشرق والاستيلاء على مصر لتحقيق طموحاته وقطع مواصلات الامبراطورية البريطانية مع مستعمراتها الرئيسية في الهند ومزاحمتها في تجارة الشرق وتأسيس امبراطورية في الشرق على غرار ما طمح اليه الاسكندر من سيادة العالم .

ومصر لها موقعها الاستراتيجى ومكانتها الاسلامية وتعدادها السكانى وخصوبة الأرض كل ذلك كان مدروسا للاستفادة منه .

وأرفق نابليون بحملته الحربية حملة أخرى علمية حشد لها اساطيل فروع العلم والمعرفة في فرنسا للدراسة والتخطيط العلمى والاقتصادى والسياسى .

وقد تمكن من احتلال مصر سنة ١٧٩٨ كما هو معروف في التاريخ فتأججت نار الغيرة والخوف في بريطانيا وأطار صوابها وهى التى قد حشدت أساطيلها في البحر الأبيض للقضاء على تلك الحملة قبل وصولها مصر ففاتها الأمر ووصلت الحملة ونجحت في مهمتها الأولية فأخذت في التهيؤ لضربها الضربة القوية فكانت معركة أبى قير التى قضت على الاسطول الفرنسى وأخذت في ضرب الحصار على مصر والقوات الفرنسية .

ولا زالت وراء ذلك بشتى الوسائل والأسباب حتى جلت فرنسا عن مصر بعد ثلاث سنوات ـ تقريبا ـ تلك الحملة الفرنسية التى كان لها أثرها وتأثيرها على الشرق العربى حضاريا وفكريا وفتحت عيون الشرق على حضارة أوروبا الناهضة وأساليبها ونظمها وادارتها مما جعل ذلك الأثر غير المألوف والتأثير غير المباشر يأخذ طريقه الى الأفكار والأخذ بالأساليب الحديثة الأوروبية .

وأتاحت الفرصة لبريطانيا للتوسع كى تلعب الدور المباشر في سياسة الشرق والتربص لكل نهضة والتآمر على كل قوة عربية أو اسلامية في البلاد العربية عامة وفي شبه الجزيرة خاصة .

وساعدها على ذلك ضعف الدولة العثمانية وتخلخل بنيانها ونجاح محمد على في تمثيل دوره المعروف في مصر محليا وعالميا وارتباطاته الخفية ببريطانيا وسياستها في الشرق والبلاد العربية بما يتفق ومصالحها الاستعمارية مع استفادتها من تبعيته للعثمانيين تسترا من جهة ومن جهة أخرى مواراتها بحفظ التوازن في السياسة الأوروبية التى كان أقطابها النمسا وفرنسا وروسيا وبريطانيا نفسها .

(الحالة في الحجاز)

لقد كانت الحالة في الحجاز منذ دخلت البلاد الحجازية تحت السلطة العثمانية الى قيام الدولة السعودية الأولى ضرباً من الفوضى والفتن والاضطراب والاستبداد والتأخر ، مما لا مزيد عليه [١] .

أما البادية فحدث ولا حرج عن قطع الطرقات والجهل السائد والبعد عن روح الدين والعيش على حساب قطع الطرقات واخافة السبل وغزو بعضها للبعض حتى لكأنما عادت إلى الجاهلية الأولى .

---

(١) أماعن تفشى البدع والشرك واضطراب الأمن واخافة السبل فيكتفى بشهادة كانت لأجنبى هو الرحالة المستشرق (نيبور) سنة ١١٧٧ - ١٧٦٢ - تقريباً حيث يقول مانصه : « الحالة المؤسفة التى آلت إليها المدينتان المقدستان ، تلك الحالة التى أثارت سخط الله ورسوله ، وأغضبت محمد بن عبدالوهاب ، ودفعته للقيام بالاصلاح » إلى أن قال : (ان هؤلاء الأمراء - يقصد أشراف مكة - يصلون بمعاركهم إلى قلب الأماكن المقدسة » الخ ..

وأمراء مكة لا هم لهم إلا استحصال العوائد والتكاثر في المال على بعضهم والترفع على الشعب والتفرد بالحكم وتدبير المهالك لمن اعترض على أحكامهم أو خالف أوامرهم ، ومع ذلك لا يتعدى أمر المتفرد بالحكم قاعدة الامارة ، ومع ذلك له شركاء من اخوانه ينافسونه في الأمر ويقاسمونه المحصلة .

والقاعدة الأساسية التى يرتكز عليها نفوذه ويستمد منها قوته هم جماعة الأشراف الذين لا يتعدى تعدادهم ثلاثمائة شخص يتبعهم مواليهم وصنائعهم .

أما الشعب أو العامة في المدن الثلاث مكة ـ جده ـ المدينة فليس لهم حلٌّ ولا عقد ولا إرادة ولا تصرف فإن تحركوا وهذا نادرا ما يكون سلطوا عليهم أهل البادية فتهتصرهم اهتصاراً بالسلب والنهب والاذلال .

لقد تولى شرافة مكة أبو طالب بن حسن سنة ١٠١٠ فلم يعمر طويلاً فقد اخترمته المنية في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٠١٢ وخلفه أخوه ادريس بن حسن واشترك معهم في الأمر ـ كما هى عادتهم ـ أخوه فهيد بن حسن وابن اخيه محسن بن حسين بن حسن تتوزع الحاصلات بينهم أقساطاً وكأن الامارة ضيعة بستغلها الشركاء ، واختلف ادريس مع ابن أخيه محسن وخرج من مكة مغاضباً وفضل الموقف على (أدريس وفهيد) فيحصل الاختلاف بينهم فيضطر ادريس لاستدعاء ابن أخيه محسن لاسترضائه ليتقوى به ضد فهيد الذى انسحب من المعترك وتوجه إلى تركيا .

ولم يلبث الخلاف أن استعر بين ادريس وابن أخيه محسن وينتهى الموقف بتنازل ادريس وتولية محسن وذلك في سنة ١٠٣٤ .

وتظل الحالة في الحجاز في بحر من الفوضى يتولاها زيد اليوم ويغتصبها منه عمروغداً ، والأتراك يشاهدون المأساة تارة ويشتركون فيها أخرى .

وهكذا استمر الحال إلى وفاة مسعود بن سعيد في سنة ١١٦٥ تولى الامارة في تلك الاثناء نحوأربعين أميراً في خلال مائة وخمسين سنة بمعدل

ـ أربع سنوات تقريبا ـ لكل أمير منهم ، تخللها من الفتن والثورات المسلحة والمعارك الدائرة زهاء سبعين وقعة وفتنة بمعدل وقعة أو فتنة في كل سنتين .

وفي عهد مسعود هذا ظهرت دعوة الشيخ محمد في نجد وامتدت تباشيرها في الحجاز فنرى مؤرخ مكة الشيخ أحمد السباعى يذكر أنه في ٧ رمضان سنة ١١٤٦ (دخل مسعود) مكة ظافراً (ثم يقول بعد أسطر في نفس الصفحة : فقد ثار في عهده بعض بنى حسن في جنوب البلاد وقطعوا طريق التجارة وثارت قبيلة البقوم شرق الطائف فندب لقتال الأولين ابن أخيه محمد .... كما ندب للبقوم غيره فاستسلموا البقوم . فهل كانت ثورة قبائل البقوم نتيجة لوصول تباشير الدعوة السلفية إليهم مبكرا فـ (منير العجلانى أورد في صحيفة ١٢ من كتابه تاريخ الدولة السعودية ما يأتى : (وهناك أمر يستحق التنويه به والتنبيه إليه وهو : ان الوثيقة الأولى تحدد ظهور دعوة الشيخ في نجد في سنة ١١٤٣ وهو ما أغفل تحديده مؤرخا نجد (ابن غنام) و (ابن بشر) .

(تركيا وجنوب الجزيرة)

سبق أن أشرنا أن كانت الدولة التركية قد استولت على جنوب الجزيرة بصفة غير مباشرة من بعد احتلالها مصر وذلك في سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م لأن الجراكسة المصريين أصبح مصدرهم ومرجعهم تحت التبعية التركية وظلوا بين الانقياد والتفلت والانفراط حتى سنة ٩٤٥ هـ وهى السنة التى وصل فيها سليمان الخادم الى شواطئ زبيد وقتل آخر حكام الجراكسة المسمى (الناخوذة أحمد) ومن ذلك التاريخ حكم الأتراك تلك الجهات مباشرة(راجع الفصل الخاص بالجراكسة والفصل الخاص بالأتراك في كتابنا المخلاف السليمانى)، واستمر حكمهم حتى وقت جلائهم الأول سنة ١٠٤٥ .

في أثناء حكم الأتراك وعلى وجه التخصيص في سنة ١٠٠٦ بدأ القاسم بن

محمد لدعوته للامامة واستمر في الظهور والخفاء حتى استفحل أمره واستولى على كثير من الجبال اليمنية وأخيرا أرغم الأتراك على ابرام الصلح معه والاعتراف به كإمام في القسم الأعلى وذلك في سنة ١٠٢٨ وتوفى الإمام القاسم بن محمد في ربيع أول سنة ١٠٢٩ وخلفه أبنه محمد بن القاسم الملقب بـ (المؤيد) وبقى على الصلح مع الأتراك ثم انتقض الصلح فظلت الحرب دائرة الى سنة ١٠٤٥ وهى السنة التى جلى فيها الأتراك عن زبيد بناء على أمر الخليفة العثمانى لما نال الحكومة من ضغوط ولأسباب حروبها في أوروبا ومع الفرس وامتد عليها حكم الامام المؤيد ، وعلى كثير من جنوب الجزيرة من سنة ١٠٢٩ ـ ١٠٤٥ هـ/١٦١٩ ـ ١٦٤٤ م وخلفه أخوه اسماعيل المتوكل الذى بلغت امامته الذروة في حكمهم وشمل سلطانه حضرموت وعدن وقبائلها ، وتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ١٦٧٦ م ، ومن بعد عهد المتوكل بدأ الضعف يعترى دولتهم ببطء وبدأ الاختلاف بين الأسرة والتنافس على الامامة فما تولاها أحدهم الا وعارضه عدد من الأمراء وينشب الخلاف المسلح ولا تهدأ الأحوال ويستقر الأمر لأحدهم الا بعد الفتن والمحن فخلف المتوكل أحمد بن الحسن المعروف (بصاحب الفراس) ولم تزد مدة امامته عن خمس سنوات تقريبا من سنة ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢ هـ/١٦٧٦ ـ ١٦٨١ م وبعده تولى الامامة المؤيد الثانى نفس المدة التى تولاها المهدى وتلاه صاحب المواهب محمد بن أحمد وعارضه خمسة من أسرته وبعد اختلافات وقتال استقر له الأمر واشتهر بالبطش وسفك الدماء والتنكيل بمعارضيه والادعاء بتشجيع العلم والعلماء والظهور بمظهر رجل العلم ودامت امامته ٣٢ سنة ١٠٩٨ ـ ١١٣٠ هـ/١٦٨٧ ـ ١٧١٨ م وكثرت الفتن في عهده وسخط الناس من تصرفاته وخلفه المنصور الثانى حسين بن القاسم من سنة ١١٢٧ ـ ١١٣١ هـ/١٧١٦ ـ ١٧٢١ م واندلعت نيران الحروب في عهده وأطلت الفتن من كل جانب وسالت الدماء غزيرة وفارق أوطانهم العدد الكثير من الناس وتوفى بعد أربع سنوات من توليه فخلفه ابنه القاسم بن حسين ولم يكن عهده بأفضل من عهد أبيه وخلفه محمد بن اسحاق سنة

واحـــدة - تـــقـــريـــبـــا - وتـولاهـــا المنصور الـــثـــاني مـن ١٣٩ - ١١٦١ هـ/١٧٢٧ - ١٧٤٨ م فنازعه محمد بن اسحاق بن المهدى وكان أخوه أحمد بن قاسم أميرا على تعز وما يليها مع (لحج) و (عدن) حدث الشقاق بينه وبين أخيه أحمد القاسم الذي اعتبر نفسه مستقلا عن إمامة أخيه فشبت نار الحروب بينهما وعمت أكثر البلدان ، ونتيجة لذلك ولانصرافهم الى الشقاق والحروب تحررت عدن ولحج من سلطتهم ونال اليمن من أمرهما الخراب والدمار حتى قال فيهما أحد الشعراء :

صنوان قد سقيا بماء واحد والفضل خال من كلا الأخوين
دميا قلوب العالمين فما لها مـن مرهم إلاّ دمُ الأخوين

وكان عصره عصراً تلاشت هيبة الامامة فيه وظهرت بوادر الانحلال والضعف وبوفاته سنة ١١٦١ - ١١٨٩ ورث عرشه ابنه العباس بن الحسين ولم يكن عهده بأفضل من عهد والده . ثم تولى الامامة ابنه على بن المنصور بن العباس من ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م وكان عهده من أسوأ العهود فوضى وعدم استقرار وشبوب نار الفتن وفي عهد هذا الامام امتد زخم الدعوة السلفية وامتد سلطان الدولة السعودية على تهامة اليمن - (راجع الفصل الخاص بالدولة السعودية الأولى بكتابنا المخلاف السليمانى) .

ويقول صاحب تاريخ عدن (..... لم يبق للمنصور في التهائم ذكر) وكان ابنه أحمد يكتب الى السلطان الخليفة من آل عثمان ويستمد منه للقضاء على النهضة الاصلاحية شأنه شأن أشراف مكة ، فوصل يوسف القبطان من مصر بهدايا ثمينة للترتيبات والاتصالات التمهيدية لغزو محمد على للجزيرة العربية .

وفي الحقيقة أنه بعد انتهاء مدة خلفه أصبحت الإمامة روحية أكثر منها زمنية ومع ذلك ليس لها قوة روحية إلا في المناطق التى تعتنق الزيدية من حجة وشمالا الى صعدة مع اضطراب حبل الأمن وشبوب الفتن . أما بقية المناطق

فقد نجد بها الثورات والمخالفات وتذمر الشافعية لما ينالهم من التسلط المذهبى والتعصب الطبقى .

والأسرة الامامية هى كثيرة الاعتراض على من يتولى الإمامة فاذا تولى أحدهم الامامة عارضه الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة ولا تستقيم الأمور نسبيا للمتولى الا بعد فتن وحروب وقتال .

وكان الامام القائم يبارك كل متغلب قوى على ما يتغلب عليه من الجهات كما أن بعض أسرتهم توزعت بعض الجهات اقطاعيات .

هذا فيما بين الأسرة أما غيرهم فالاسماعيلية لها شبه سلطان مستقل على جهاتها وطائفتها كما أن القسم الجنوبى كيافع وغيرها الذى استولى عليها الإمام اسماعيل المتوكل موضع قلاقل ومخالفات وانتفاضات حتى تمكنت ـ بعد ذلك ـ من الانفصال ـ كما سبق الاشارة الى ذلك .

وفي جهات صعدة من هو مستقل منهم بامارتها مع جبال رازخ .

لهذا نرى في سنة ١١٩٩ أحمد بن غالب يفد من الحجاز بعد أن غلب على أمره في امارة مكة ويطلب من الإمام المنصور على النجدة والمساعدة على استعادة امارة مكة ولم يكن لدى الامام من القوة ما يمكنه من مجابهة الأتراك فماطله مدة ويدرك أحمد بن غالب عجز الامام عن مساعدته فيطلب منه مساعدته على تولى منطقة المخلاف السليمانى المتاخم للحجاز أملا في أن يتمكن منه في تدبير أمره على استعادة امارته بقفزة سريعة من المخلاف السليمانى الى مكة متى ما مهد لأنصاره في الحجاز الأسباب والفرصة .

(المخلاف السليمانى من سنة ١٩٢٢ هـ الى ١٢١٣ هـ)

راجع الفصل الخاص بالامارة القطبية وما بعده من الفصول بالعناوين الآتية : (المخلاف في عهد الجراكسة) ـ (أمارة الخواجيين بصبيا) وغير

ذلك من الفصول الى نهاية تاريخنا الحاضر في كتابنا المخلاف السليماني ونرى من الفائدة تلخيص ما جاء في تلك الفصول ولتوضيح الأفق الزمني لفترة ما قبل تأليف كتاب (نفح العود) فتأتى هنا على ملخص ما توسعنا فيه هناك .

في سنة ٩٢٣ هـ امتد سلطان الجراكسة عبر المخلاف السليماني وظل يحكمه حكام منهم مع بقاء بعض أمراء محليين تحت سلطتهم ، بالطبع ، كالأمراء القطبة في جهة الحرث والخواجيين في جهة صبيا ، أما البادية فهي لا سيطرة عليها لأحد .

ثم عندما تسلم الأتراك الادارة من الجراكسة امتد سلطانهم بدورهم الى المخلاف السليماني تحت ادارة حاكم يسمى مديراً يقيم في مدينة أبى عريش مع بقاء سلطة الخواجيين على صبيا والقطبة في الحزون واستمر الحال على تلك الصفة .

— « عسير » —

أما عسير فقد كانت تعيش في جهالة عمياء ، وعزلة تامة ، عن سائر أجزاء الجزيرة بحكم صعود مسالكها وقممها العالية ـ حتى أن من كتب عنها من الرحالة المسلمين كتب كتبا عما شاهده في مكة لبعض أهلها ضمن قافلة بجيلة في رحلتهم الوحيدة بالميرة الى مكة (في الرجبية) ولم تدخل عسير في رحاب التاريخ قبل العهد السعودي الا مرتين : الاولى في فجر الاسلام عندما أسلم صرد بن عبدالله والثانية عند دخولها في الدعوة السلفية ، وبروز ثانى رجل من أبنائها وهو عبد الوهاب أبى نقطة .

(أقوال المؤرخين)

جاء في كتاب حاضر العالم الاسلامى لـ (لوثروب ستودارد الأمريكى) ترجمة عجاج الفصل الأول ص ٢٥٩

في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدنى والانحطاط أسفل درك فأربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاء من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى ، واستغرقت الأمم الاسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فلا يرى في العالم الاسلامى في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركيا وآخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهنا فاشي القوة متلاشى الصبغة ، وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التى هم في حكمها وينشئون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدولة التى خرجوا عليها ، فكان الخوارج لا يستطيعون اخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك فكثر السلب والنهب ، وفقد الأمن ، وصارت السماء تمطر ظلماً وجورا ، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدين يزيدون الرعايا ارهاقا فوق ارهاق ، فغلّت الأيدى وقعد عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين وبارت التجارة بوارا شديداً ، وأهملت الزراعة ايما اهمال .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التى علمها صاحبُ الرسالة الناسَ سجفا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج الى قبور الأولياء

ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الزوايا وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذى فرضه النبى [١] على من استطاعه ضربا من المستهزآت ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الاسلام ، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان .

وفيما العالم الاسلامى مستغرق في همجيته ومدلج في ظلمته ، اذا بصوت يدوى من قلب صحراء شبه الجزيرة ، مهد الاسلام ، يوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان الصارخ بهذا الصوت انما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذى أشعل نار الوهابية [٢] فاشتعلت واتقدت ، واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامى ، ثم أخذ هذا الداعى يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامى القديم والعز التليد فتبدت تباشير ضبح الاصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد الواقعة في قلب الصحراء العربية ، حوالى سنة ١٧٠٠ م وكانت نجد [٣] في ذلك العهد ، على انحطاط العالم

---

(١) فرضه سبحانه وتعالى على من استطاع اليه سبيلا .

(٢) الوهابية لقب يطلقه خصومُ الدعوة على الدعوة واصحابها ، في أول الأمر لقصد تنفير الناس باعتبارها في نظرهم دعوة جديدة في حين انها تدعو الى إحياء ما جاء به الاسلام من نبذ الشرك وترك البدع والتمسك بالتوحيد الخالص ، وصرف العبادة والدعاء والاستعانة والنذر وكل انواع العبادة لله الواحد الأحد .

(٣) كانت نجد كسائر أقطار الجزيرة العربية قد ساد فيها الشرك وتغشتها البدع .

الاسلامى وتدنيه ، أنقى البلدان اسلاما وأطهر الاقطار دينا وقد عرفنا فيما أسلفنا من الكلام كيف كانت تنتقل الخلافة من دور الشورى الى الاستبداد الشرقي وكيف أخذ على أثر ذلك العرب الأحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم الى الصحراء حيث امتنعوا بحريتهم في حرز بلادهم ومواطنهم وصدوا عنهم كل حامل عليهم .

فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحارى الرملية المحرقة والتوغل في فيافيها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على الدوام لكل طامع غريب دخيل ، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكما عليهم ، بل دأبهم دوما الحل والترحال وارتياد المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء ، وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بفضائلهم الدينية لا تشوبها شائبة ، وروابطهم السياسية لا تنفخ في بنيانها ريح ، أما البدو الرحل فالزعامة فيهم لشيوخهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدبير شئونهم ، وأما الحضر في الواحات فالزعامة فيهم على الغالب لشيوخ الأسر العليا منزلة ومكانة ، بيد أن مبلغ ما في أيدى هؤلاء الشيوخ من السلطة المطاعة حق الطاعة انما هى سلطة صورية واهنة ، لا تقوى على الدوام على الوقوف في وجه تيار العادات القديمة والعرف وجل ما استطاع الترك اخضاعه من بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئا من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر ـ أما نجد ، البلاد الداخلية فقد ظلت حرة مستقلة ، وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما ينحدر اليهم من آبائهم وأجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجامعة ، فلذلك ما انفكوا مرة ينعون على العالم الاسلامى سقوطه فيما نهت الرسالة عنه وهم يزيدون استمساكا بالاسلام على أصله وجوهره ولبابه ، وذلك حقا مما يلائم طبائعهم ويتفق مع أمر جهتهم .

وحول ما ورد من أقوال المؤرخين عن الدعوة وصاحبها ، قال كارال بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية تحت عنوان الحركة الوهابية جـ ٤ ص ١٨ ما نصه :

ولد محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ، ما بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ، فنشأ محبا للعلم ، واقفا نفسه على دراسة الفقه والشريعة ، وقصد وفقا للعادة القديمة ، الى عواصم الشرق الاسلامى طلبا للعلم في مدارسها [1] ، وفي بغداد درس محمد فقه أحمد بن حنبل ، مؤسس آخر المذاهب السنية الأربعة ، الذى دافع ، في شدة وثبات عن مبدأ الأخذ بالحديث والعمّاد عليه اعتماداً كليا ضد نزعة الفقهاء السابقين الى الأخذ بالرأى ، ثم انه درس مؤلفات أحمد بن تيمية الذى كان ـ قد أحيا في القرن الرابع عشر ، تعاليم ابن حنبل ، والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به الى الايقان من أن الاسلام في شكله السائد في عصره وبخاصة بين الأتراك ـ مشرب بالمساوىء التى لا تمت الى الدين الصحيح بنسب ، فلما آب الى بلده الأول سعى ، أول ما سعى الى أن يعيد الى العقيدة والحياة الاسلاميتين صفاءهما الأصلى في محيطه الضيق ، ولكنه لم يكد يشجب مظاهر التقديس التى كان يحاط بها سعد ، وهو الولى الخاص بمسقط رأسه العيينة ، ويفرض بين أتباعه القصاص المفروض على الزانية ـ أى الرجم ـ وكان هذا القصاص قد أهمل على الرغم من نص الشارع عليه ، حتى نفى من البلاد وفي سنة ١٧٤٠ التجأ الى محمد بن سعود ، وكان خصما لشيخ العيينة يقيم في بلدة محصنة هى الدرعية الباعدة ست ساعات فحست ، عن العيينة بوصفه شيخا لعشيرة عنزة ، وهناك لقى حفاوة وترحيبا حتى اذا انقضت فترة قصيرة

---

(١) ان اوثق مصدرين محليين يعتمد عليهما الباحث عن سيرة الشيخ واسفاره ، هما كتاب ابن بشر وكتاب ابن غنام لانهما عنيا بالدقيق والجليل من سيرة الشيخ وابن غنام من تلاميذ الشيخ والآخر ولد بعد وفاة الشيخ بست سنوات فقط ويقول الشيخ الجاسر : انهما حرصا كل الحرص على تدوين فضائله ولو كان الشيخ محمد سافر الى بلدان غير التى ذكر لما توانيا في تفصيل ذلك ، أما صاحب كتاب اللمع وغيره ممن قال ان الشيخ زار كل من بغداد ـ كردستان ـ اصفهان ـ الرى ـ قم ـ قرية أبى اياس ـ حلب ـ دمشق ـ القدس ـ مصر فهذا لا تسنده حقيقة .

اكتسبت تعاليمه أنصارا ومريدين ، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره ، وكان ذلك قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليدا للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأكثر بدائية .

وقال الرحالة الأسبانى الحاج على بك العباس الذى وصل مكة سنة ١٨٠٧ ان الحقيقة التى تفرض علي أن أعترف بها أنى وجدت جميع الوهابيين الذين تحدثت اليهم على جانب من التعقل والاعتدال ، وقد استقيت منهم كل المعلومات التى أوردها عن مذهبهم ، الى أن قال : وقد طبق الوهابيون نصوص الشريعة كما وردت في القرآن الكريم تطبيقا مشددا بحماسة كلية ... وقد عمد الى الشرطة الخاصة بالمحافظة على الصلاة الخمس المفروضة في أوقاتها . انتهى .

وذكر الجبرتى في حوادث سنة ١٢٢٣ (انقطاع الحج الشامى والمصرى معتلين بمنع الوهابيين الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك ، فانه لم يُمنع أحدٌ يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع ، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة ، وقد وصلت طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام ، وما قبله ولم يعترض لهم أحد بشيء .

ويقول ايضاً المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى نفسه عن هزيمة جيش طوسون في معركة الصفراء ـ الخيف « فانهزموا جميعا وولوا الادبار ، وطلبوا الجميع الفرار وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم ، فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها وربما قتله ، حتى كانوا من شبه حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول في القطائر يخوضون في البحر إلى رقابهم ، وكانما عفاريت في أثرهم تريد خطفهم .

ولقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع : أين لنا

بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الله ومنهم من لا يتدين ولا ينتحل مذهبا ، وصحبتنا صناديق المسكر ، ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام فريضة ، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذن وينتظمون صفوفا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب ، وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون والشاربين الخمور والتاركين للصلاة والآكلين الربا القاتلين الأنفس ، المستحلين الحرمات . الخ .

قال المستشرق السويسرى (بركهارت) .

(ما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الأولى) .

وقال وليم جيفرد بلغريف الذى نشر قصة رحلته سنة ١٨٦٥ ما نورده باختصار :

(.... قومية عربية تكون قوتها المحركة أمة الوهابيين التى تملك حيوية الأجيال الفتية ، هذا المعتمد الذى كان مؤهلاً لأن يسود ، الذى كان سيصبح مركزه « مكة » المدينة المقدسة) .

(ان الاصلاح لوشيك الحدوث من القفقاس الى رأس زنجبار، ان مائتي مليون مسلم اليوم يتعادون ويتنازعون ويتحاكون ، ولكن المستقبل في غمرة كل ذلك للوهابيين وحدهم .....ولمذهبهم الذى يختفى امامه ألوف الأولياء ، والشيوخ والمتصوفون، وأمام مبادئهم الخلقية يمحى ذلك الانحلال الشرقى المنتشر في أكثر العواصم .

وقال المستشرق (جناس جولد تسيير) ترجمة الدكتور حسين عبد القادر مدير المركز الثقافي بلندن في كتاب « العقيدة والشريعة في الاسلام » ص ٢٣٧ ما نصه :

(من أهم الحركات الدينية الحربية التى قامت بها الأمة العربية تلك التى أثارها في الأزمنة الحديثة في وسط بلاد العرب (محمد بن عبد الوهاب المتوفي سنة ١٧٨٧ م ، فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية ، وقد أقبل عليها بشغف زائد أثار في مواطنيه حركة دينية ، وسرعان ما عظم أثرها وكثر أشياعها وأنصارها ، ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب الى خوض غمار القتال فأحرزت عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها حتى تجاوزت شبه الجزيرة الى بلاد العراق) .

وتلك (الدعوة) هى التحقيق العملى لانتقادات ابن تيمية واحتجاج الحنبلية على البدع المخالفة للسنة التى أقرها الاجماع .

وقد أفضت هذه الحركة الى تأسيس دولة لا تزال مع ما مر عليها من التقلبات الكثيرة والمنافسات والمنازعات الداخلية التى أضعفتها ، لا تزال قائمة في أواسط بلاد العرب وتعد عاملاً ذا أثر قوى في شبه الجزيرة) الخ .

وقد مدحه عالم صنعاء الشيخ محمد بن اسماعيل الأمير بقصيدة غراء نورد منها ما يأتى :

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وان كان تسليمى على البعد لا يجدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح ان سرت ... الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسراك نجداً وأهله ... لقد زادنى مسراك وجداً على وجدى
قفى وأسألى عن (عالم) حلَّ سوحها ... به يهتدى من خيل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادى ويا حبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى من ربنا ورسوله ... فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على حسب الأدلة في النقد
وقد جاء في الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف كما يبدى

وينشر جهراً ما طوى كل جاهلٍ ومبتدع منه فوافق ما عندى
ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى (سواع) ومثله (يغوث) و (ود) بئس من ود
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلَّت لغير الله جهراً بلا عمد
وكم طائف حول القبور مقبل وملتمس الأركان منهن بالأيدى

إلى أن قال :

وحرق عمداً للدلائل دفتراً أصاب ففيها ما يجل عن القصد
غلو نهى عنه الرسول وبدعة بلا مرية ، فاتركه ان كنت تستهدى
أحاديث لا تعزى الى عالم فلا تساوى فليسا ان رجعت إلى النقد

* * * *

وأكفر أهل الأرض من قال انه إله ، فإن الله جل عن الند
مسمى لكل الكائنات جميعها من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وإن عذاب النار عذاب لأهلها سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعُبَّاد عجل السامرى على هدى ولائمهم في اللوم ليس على رشد
تناشدنا عنه نصوص فصوصه تنادى : خذوا في النظم مكنون ما عندى

الخ ... ...

ويقول المستشرق السائح الأسبانى (أرمانو) الذى ساح في بلاد نجد سنة ١٩٢١ م : (ان كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الاطلاق ، فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالاسلام الى عصر صحابة (محمد) وانما ينقصهم للوصول الى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مثقفون . وهم ويا للأسف قلائل في هذه الديار ، كما تنقصهم أيضا الدعاية لأجل إظهارهم على حقيقتهم البريئة الشريفة) .

وقال العالم الأزهرى الكبير الشيخ (أبو الهدى الصعيدى) عام ١٨١٥ ، بعد أن انتهى من مناظرة قامت بينه وبين بعض علماء الوهابيين بأمر (محمد على) والى مصر في ذلك الحين :

(اذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن أيضاً وهابيون) .

وقال عالم اليمن الشيخ ابراهيم بن محمد الأمير في كتابه القيم الموسوم باسم (فتح الكبير المتعال الفارق بين الهدى والضلال) موضحاً طريقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستدل على صحة ما دعى الخلق إليه بما لا يبقى لمنصف بعده ارتياب وانه على طريق الصواب .

وقد رثاه العلامة اليمنى المجتهد الشيخ محمد بن على الشوكانى بقصيدة غراء منها الأبيات الآتية :

مصاب وهَىَ قلبى وأذكى غلائلى ... وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلى
مصاب به الدنيا قد أغبر وجهها ... وقد شمخت أعلام قوم أسافل
لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز أدوار الفحول الأفاضل
إمام الهدى ، ماحي الردى ، قامع العدا ... ومروى الصدى من فيض علم ونائل
محمد ذو المجد الذى عز دركه ... وجل مقاماً عن لحوق المطاول
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل

(دراسة لمخطوط كتاب « نفح العود »)

١ ــ ان الافق الدولى والمحلى سوف أورد عنه بحثا خاصا تحت عنوان (الأفق الدولى والمحلى من سنة ٩٤٥ الى قيام دعوة الشيخ وبالأحرى إلى قيام الدولة السعودية الأولى .

٢ ــ أهمية الكتاب (المخطوط) انه المصدر الوحيد الذى سجل تاريخ ١٢ سنة هى من أحفل وأهم فترة في تاريخ جنوب الجزيرة عامة وتاريخنا السعودى خاصة بالنسبة الى تقدمها وانجازاتها في جنوب الجزيرة وبلوغ زخمها الى باب المندب وما ترتب على ذلك بالنسبة الى ابتداء اهتمامات الدول الأوروبية سياسيا واقتصاديا وحربيا بشبه الجزيرة وما أفرزته الدعوة السلفية من يقظة اسلامية ونهضة عربية ، كانت من معطياتها قيام دولة عربية وحدت أغلب أجزاء شبه الجزيرة في برهة يسيرة من مشارف الشام الى أقاصى اليمن ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربى ، وهى المرة الأولى بعد الصدر الأول تقوم دولة في شبه الجزيرة وتعيد للعرب اسمهم ومكانتهم بعد أن أصبحوا مقاطعات من الامبراطورية العثمانية .

٣ ــ عن التعريف بالمؤلف فقد كتبنا فصلا عنه يُغنى عن ايراد اسمه هنا .

٤ ــ ان المؤلف عايش الأحداث عن قرب بل عايشها فعلا ، ولمركزه العلمى كان بالنسبة الى غيره أدرى وأحوط بما كان يدور في غضون تلك الأحداث وان كان من خفايا السياسة ما يحجب عنه بحكم الوضع والظروف والبيئة .

٥ ــ المصادر التى اعتمد عليها بعد معايشة الأحداث والوقائع هى قليلة وأشار اليها في الكتاب وعن الراوية أو الرواة الذين استفاد منهم .

والكتاب هو خاتمة سلسلة تواريخ ألفها أسلافه للمنطقة في القرن

الحادى عشر الى نهاية عهد حمود مع التكملة إلا أن صاحب التكملة الشيخ الحسن بن أحمد بن عبدالله أشار الى ما يأتى :

١ — أن كتاب نفح العود لم يكتب المؤلف مقدمته .

٢ — انه وقف فيه الى سنة ١٢٢٥ هـ .

اذ يقول صاحب التكملة ما نصه بالاختصار : (انه لما بلغنى أن والدنا وشيخنا الإمام قاضى الجماعة عبد الرحمن بن أحمد البهكلى ألف مؤلفا بديعا في أيام الشريف حمود بن محمد الحسنى لم أزل أبحث عنه ممن أظن أن عنده لذلك خبر ولم أقف له مع ذلك على أثر ، وكنت قد ألفت مجموعة في أخبار أعيان المخلاف السليمانى وسميته الديباج الخسروانى وأثبت فيه من أيام الشريف المذكور ما بلغنى من وقائعه الفخام ، كما تلقيته من الثقات لأن بعض أيامه وقعت قبل ان أبرز الى عالم الوجود ـ ومضى فيه مسجلا الأحداث الى سنة ١٢٧١ ـ حتى منّ الله سبحانه وتعالى بالعثور على ذلك المؤلف الذى سماه (نفح العود) فلما تأملته وجدته قد استكمل مبتدى سيرته لأن تلك الوقائع على عين منه ومسمع ، ولا ينبئك مثل خبير ولكنه جرد أوله من الخطبة كما جرت عادة المؤلفين وبلغ فيه ال سنة ١٢٢٥ وفي طى ذلك وقائع متتابعة وملاحم كثيرة رائعة ، وقد أردت أن أكمل ما فاته من سنين وذكرت ما بلغنى من حوادث لتكملة ذلك المؤلف وبالله الاستعانة ، وعليه التعويل .

ومع صدق لهجة صاحب التكملة ومع ما يعرف به من النزاهة وما يتسم به من الثقة فقد لفت نظرى ما جاء في المخطوط في ص ١٤ قول الشيخ البهكلى : (وهذه مسائل قد فرغ منها ـ شعرا :)

وقد انقضت تلك السنون وأهلها وكـــــأنهم وكـــــأنها أحلام

وما ورد بعده في ص ٢٣ ـ في حوادث سنة ١٢١٧ ـ أى قبل قتل عبدالله ابن سعود وموت حمود وخراب الدرعية وذهاب أهل الدعوة لـ(سبع عشرة سنة) : (وهذا باب لا يفتح الكلام فيه فقد أفضى كل من الأمراء والمأمورين وأهل الدعوة بأسرهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

ومن المعلوم أن كل من أشار اليهم المؤلف هم : (حمود بن محمد وأركان امارته مثل وزيره الحسن بن خالد ثم عبدالله بن سعود وأهل الدعوة قد صاروا الى رحمة الله بعد سقوط الدرعية كما هو معلوم ـ وتبعهم الحسن بن خالد في عام ١٢٣٤ هـ ويتبادر الى الذهن من مضمون تلك الحملتين أن المؤلف ألف كتابه بعد انتهاء أمر كل من أشرنا اليهم .

والذى نراه للتوفيق بين ما هو معروف من نزاهة صاحب التكملة وما تنص عليه الجملتين هو ما يأتى :

١ ـــ اما أن المؤلف سجل تاريخه الى نهاية عام ١٢٣٣ هـ وفقد منه ما فقد فعثر عليه صاحب التكملة بعد عام ١٢٧١ ناقصا وأكمله .

٢ ـــ أو أن المؤلف عندما وصل من تأليف الكتاب الى سنة ١٢٢٥ هـ اشتد عليه المرض الذى لازمه الى سنة ١٢٤٨ هـ فشغله عن كل شيء .

(أسلوب الكتـاب)

ان اسلوب الكتاب من الانشاء المتوسط السهل الميسر وقد يستعمل السجع في غير تكلف كقوله مثلا في ص ٥٥ : (وتبسم تبسم الهزبر الهصور ، وجال جولة الفارس العقور) .

أوكقوله في نفس الصفحة : (ولبث الى غروب الشمس ثم حل به الحمام وسكن الرمس) وهذا كثير من تضاعيف الكتاب .

وقد يستعمل بعض كلمات من الغريب مثل زلاج أو الدخيل ككلمة «بذرق» أو العامية كـ (الجوامك) ص (٢١٨) بمعنى الرواتب أو المقررات الشهرية والسنوية ص ٢١٨ ، ٢٢٥ ويكرر كلمة (الخوض) من خاض الرجل الماء يخوض خوضا والمخاضبة موضع الخوض من الفصيح من خاض في الماء يستعملها مقابل كلمة التفاوض أو التباحث وقد وردت في التنزيل (فذرهم

يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) ينغمسوا في باطلهم ، وخاض في الأمر دخل فيه ويورد لفظ العكسات كما جاء في ص١٩٢ وما بعدها كقوله (وكانت عودته الى عمه من أعظم المسار بعد أن خوفه الناس انه ربما يحصل فيه بعض العكسات ، ولغة : عكس من باب ضرب وعكس عليه أمره رده عليه ، وعكسته عن أمره منعته والعكس رد الشئ الى أوله وكلام معكوس مقلوب وفي الحديث « اعكسوا أنفسكم عكس الخيل باللجم » وعكس تجمع على « عكوس » .

اختلاف

هناك اختلافات بسيطة بين الثلاث النسخ ليست بذات أهمية رأينا الاشارة اليها ، ففى بعضها يسبق دائما لقب الشريف اسم حمود وبعضها يكتفى باسم الشريف بدون الاسم كعلم عليه ، وفي بعض يورد اللقب والاسم وفى البعض يورد الاسم فقط كما أن في النسخة (ح) ص ١١ عند ذكر على بن داحش النعمى ما يأتى : (كان المذكور سيدا فاضلا) وفي نسخة (م) وكان هذا السيد على بن داحش سيدا فاضلا وهو اختلاف بسيط رأينا التنويه عنه .

وفى نفس الصفحة من النسخة (م) وأقبل عرار على دعوة بن عبد الوهاب وفي النسخة (ج) (أقبل عرار على إجابة دعوة بن عبد الوهاب) ، وهذا بالطبع من تصرف النسّاخ أو سبق القلم ، ومثل موجود ما اكتفينا بالبعض عن الكل .

(كلمة اليمن والشام واستعماله لها كجهات)

تتردد كلمة اليمن والشام بدون تحديد دقيق مما يدل على أنه يستعملها كلمة جهة كالجهات الاربع جنوب وشمال وشرق وغرب .

١ ــ يقــول ص ٩ (وقوى أهل الشام على التجمع وخلع طاعة الأشراف) يقصد بأهل الشام ما كان من صبيا وشمالا الى بيش .

٢ ــ جاء في ص ١١٨ (خرج أهل الملحا من قويتهم الى جهة اليمن في حال أنهم تفرقوا في جهة وادى ضمد .

٣ ــ جاء في ص ١٢٦ ، ١٢٧ (تفرق أهل ضمد الى أبى عريش والى جهة اليمن) في حال أنهم تفرقوا في جهة وادى ضمد .

٤ ــ جاء في ص ١٥٤ ما معناه : (وكان هم حمود لو ساعده الامام (ان يتولى قتال أهل الشام ـ يقصد أهل نجد) .

٥ ــ جاء في ص ١٥٨ تعهد (الشائف) للامام بأخذ على حميدة ثم يتوجه بعده الى الشام ـ يقصد بلاد مور وما شمالها .

٦ ــ جاء في ص ١٦١ (وعدنا الى ذكر الشريف حمود ونفوذه من مور الى جهة الشام ، ويقصد وادى خلب في المخلاف السليمانى (منطقة جازان) .

٧ ــ جاء في ص ١٩٥ (وقد استوثق له الأمر في جهة سهام وما خلفه من جهة الشام ـ يقصد بكلمة الشام ما وراء وادى سهام في تهامة اليمن .

٨ ــ جاء في ص ١٩٥ (وانتهى سيرةُ الى مور يترقب انتهاء المدة ويعود الى اليمن أى يعود من مور جنوبا) .

٩ ــ جاء في ص ٢١٠ (أوجبت نفور على بن حيدر بن حمود وفارقه الى الشام) يقصد أنه توجه من مور الى أبى عريش .

١٠ ــ جاء في ص ٢١٩ (بعث حمود ابن أخيه محمد على فارس وصحبه جند من أهل الشام ومن غزاة نجد) . وكان يقصد بأهل الشام أهل المخلاف السليمانى وعسير .

١١ — جاء في ص ٢٢٩ (ثم توجه الشريف حمود الى الشام ـ يقصد مدينة أبى عريش) .

١٢ — جاء في ص ١٤٥ (صالح حمود الامام على أن يرجع له قطعة من بوادى المخا وأن يبقى له هو من حيس الى حدود بلاد الشام . ويقصد بحدود بلاد الشام ـ حدود المخلاف السليمانى الشمالية .

١٣ — جاء في ص ٢٥٨ (ترجح لحشر القحطانى وقومه قحطان الغزو إلى جهة اليمن .. فنفذ الى جهة بنى شبيل ما بين أبى عريش وحرض) .

١٤ — جاء في ص ٢٦٦ جاء ما معناه (سار عثمان المضايفى غازيا الى جهة اليمن فوصل الى وادى مور وانتهوا الى مورد ماء مدينة اللحية وفي عودتهم التقاهم حمود في (بربر) موضع قريب من المضايا .) وهنا يقصد باليمن تهامة اليمن .

١٥ — جاء في ص ٢٨٦ وفي شهر شوال سنة ١٢٣٠ توجه الشريف حمود من قرية مختارة الى الشام ولم يدخل أبا عريش بل أقام معسكره في قرية الجربة شرق أبى عريش وهنا يقصد بالشام جهة المخلاف السليمانى بل أبى عريش وضاحيته على وجه التحقيق .

ان بيان حكم ألفاظ في العدد من حيث التذكير والتأنيث معروف في كتب اللغة وهى على ثلاثة أقسام الأول ما يجرى على القياس ، ويذكر مع المذكر ويؤنث وهو الواحد والاثنان وما كان على صيغة فاعل .

والثانى ما يجرى على عكس القياس فيؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث وهو الثلاثة والتسعة وما بينهما سواء أفردت نحو ثلاثة رجال وثلاث نسوة ، كقوله تعالى : (سبع ليال وثمانية أيام حسوفا) أو ركبت مع العشرة نحو ثلاثة عشر رجلا وثلاث عشرة امرأة .

الا أننا لاحظنا في نسخ كتاب (نفح العود) (المخطوط) ما لا يسير على

هذه القاعدة الصحيحة والمؤلف من رجال العلم وأساطين علم العربية وانما يكون ما وقع هو من تحريف النُّساخ فمثلا ورد ما يأتي :

١ — جاء في ص ١١٤ سنة ستة عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة ست عشرة بعد المائتين والألف .

٢ — جاء في ص ١١٩ سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف .

٣ — جاء في ص ١٣١ سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف .

٤ — جاء في ص ١٣٧ سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف .

٥ — جاء في ص ١٥٠ سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف .

٦ — جاء في ص ١٥٦ سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة ثمان عشرة بعد المائتين والألف .

٧ — جاء في ص ١٥٩ سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة ثمان عشرة بعد المائتين والألف .

٨ — جاء في ص ١٧٠ سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف **والصواب** سنة ثمان عشر بعد المائتين والألف .

٩ — جاء في ص ٢٤٦ سنة أربعة وعشرين بعد المائتين والألف **والصواب** سنة أربع وعشرون بعد المائتين والألف .

١٠ — جاء في ص ٢٥٥ سنة أربعة وعشرين بعد المائتين والألف **والصواب** سنة أربع وعشرون بعد المائتين والألف .

١١ — جاء في ص ٢٦٥ سنة خمسة وعشرون بعد المائتين والألف **والصواب** سنة خمس وعشرون بعد المائتين والألف .

١٢ — جاء في ص ٢٧٧ سنة سبعة وعشرون بعد المائتين والألف **والصواب** سنة سبع وعشرون بعد المائتين والألف .

١٣ — جاء في ص ٢٨٢ سنة تسعة وعشرين بعد المائتين والألف **والصواب** سنة تسع وعشرون بعد المائتين والألف .

١٤ — جاء في ص ٣٠٢ سنة ثلاثة وثلاثين بعد المائتين والألف **والصواب** سنة ثلاث وثلاثون بعد المائتين والألف .

وقد أوردنا في النص كما هو في الأصل واكتفينا بالتنويه والملاحظة هنا على ذلك .

(تحقيق المخطوط والتعليقات)

١ — أوردت النص بكل دقة مع مقارنته على نسختين أخريين هما :

(أ) نسخة منقولة عن نسخة أصلية في حوزة حفيد حمود أبو مسمار (الحسن بن على) والتقيت به في مجلس الامارة ودار الحديث ورجوته أعارتى النسخة فوعد وبعد نحو السنة عاد من اليمن الى جازان وذلك في حوالى سنة ١٣٦٨ ، وتفضل بزيارتى في دارى ومعه النسخة فكلفت من ينسخها وأعدتها اليه وأرمز اليها بحرف (ح) .

(ب) نسخة منسوخة من أصل آخر ، ولم تكن في اتقان النسخة

السابقة ولكن يمكن المقارنة والمقابلة والاستفادة منها نسبيا ، وأرمز اليها بحرف (م) .

(جـ) نسخة منسوخة من نسخة للشيخ حمد الجاسر منسوخة على الآلة الكاتبة وهى بالنسبة الى النسختين أصح وأوضح وقد علمت مؤخرا من الشيخ حمد انها فقدت منه وارمز اليها بـ (جـ) .

وقد استفدت من مقابلتهما ما جعلنى أطمئن الى صحة ما نقلته من النسخة المعلق عليها ، وبعد ذلك قمت بما يأتى :

١ — بدراسة مختصرة عن الأفق الدولى أوروبيا واسلاميا وعربيا - كما ألمحت قبله .

٢ — ترجمة للشخصيات الرئيسية أو المشاركة في الأحداث .

٣ — التعليقات على المهم من القضايا التاريخية .

٤ — بحكم الوضع الذى كان سائدا ضد الدعوة السلفية وصاحبها فقد أوضحت حقيقة الدعوة اسلاميا وعربيا وانصافا لما تقتضيه الحقيقة والواجب .

٥ — لا أحب أن أمّن على القارىء بما بذلته من جهد وما صرفته من وقت في المقارنة بين النسخ وعمل المقابلة والتصحيح فهذا واجب كل من يتصدى لمثل عملى ، من قيامى بما يأتى :

(أ) مراجعة كتب البلدان والجغرافيا ، والتاريخ .

(ب) قواميس اللغة .

(ج) البحث والرجوع الى المصادر التى أوضحت أسماءها .

ومع كل ما بذلته لا ازعم لنفسى السلامة من الزلل أو التوقى من الخطأ والكمال لله سبحانه وتعالى وأرجو من الله التوفيق .

ترجمة لمؤلف المخطوطة
الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن على البهكلى

١١٨٢ - ١٧٦٨/١٢٤٨ - ١٨٣٢

هو آخر بدر طالع في سماء معارف تلك الأسرة ، وخاتمة من عرف من مؤلفيهم ، ولولا مجهود علامة المنطقة في القرن الثالث عشر الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الملقب (عاكش) - كما أفادنا في المقدمة - لكنا قد فقدنا هذا المؤلف الثمين (نفح العود) .

ولد علامتنا النحرير في مدينة صبيا في سنة ١١٨٢ - ١٧٦٨ التى أنجبت من العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء قديما وحديثا العدد الوفير والجم الغفير .

وبعد أن حفظ القرآن الكريم أخذ عن والده مبادىء الفقه والنحو ثم رحل الى بلدة ضمد فتلقى دروس العلم على يد علامة المخلاف السليمانى ومفتيه الشيخ أحمد بن عبدالله الضمدى ، وبعد أن ارتشف من أفاويق علمه ، وعب من معين معارفه ، رحل الى مدينة صنعا طلبا للاستزادة ورغبة في اتمام الاستفادة ، فتلقى عن شيوخها شتى معارف عصره وفي مقدمتهم علامة اليمن الشيخ محمد بن على الشوكانى ، فدرس الفقه والحديث والنحو والصرف والمنطق والمعانى والبيان والأصول والتفسير ويقول عنه شيخ مشايخه محمد بن على الشوكانى : وعاد الى وطنه وقد برع في كل ذلك في أقرب مدة لحسن فهمه وجودة تصوره وكمال ادراكه ... الخ .

ثم ولى وظيفة القضاء في مدينة (بيت الفقيه) في تهامة اليمن في سنة ١٢١١ هـ ، فاتخذها دار اقامة ولحق به بعض جماعته من المخلاف السليمانى فاستوطنوها .

(آثاره الأدبية)

له شعر من النسق الرفيع والطراز المنمق الجميل متفرق في كتب التراجم والأدب والتواريخ ومن شعره في شيخه الشيخ محمد بن على الشوكانى :

فتى لا وحق الله لولا قيامه ببـاب العلى والمجد لم يتـجـدد
وأبـلـج مـا من آلـه وقبـيلـه على قلة السادات من لم يسود
وذو سـلف ما فيهم من مذمم لئيم ، ولا في غيرهم من محمد
وأيمن أن تصدع به الفقر ينقلب غنيا ، وان تصدم بـه النحس يسعد

وقولـــه :

فديتك يا من ألبس الدهر أذرعاً بنظم يروع الجيش عن كل مطلب
نماك الأولى خـطت أسنة ذبلهم سـطـوراً لمحمـر الـنـجيـع المترب
اذا النقع غطى آية الشمس أطلعت أسنتهم شـهـبا على كل شهب

(مؤلفاتـــه)

من أشهر مؤلفاته كتاب (نفح العود) في أخبار دولة الشريف حمود ، وهو كتاب حفظ تاريخ إثنتى عشر سنة تعد من أهم وأحفل سنوات تاريخ جنوب الجزيرة العربية تشتمل على سريان اشعاع النهضة السلفية على المنطقة وامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى على جهاتها ودخول أمير المنطقة حمود بن محمد بن أحمد الخيراتى في الطاعة ثم توسع النفوذ السعودى على تهامة اليمن الى قرب باب المندب بل وصول نفوذها السياسى الى حجة وجبل (كوكبان) فترة من الوقت ، وقد توقف المؤلف في تاريخه الى نهاية عام ١٢٢٥ فاكمله تلميذه الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدى الى سنة ١٢٣٣ - راجع ص ٢٨١ والحاشية عليها .

وله عدد من المؤلفات الضخمة الأخرى نوردها فيما يلى :

١ — كتاب تيسير اليسرى بشرح المجتبى من السنن الكبرى .
٢ — الالتفات معرفة رجال الأمهات .
٣ — الأفاويق بمعرفة رجال المتعاليق .
٤ — كتاب الانساب أشار اليه في ص ٩ من مخطوط نفح العود .
٥ — كتاب في تراجم أعيان القرن الثالث عشر ، أشار إليه في كتاب نفح العود .

ولعل في هذه الكلمة ما يلقى الضوء على حياة عالمنا الجليل تغمده الله برحمته .

ترجمة لصاحب التكملة

(الشيخ الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدى)
(الملقب بعاكش)[1]

عالم المخلاف السليماني ـ غير مدافع ـ في القرن الثالث عشر ولد سنة ١٢٢١ وتلقى علومه على ما ينوف على أحد عشر عالما من علماء المخلاف السليماني حتى استوعب ما لديهم من معارف ثم رحل الى مكة المكرمة ودرس على علمائها ومن ثم عاد الى وطنه ثم والى سيره للطلب والاستزادة الى (بيت الفقيه) ثم (زبيد) فـ (صنعا) فدرس على عالم عصره الشيخ محمد بن على الشوكاني وغيره وعاد الى وطنه وقد استكمل واستوعب جل معارف عصره وكانت عودته في عهد امارة على بن حيدر الخيراتي فاحتفى بصحبته ابنه الحسين بن على بن حيدر الذى كان ينوب عن والده تارة في المخلاف السليماني وأخرى في القسم الشمالى من تهامة اليمن ـ راجع كتابنا المخلاف السليماني الفصلين الخاصين بالأمير على بن حيدر وابنه الحسين بن على .

وعندما توسعت امارة الحسين بن على بن حيدر ، بضمه اليها تهامة اليمن الى ما وراء زبيد ، استصحبه الأمير إلى زبيد ليباهى به علماءها ويبارى به أدباءها ، فكان لعالمنا جولات وصولات في ميدان الأدب والشعر والبيان ـ راجع الدراسة المسهبة عن هذا العالم الجليل في كتابنا (أضواء على الأدب والأدباء منطقة جازان) الجزء الأول ١٤٠٠ .

---

(١) راجع البحث المسهب والترجمة الموسعة في كتابنا « اضواء على الادب والادباء » ص ٣٦ جـ ١ .

وبعد تسلـم الاتراك للبلاد من الحسين بن على وصدور الأمر بترحيله الى الاستانة ثم خُير في المكان الذى يرغب الاقامة به فاختار (مكة) فظل بها الى أن أدركته الوفاة .

وبقى عالمنا في مدينة أبى عريش مناراً للهداية ومدرسة للعلم يؤم داره الطلاب من أبناء المنطقة ومن البلاد المجاورة .

وعندما شمل نفوذ محمد بن عائض المنطقة كان عالمنا محل عطفه وتقديره ، فمدحه بغرر القصائد وألف له رسالة باسم (الدر الثمين في مناقب أمير المسلمين) .

وبعد استعادة الأتراك لجنوب الجزيرة ومن ضمنها منطقة جازان ظل في مدينة أبى عريش على رأس مدرسته مع القيام بالارشاد والإفتاء حتى أدركته الوفاة سنة ١٢٨٩ هـ .

(مؤلفاته وآثاره العلمية)

١ — كتاب روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمى المعانى والبيان) .

٢ — نزهة الأبصار ـ استوعب فيه ما في كتاب (السيل الجرار) لشيخه محمد بن على الشوكانى .

٣ — الديباج الخسروانى في ذكر أعيان المخلاف السليمانى .

٤ — الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك ـ أرجح أنه هو نفس كتاب الديباج الخسروانى .

٥ — حدائق الزهر في ذكر أشباح الدهر .

٦ — عقود الدرر في تراجم القرن الثالث عشر .

٧ — تفسير لآى الذكر الحكيم .

٨ — مجموعة من شعره ومراسلات مجلد .

٩ — آثار علمية وأدبية متفرقة في عدد من مؤلفات عصره .

نفح العود

في

سيرة دولة الشريف حمود

تأليف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي

تكملة

العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش

بسم الله الرحمن الرحيم

... حسن بن خالد ... [illegible] ... بن عون ... [illegible]

واياه بالباقيات الصالحات سلام عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible] بعد ...

الخط ابلاغك السلام والسوال عن حالك ... [illegible] ... كل ... [illegible]

سداد وصال والخطوط التي ... وصلت والمعزية على ... [illegible]

هذه الدار ... [illegible] ... على حسن ... ما عنده ... [illegible]

الله وكان وفاته لعشر مضين من شهر ربيع الاخر فالله المسئول ان

يرحمه ويكرم نزاله فلقد مات ... هذا في ذات الله وكان وفاته

بعد ان جمع الله بيننا وبين اعدا الله من الترك وغيرهم لاربع ... وعشرين من

شهر ربيع الاول واخذ ... [illegible] ... الله من ... [illegible] ... واستولوا على ...

ما جروه من المدافع و... وقتل ... سنان اغا وقتل منصور ...

... ومن ... من اهل الفجور واخذهم الله كما اخذ القرى وهي ظالمة

ان اخذه اليم شديد وقتل من الترك اكثر من الف قتيل فالحمد لله

... صدق وعده ... [illegible]

الله بعد ... [illegible] ... الجنود ... على يدنا وبعد ذلك ...

من العساكر من الجنود الذين جمعهم من اهل الدينار والدرهم رجعوا الى

بلادهم واخذهم الله كما اخذ الترك ومن بعد نفوذهم اغاثنا الله

على جمع شمل المسلمين ... الجميع من عساكر ... على العمل بكتاب

الله وسنة ... [illegible] ... والمعاداة ... [illegible]

وموالاة المسلمين ومعاداة عدوهم وعلى السمع والطاعة في العسر
واليسر ومن بعد ذلك وجهنا المسلمين الى من تبقى من اهل الردة
من اهل وادي شهران من اهل تندحه وقد مر الله جملة قرى
في وادي تندحه وشهران وبلاد عسير [illegible] الخط [illegible]
ملان من اشرار اهل الردة وباشات الترك والخيل التي
بايدي كل من ولى الترك صارت بايدينا واخذنا حلقة من
راينا اخذ حلقته [illegible] وقد عاهدنا [illegible]
بعد ان [illegible] من اراد الله وعاهد جميع شهران [illegible]
[illegible] وعاهد جميع بني بشر وبلاد [illegible] والاسمر وصار
حد المسلمين الى [illegible]
[illegible] على [illegible]
ذكرنا [illegible] والمشايخ الذين [illegible]
المسلمين اكثر من عشرة [illegible]
مستعينون بالله [illegible]
نسال الله الثبات في الامر والعزيمة على الرشد [illegible]
[illegible]

نص المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى قَصَّ فى كتابه أحسن القصص وذكر فيه أخبار الامم السالفة ثم عم فى محكم آياته وخص سبحانه لا أحصى ثناء عليه ، وهو كما اثنا على نفسه ، أجرى أمور العالمين بحكمته على اختلاف نوعه وجنسه ، هو مالك الملك يأتى الملك من يشاء ، وينزعُ الملك ممن يشاء ، من عباده جعل الايام دولاً بين الناس على مقتضى ما جرت به الارادة ، والصلاة والسلام على خيرته من الامم الذى لولاه هو لم تخرج الدنيا من العدم ، من تجملت بسيرته الطروس لكل عارف ، وتعطرت بذكر أيامه المجالس والمواقف ، وعلى آله وأصحابه الذين وقفوا على آثاره وأحيوا بمساعيهم الجميلة مناره .

أما بعد فيقول الفقير الى الله تعالى حسن بن أحمد عبد الله ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ورحم سلفه وأذاقه حلاوة المعرفة انه لما بلغنى أن والدنا وشيخنا الامام شيخ مشايخ الاسلام قاضى الجماعة عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلى قدس الله تعالى روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ألف مؤلفا بديعا في أيام الشريف الذى استوفى شرف النجار واستكمل معانى الفخار سيد ملوك الاسلام وأعظم قطب الاشراف الكرام حمود بن محمد بن أحمد الحسنى رحمه الله تعالى لم أزل أبحث عنه ممن أظن أن عنده بذلك خبر ، ولم أقف له مع ذلك على أثر ، وكان قد ألفتُ مجموعاً في أخبار أعيان المخلاف السليمانى ، وسميته

الديباج الخسرواني ، وأثبت فيه من أيام الشريف المذكور ما بلغني من وقائعه الفخام ، كما تلقيت من الثقات الذى يعتمد على أقوالهم في المقام ، لأن بعض أيامه وقعت قبل أن أبرز الى عالم الوجود ، حتى مَنَّ الله سبحانه بالعثور على ذلك المؤلف الذى سماه « نفح العود في أيام الشريف حمود » فلما تأملته وجدته قد استكمل مبتدى سيرته بعبارة أرق من النسيم ، وأبهر من الروض النظير [١] ، لان تلك الوقائع على عين منه ومسمع ولا ينبئك مثل خبير ، ولكنه جرد أوله عن الخطبة كما جرت عادة المؤلفين في السير وبلغ فيه الى سنة خمسة وعشرين بعد المائتين والألف وعاش بعدها الشريف حمود إلى عام ثلاثة وثلاثين بعد المائتين والألف وفي طى ذلك وقائع متتابعة وملاحم كثيرة رائعة وقد أردت بعون الله أن أكمل ما فاته من السنين ، وذكرت ما بلغني من الحوادث عن علم ويقين ، لتكمل فائدة ذلك المؤلف الجليل وبالله الاستعانة وعليه التعويل ، وهو حسبى ونعم الوكيل قال شيخنا بلَّ الله بوابل الرحمة ثراه ما لفظه وقد اردنا نقل الكتاب الواصل الى هنا لانه لا يخلو من فائدة لانا سنذكر ما تسبب عنه من اختلاف الناس بسببه وما جرى بينهم من اجله وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز بن سعود [٢] الى من يراه من اهل المخلاف السليماني خصوصا

---

(١) الصحة : النضير بالضاد ، لا بالظاء ، وهو جبل مخضر الجنبات تابع لليمن الشقيق .

(٢) عبدالعزيز بن محمد بن سعود ١١٣٣ - ١٢١٨ - ١٧٢٠ - ١٨٠٣ ولد في بلدة الدرعية قاعدة إمارة أبيه محمد بن سعود وتعلم القراءة والكتابة مبكرا وكان له من =

= مجلس والده وما يدور في شئون البلدة وما جاورها وأحوال نجد ما يعد كمدرسة لمن هو في ذكائه ومنشئه ، وفى حوالى الخمس عشر من سِنِّهِ كانت عودة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من الحريملاء الى العيينة وقد شاعت دعوته وسطع اسمه وذاعت دعوته وطرقت أسماع أهل الدرعية وقبلها البعض مثل عميه الأميرين ثنيان ومشارى وعبد العزيز نفسه وآل سويلم ، وكتب عبد العزيز للشيخ يطلب تفسير سورة الفاتحة وكتب الشيخ لأجل ذلك التفسير المعروف المثبوت بتاريخ ابن غنام .

وبعد وصول الشيخ الى الدرعية واتفاقه مع محمد بن سعود ، كان عبد العزيز من الملازمين لحلقة الشيخ والحضور لتلقى دروسه فتوسعت معارفه واستفاد علميا مما جعله من نجباء من تلقى عن الشيخ وقد حاز على ثقة الشيخ وحبه واعجابه ، وكان الشيخ يثنى عليه في مجالسه العامة والخاصة وينوه بمزاياه ويشيد بتقواه وشجاعته .

ويفيدنا (رينو) الذى هو أوروبى يصل الى الدرعية ، ويُقابل عبد العزيز ، بجملة مختصرة وانما على اختصارها واسعة الدلالة ، اذ يقول : انه على حظ كبير من الثقافة والعلم .

وبدأ عبد العزيز منذ وصول الشيخ وتأسيس الدولة في الاشتراك مع أبيه محمد ابن سعود في ادارة الأمور وتولى قيادة الجيش .

وعندما توفى والده محمد بن سعود كان عبد العزيز في السادسة والاربعين من العمر ولم يكن في الأسرة من هو أقدر على ادارة الأمور وأحق بخلافة أبيه منه فبايعه الخاصة والعامة من أهل قرى العارض التابعة لامارة الدرعية والشيخ محمد هو رأس تلك البيعة فقام عبد العزيز بالأمر والدعوة واستطاع بحنكته وحسن ادارته وتفوق قيادته أن يستولى على الرياض في سنة ١١٨٧ هـ بعد حروب دامت ٢٧ سنة وكان ذلك الاستيلاء على الرياض نصرا مؤزرا ونجاحاً للدعوة السلفية وقد ترتب على ذلك انضمام العارض برمته والدخول في الدعوة وقهر وهزيمة أكبر خصومها وأقوى معارضيها في نجد أمير الرياض « دهام بن دواس » فانهارت المقاومة في نجد إلا القليل وذلك بعد مضى سبع سنوات من ولاية عبد العزيز .

وبحسب عبد العزيز أن يكون مؤسس دولة اسلامية عربية حرة مستقلة شمل سلطانها الجزيرة العربية ما عدا بعض الجيوب في اليمن وعدن وعمان ، وقد استمر عهده تسعة وثلاثين سنة بعد أن شمل :

١ - بلاد نجد ، ٢ - الاحساء ، ٣ - جبال شمر ، ٤ - عسير ، ٥ - المخلاف =

الاشراف أولاد محمد بن أحمد ، حمود [1] وناصر [2] ويحيي وسائر

= السليماني ، ٦ ـ جبال الحجاز ، ٧ ـ تهامة اليمن ، ٨ ـ بلاد القواسم ، ٩ ـ عمان ، ١٠ ـ البحرين .

توفى شهيدا في مسجد الطريف بالدرعية وهو ساجد في أثناء صلاة العصر في العشر الأواخر من شهر رجب عام ١٢١٨ هـ .

صفاته الجسمانية

وصفه المستشرق (رينو) بأنه رشيق القوام نحيلا وكان حين قابله في نحو الستين من عمره ـ كما يقول ـ رينو نفسه .

أخلاقه

وصف بالتدين والشجاعة والحزم والتروى في الأمور والبعد عن روح المغامرة والميل الى المهادنة .

(١) حمود بن محمد بن أحمد الخيراتي ولد سنة ١١٧٠ ـ ١٧٥٦ وتوفى سنة ١٢٣٣ ـ ١٨١٧ توفى والده الأمير (محمد بن أحمد) سنة ١١٨٤ هـ وابنه في الرابعة عشر من عمره ، فعاش في رعاية أخيه الكبير (أحمد بن محمد بن أحمد) الذى آلت اليه الامارة ، والمعروف أنه لم يحصل على قسط من التعليم ما عدا التربية الارستقراطية وتمارين الفروسية ، والاحتكاك بكبار رجال الأسرة وكفى بالدهر مدرسة وبالزمان مؤدبا .

وترعرع وشب في دوامة الفوضى والاضطرابات ، وتدحرج في الامارة بين اخوانه تدحرج الكرة بين أقدام اللاعبين يتولاها هذا فيعارضه الآخر ويغتصبها منه ، وما يلبث أن يعارضه ويقاومه ثالث ، ومرتزقة أيام يوالون الأول ظاهرا ويمالئون الآخر خفية حتى ينصب ما مع الأول فيميلون مع الثاني بعد أن يأخذوا منه العهود والوعود ، فاذا وفى لهم أملوا عليه مطالب جديدة ، فان قبلها فهو لا يستطيع الوفاء بها ، وان رفضها ناصبوه العداء وفي كلا الحالتين فالبديل من اخوانه جاهز وفى خلال ٢٧ سنة ـ تقريبا ـ تناوب على مركز الامارة خمسة على الوجه الآتي : =

=

١ ـ تولاها الأمير أحمد بن محمد على فترات متفاوته ثلاث مرات .
٢ ـ تولاها الأمير حيدر مرة واحدة .
٣ ـ تولاها الأمير الحسن بن أحمد مرة واحدة .
٤ ـ تولاها الأمير على بن محمد مرتين .
٥ ـ تولاها الأمير يحيي بن محمد مرتين .
٦ ـ راجع كتابنا المخلاف السليماني ، الفصل الخاص بآل خيرات ، وحمود يشاهد الأحداث عن كثب أو يشارك بصورة غير مباشرة .

واستمر في الخلفيات وفى زاوية الظل حتى سنة ١١٩٥ وقد بلغ الخامسة والعشرين من العمر .

في تلك السنة خرج حمود واخوانه ـ بشير ـ منصور ، وابن أخيهما محمد بن حيدر ومعهم غيرهم من أبناء الأسرة ، معارضين للأمير أحمد بسبب قطع مقرراتهم فعاثوا في الطرقات بالنهب والسلب وقتلوا بعض أهل (الدور) ، واستولوا على قافلة لأهل أبى عريش وصبيا .

ونرجح أنه بعد ذلك انصرف الى الزراعة فأحيا مساحات في وادى تعشر وخلب ، وصرف اهتمامه الى تثميرها واستثمارها ، وسهل له مكانته ونفوذه ايصال مياه السيول اليها صيفاً وشتاء ، ولم تكن بتلك الجهات مزارع تذكر الا أقل من القليل ، يؤمن لها السقى والحماية ، والبذور الجيدة والأيدى العاملة ، فأقام في أطرافها حظائر لخيله ومساكن لمواليه ، وأشرف عليها بنفسه .

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ثم نجد اسمه يطفو للمرة الثانية على صفحات الأحداث في حوادث سنة ١١٩٦ في محاولة علي بن مطاعن الخواجى الثورة على أخيه عامل صبيا (ناصر بن محمد) الذى كتب الى سائر إخوانه يستنجدهم وتوجه حمود ومنصور ومحمد بن حيدر لنجدته ضد ابن مطاعن الذى خرج من صبيا فارا فهدموا داره وانتهكوا حرماته ، وكشفوا عوراته ، وبذلك استقرت الحالة في صبيا لأخيهم ناصر .

وفي سنة ١٢٠١ ورد اسمه في الفتنة التي وقعت بين أخويه الأميرين على ويحيي ابني محمد ، فقد ورد اسمه في الترتيب الثاني بعد اولاد أخيه الأمير المتوفى أحمد بن محمد . =

= وجاء ذكره للمرة الثالثة في كتاب نفح العود أنه لما منع الجعافرة الداخلين في الدعوة السلفية (الخارص) من تقدير زكاة ثمرة زراعتهم جمع الأمير على بن حيدر من لديه من الجنود من يام وغيرهم وعزم على غزوهم في ديارهم وكتب لعمه (حمود) في جهة وادى تعشر يستدعيه للاشتراك بنفسه وجياده للوصول اليه في « الحجرين » وعند وصوله اسند اليه قيادة الميمنة .

لقد لعب حمود دوراً ايجابيا وحربيا وسياسيا في انجاح تلك المعركة طغى على اسم ومكانة الأمير الفعلى ابن أخيه على بن حيدر ، وبما أن أسرة آل خيرات جميعهم تعاونوا وتكاتفوا وأعطوا كل مجهود ومال للفوز في تلك المعركة التى يترتب على نتيجتها بقاؤهم كأسرة حاكمة وطبقة لها مميزاتها ولها مجد الامارة وصولة السلطة ، الا أن حمود :

١ ـ بَرَزَ كقائد أسهم في تلك المعركة لتحقيق النصر كألمع شخصية ظهرت على المسرح .

٢ ـ احتوى على اعجاب وتقدير أغلب أمراء الأسرة وجماهير العامة .

٣ ـ ظهر كقوة حربية في الميدان لها ثقلها ورصيدها بين الخيل والموالى والاتباع تضارع قوة الأمير الفعلى نفسه .

٤ ـ شعر حمود تلقائياً بقوته المادية والأدبية ، وقدرته على التصرف بطريقة أفضل من الأمير المتربع على كرسى السلطة .

٥ ـ شعر هو وشعر الناس أنه قدم ضريبة للمجد بفقده شقيقه وأقرب الناس الى نفسه أخيه مسعود بن محمد ، الذى هو القتيل الوحيد في الأسرة في تلك المعركة .

٦ ـ أفرزت تلك المعركة خلفيات في صالح حمود لم يكن يؤملها قبلا .

وبعودتهم الى (أبى عريش) بل قد يكون من معسكرهم في الحجرين أخذ في توظيف تلك العطاءات لاحتواء ميول الأسرة واعجاب الجند .

ومن المعسكر شعر (على بن حيدر) بتفوق عمه ، وزخم طموحاته ، والطروحات الجديدة التى طرأت ووظفها حمود لمصلحته وأخذ يمهد لوثبته ، ويحضر لقفزته ، وعاد على بن حيدر الى قاعدته مدينة أبى عريش مع جنده واخوانه ومن بينهم حمود .

وفي أبى عريش احتدم النزاع بينهما ، وأخذ مظهرها علينا يترجح فيه جانب حمود ، وعلى بن حيدر لديه كفاءة القائد وشجاعة البطل وليس له صفات =

= السياسى البارع وموهبة الدهاء لهذا أخذت ضغوط عمه تحتويه وتقلص نفوذه ومكانته حتى أرغمته على التخفى في قصره والانزواء في داره والوقوف من الأحداث موقف المدافع ، وبعد ثمانية أشهر من الحرب النفسية وظف خلالها حمود كل قدراته أعلن الحرب على ابن أخيه المنعزل في قصره والذى قد اجتواه كل جنده وأهل المدينة ما عدا خاصته من اخوانه وبعض المخلصين من خاصته .

في تلك الأثناء امتد زخم تيار الدعوة في قوة واندفاع من درب بنى شعبة الى حدود مدينة صبيا .

أما الجعافرة وخلفاؤهم من الطمحة والشواجرة والمقارية فهم قد احتوتهم الدعوة ، وازاء الموقف المتفجر من صبيا وجنوبا الى حدود المنطقة من الجنوب ، وما يسودها من تمزقات واضطرابات ، تنازل علي بن حيدر عن الامارة لعمه حمود .

وما وقع من مقدمات وخلفيات بعد هذا نجده قد تبناه المتن الى سنة ١٢٢٥ .

ظل حمود تحت طاعة الامام عبد العزيز وباسمه وبمن أرسلهم من الغزو لمساعدة حمود مع من جندهم حمود من مرتزقة.فتح حمود ما فتح من تهامة اليمن وجبالها الى أن توفى عبد العزيز سنة ١٢١٨ فبعث وفداً الى الدرعية للتعزية واعطاء البيعة للامام الجديد سعود بن عبد العزيز وكتب له سعود باستمرار ولايته على المخلاف وما استولى عليه من تهامة اليمن وأمده بغزو أهل نجد ومن يليهم فنشط حمود وفتح زبيد ثم المخا وبواديه الى قرب باب المندب .

وبذلك أصبحت شواطىء البحر الأحمر الشرقية من قرب العقبة الى المندب تحت سلطة الدولة السعودية ، كما أنه من الناحية الأخرى توهج اسم حمود وأصبح معروفا في خارج الجزيرة العربية كاسم (أبى نقطة) فان بواخر البرتغال والانكليز والهولنديين والفرنسيين كانت تغشى ميناء المخا للاتجار ونقل ثمرة (البن) .

ويقول الشيخ محمد الشوكانى في كتـاب البـدر الطالع في ترجمة حمود (ان حمود دخل في الدعوة) النجدية في سنة (١٢١٧) الى نهاية سنة ١٢٢٣ وانه غـزا البلاد الامامية من اللحية الى حيس وانه فسد ما بينه وبين الدرعية الى أن يقول : وقد جرى بينه وبين الجيش الامامى وقائع .وفي سنة ١٢٢٤ وقع الصلح بينه وبين إمام صنعاء باطلاع الشوكانى نفسه ، على تثبيت حمود على ما قد صار تحت يـده من البـلاد . استمر حمود في مخالفته على الدولة السعودية من أول سنة ١٢٢٤ الى أول سنة ١٢٢٦ والغارات تترى على حمود ، وقارن هو بين ماضيه في =

انتمائه الى السعوديين وحاضره بين الغارات من الشمال ومصانعته لامام صنعاء في الجنوب مع ما استنزف موارده للمرتزقة من همدان ويام ، وتنازلات عن مكاسب النهضة الاصلاحية في جهة « المخا » وغيرها فاتصل بأمير صعده الذي قام بالوساطة لعودته الى طاعة الامام سعود ، ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين الامام ولم تزل الحرب ثائرةً بينه وبين الامام الى تحرير الترجمة سنة ١٢٢٩ وحمود مستمر على الانتماء الى صاحب نجد ومات سنة ١٢٣٣ ولا يستطيع أحد أن يجحد كفاءة ومقدرة حمود أبي مسمار سواء السياسية أو الادارية أو الحربية فهو ولا ريب ألمع امراء أسرته وأسطع اسما واشيع ذكرى ، وانما يتساءل المرء بطبيعته عن مسببات النجاح وأسباب الفوز فهي أمور - بعد توفيق الله - لها مهيئاتها في الانجازات الكبيرة لا تكون وليدة الطفرة أو ربيبة الارتجال وقد كان أسلافه من والده محمد بن أحمد مؤسس الإمارة ، ثم من تعاقب عليه من اخوانه لهم سياستهم المرسومة وخططهم المعروفة حتى لا تكاد تكون طبعة متتالية وخطة متوارثة فقد تتميز من شخص لآخر بالقوة والضعف في التصرف البسيط ضمن امارتهم المحدودة .

ومع أنهم منذ حصولهم على المباركة والتفويض والموافقة على طلب بعض رؤساء المنطقة بتنصيب أول شخصية منهم من امام صنعاء ، فقد صاروا على ما يأتى :

١ - الاستعانة بمرتزقة من غير أهل المنطقة التي يتولون أمرها فالمؤسس الأول استعان بكتيبة من مرتزقة الشحر في أول أمره وبعدها استعان بمرتزقة من قبائل يام .

٢ - قبل حمود لم تقف على اسم شخصية بارزة من أبناء المنطقة تولت وزارة أو قيادة أو امارة اللهم الا أندر من النادر .

٣ - الاعتزاز والترفع عن مخالطة الشعب وهذا ما يلمسه القارىء في الكتب المخطوطة المعتنية بتاريخهم .

٤ - ان امارتهم التفويضية اسميا لا تعدو المنطقة الى الواعظات من تهامة اليمن أما البلدان المعروفة التى على السواحل أو في داخلية البلاد مثل بلدة مور أو اللحية أو الزيدية أو غيرها فلم تطولها امارتهم .

ان الشخصية الذكية تستفيد من ظروفها وبيئتها وسياسة عصرها استفادة تختلف قوة وضعفا بحسب الاستعداد الشخصى للمستفيد .

فنرى حمود يستفيد أولاً من مواقف دعاة الدعوة والدولة السعودية وتظهر كفاءته الحربية وقدرته الفكرية بحيث يصبح الشخص الوحيد المتصدى للمقاومة ويتصل بامام صنعاء يطلب منه العون والمدد الحربى فلم يجد لطلبه صدى ولم تلب طلباته وعلى ذلك فيقف موقفه المعروف .

وترفع دعاة الدرعية مثل عرار بن شار والفلقى ومنصور بن ناصر موضحين خطورة دوره في مقاومة سريان الطلائع الاصلاحية .

وسرعان ما تصدر الأوامر بالتجهيز لكسر شوكته والقضاء على تحركاته ويتقدم عبد الوهاب بن عامر وتدور معركة أبى عريش التي انتهت بخضوع حمود ودخوله تحت الطاعة السعودية .

وهنا تتضح كفاءة حمود وقدراته وسرعان ما يطبق التكتيك السعودى بهمة واخلاص وقد نبذ كل التقاليد الموروثة وصار على الخطة الجديدة فيخرج من أبى بجند يسير ويدعو أعتى قبائل المنطقة للاستجابة للدعوة والدخول في طاعة السعوديين فيتوفق كل التوفيق لاستجابتهم ثم يرسل ابن أخيه علي بن حيدر في ثلاثين فارساً فيقبل على أقوى قبائل المنطقة وأكثرهم عدداً وهم قبيلة بني مروان ويعرض عليهم الاستجابة والدخول في الطاعة والا فالحرب ، فيستجيبون لداعيه ويدخلون في الدعوة طائعين فيولى عليهم رئيسهم ويأمرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويأخذ مجاهديهم ويتقدم على تهامة اليمن ، وبتلك الطريقة يتمكن قائده في أيام معدودة من الاستيلاء على ما أمامه من البلاد الى وادى مور فكلما أقبل على قبيلة استجابت للدعوة ودخلت في الطاعة وقدمت مجاهديها فولى عليها رئيسها وصار الى من بعدها .

كان حمود حقا يعرف موقع السيف من موقع الندى ولا يقدم الا متى عرف أن خصمه مشغول عنه بما هو أعظم منه أو رأى الفرصة المواتية ولنا من سجل تاريخه الدليل ثم انه يماطل الخصم ولو هاجمه لاستدراجه للمعركة معه فإن شعر بالغلبة لم يمض في الشوط الى النهاية بل يذعن ويتراجع ويخضع ان لزم الأمر ولنا الشاهد .

١ ـ من مقاومته لعبد الوهاب حتى :

(أ) يئس من نجدة امام صنعاء .

(ب) تخلف بعض اخوانه ورجال أسرته عن المعركة مثل على بن حيدر وغيره .

جـ) بعد أن دارت المعركة برحاها على أكثر جيشه وحصون الدفاع . =

عند ذلك استسلم لعبد الوهاب بن عامر وكان استسلامه بعد البلاء الحسن موضع الاعجاب والتقدير من عبد الوهاب نفسه ومع ما قيل عن أسباب إعادته الى امارة المنطقة فإن موقفه من المعركة يجعل خصمه ، يقدر موقفه الدفاعي ويعجب بصموده فالذى في مثل موقفه يقف موقفا يستحق الاعجاب والناس مفطورون على الاعجاب ونبل التضحية والتمسك بحبل الوفاء والصمود في مواقف اليأس فان عاش الشخص ظفر بكل معانى التقدير وإن هلك أصبح رمزاً لمعنى من المعانى التي تتعلق بها الانسانية .

٢ ـ أنه يدخل في الطاعة ويبرز من الكفاءة والقدرة على القيام بالواجب وباستخدامه وسائل خصمه بالأمس في صالحه اليوم وبذلك تمكن من فتح تهامة اليمن ، في أقل وقت .

عندما نزلت قبائل يام في سنة ١٢٢٢ وكان يعلم باتفاقهم مع إمام صنعاء فأخذ أولاً في بذل المال في استمالتهم الا أن ما أعطاهم الامام ووعدهم من العطاء كان أكبر فأخذ موقف الحذر وراح يصاولهم ويجاولهم على بعد حتى أنه لم يأخذ بثأر قتل ابن أخيه (يحيي بن على فارس) طمعا لهم بعقاب يوم مفسد .

وأخذ يتعقبهم بجيشه وهو القادر على الاشتباك معهم وانما كان لا يجزم بالفوز فطاول الأمر معهم حتى تمكن مع بذل المال والسياسة في تفريق جموعهم .

٣ ــ نجده يعرف كيف يجعل المادة من المال وسيلة لبلوغ الغرض أو دفع الضرر فالمادة لديه وسيلة لا غاية اذا كان يمكن أن تنوب عن السلاح في تحقيق غاية ، بذلها راضيا غير آسف كما صنع عندما هاجمهم جيش الامام على غرة في قلعة (مختارة) في (اليمن) فقد اشتبك معهم في المعركة وعندما شعر بتكافؤ القوى إن لم يكن قد رجح تغلب خصمه لولا حلول الظلام من الفريقين ، فبعث رسله بالمال ليلا للرؤساء والقادة حتى تمكن من صرفهم عن المعركة ثم الانسحاب .

ومثله ما قام به بعد معركة بيش سنة ١٢٢٤ التي انتهت بهزيمة حمود وانسحابه الى أبى عريش فتقدم الجيش المنتصر واستولى على قلعة صبيا ولو اغتنم الفرصة وتقدم على أبى عريش لاستولى عليه بدون قتال يذكر لأن حموداً قد فل حده وفت في عضده وتفرق جيشه شذرا مدرا .

الا أنه بعد أخذ قلعة صبيا صار الى قلعة ضمد التى بعد حصارها عشرة أيام عاد أدراجه الى عسير .

= ويقول المصدر نفسه : (واختلف في سبب انسحابهم ، فكثير من الناس يقولون إن الشريف حمود منح كبراء القوم شيئاً من المال فأظهروا لعامتهم قولهم : (فعلنا ما فعلنا وما يمكن منا التعدى على اليمن الا بعد الجواب من سعود) . انتهى .

يقول صاحب نفح العود في صفة القيادة والمذكور (لقوة بأسه وثبات جأشه يكتفى بالقليل من الجند ، وكثيرا ما يقول في مجادلاته ، النصر بالمدد لا بالعدد والغلبة بالقدرة لا بالكثرة) .

(٢) ناصر بن محمد بن أحمد الحسنى:

ولد بمدينة أبى عريش قاعدة امارتهم وشب وترعرع في تلك البيئة الارستقراطية يمارس الفروسية ومطالعة كتب الأدب والسير ودواوين شعراء الجاهلية والمخضرمين والمولدين مما أتاح له رصيدا من المعرفة والوعي الثقافي .

وعندما تولى أخوه الاكبر (أحمد بن محمد) امارة المنطقة كان ناصر يتطلع بطموحه الى أن يوليه أخوه امارة صبيا فلم يفعل وعندما تأزمت الأمور واضطربت الاحوال على الأمير أحمد رأى أن مصدر تلك الاضطرابات هو اخوانه وقلة ممن يدور في فلكهم فوزع المنطقة بين اخوانه وكان نصيب ناصر مدينة صبيا وما حولها وذلك في سنة ١١٨٥ .

وصل ناصر الى صبيا وباشر مهام امارته محاولا ترسيخ قدميه وتوطيد مركزه فاصطدم بالنفوذ الموروث للأمراء الخواجيين فأخذ في المحاولة لتفريغ مكانتهم من نفوس أهل صبيا وخلخلة نفوذهم من قلوب أهل الجهة وكانت محاولة بطيئة وانما في نفس الوقت مرنة ـ واستطاع مع الصبر تقليص نفوذهم وتزوج في صبيا عند أسرة غنية وذات مكانة في المجتمع هم آل الشاذلى ورزق بابنه منصور وغيره وذلك في حوالى سنة ١١٩٠ هـ ومع أن ناصراً كان له أولاد في ابى عريش بعضهم قد جاوز عصر الشباب الا أنه رأى في منصور كل ما يقربه الى نفسه .

وفي حوالى سنة ١٢٠٥ ـ تقريباً ـ تخلى لابنه منصور عن امارة صبيا أو بالأصح أنابه على الامارة وظل يشرف على توجيهه وتدريبه عن كثب .

كان من سياسة ناصر أن يكون مستقلا باقطاعيته لا يحب أن يكون للأمير القائم من أسرته تدخلا في شئونه الادارية ولا يحب هو بدوره أن يشارك اخوانه في =

= مؤامراتهم ومشاكلهم الا فيما هو أهم من الأمور وبالأخص فيما يتعلق بشئون الامارة من حرب أو فتنة تعود بالضرر على الأسرة ككل ولا يجب تدخلهم في شئونه الا اذا حزبه أمر يؤول إلى ضياع اقطاعيته كما حصل في استعانته باخوانه في مخالفة (علي بن مطاعن الخواجى) وثورته لازاحته من الامارة - راجع ص ٤٧٠ جـ ١ من كتابنا المخلاف السليماني الطبعة الأولى .

وفي حوالى سنة ١٢١٣ عندما وصل زخم الدعوة السلفية ونفوذ الدولة السعودية الأولى الى مشارف المنطقة ثم تلاه بعد ذلك لفترة وصول الداعية أحمد ابن حسين الفلقى يحمل رسالة الامام عبدالعزيز بم محمد الى امراء آل خيرات ووجهاء المنطقة باعتناق الدعوة والدخول في الطاعة أخذ ناصر يشير على ابنه من طرف خفى الى دراسة الوضع واتخاذ سياسة مرنة حول ذلك .

وعندما تحالف الداعيتان (عرار بن شار الشعبى) و (أحمد الفلقى) وحصل الأول على فوز حربى في معركة السلامة والذى ساهم فيه منصور بتوجيهات أبيه وارشاده بمجهود سياسى متواضع أشار الوالد على ابنه باعتناق الدعوة والدخول في الطاعة ليكون له السبق والأولوية والحظوة لدى الدولة الجديدة والقوة الفتية .

اتفق منصور - عملا بتوجيهات والده الى الاتصال بعرار والفلقى ثم أعلن - دخوله في الدعوة ونبه في منطقته بمنع شرب التنباك واشهار شعار الدعوة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتنبيه على أوقات الصلاة المفروضات ومعاقبة المتخلف وهدم المزارات .

واستشار عمه حمود أمير المنطقة مما أقدم عليه منصور وهو يعرف في نفس الوقت بأنه وراء منصور والده المدبر والمشير ومع عودة حمود من قرية السلامة منتصرا وصل قرية الباحر ، وتجهز لغزو صبيا لارغام ابن أخيه على التخلى عن الدعوة والبيعة ، وفهم ناصر كل شئ وهو العارف بسياسة أخيه حمود خاصة والأسرة عامة فعمد ابنه بالصمود والمقاومة وعدم التخاذل أو التذبذب أو التراجع كما أشار عليه حالا باستنفار أهل صبيا وجهاتها والاستعداد للدفاع والمقاومة فيما لو عزم حمود على مهاجمة مدينة صبيا .

وشعر حمود بجدية الأمر فأخذ في التروى والاشارة الى كبار الأسر بالتدخل . فتدخل كبار الأسرة وانتهى الأمر بأن يكتفى بوصول منصور للسلام إلى عمه في قرية الباحر صوناً لماء الوجه ومظهرا لترابط الأسرة وبعدها يعود حمود إلى قاعدة =

= امارته في أبى عريش ، وكان من حصاد حسن تدبير ناصر وحزمه بتوجيهات ابنه ما يأتى :

١ — توطيد امارة ابنه في صبيا وجهاتها .
٢ — ارتفاع رصيده لدى الدرعية وجعله كأمير مرتبط بها لا بأبى عريش .
٣ — توفر الامكانيات السياسية والحربية لمنصور لانضمام الجعافرة والمخلاف الشمالى الى مساعدته فيما لو هاجمه عمه حمود مرة ثانية كما أن (عرار بن شار) في جهة (درب بنى شعبة) مع ما يتبعه من جهة قنا والبحر أصبح عمقا ثانيا لمجهوده وجهاده .
٤ — أصبح منصور يشترك في جهاد الدعوة بمجاهديه ضمن مجاهدى الدعوة وفعلا اشترك في معركة ضمد .

وعندما تفاقم الأمر ونزل عبدالوهاب لاخضاع (حمود بن محمد) اشترك منصور بمجاهدى منطقة صبيا مع عبدالوهاب مثل سالم بن شكبان وشيخ الدواسر وعرار بن شار والفلقي وغيرهم . وقد تمكن منصور بتوجيهات والده من نفع أسرته وابقاء مكانتهم . في عدة مواقف ، ومنها بعد معركة أبى عريش .

١ — أجمع رأى القادة على الإشارة على عبدالوهاب بمهاجمة (حى الديرة) - (حى الأشراف) بحجة أن الأمر يترتب على خضوع آل خيرات فمتى ما أرغموا بالقوة على الخضوع سلمت المدينة والحصون والقلاع فعارض منصور الفكرة بحجة أن استئصال أسرته لا يفيد حربيا ما دام أن المدينة (مدينة أبى عريش) بحصونها وقلاعها لم تسلم وانه بعد القتال المرير من قبل حشود ورجال الأسرة يضطر الجيش الى معركة ثانية مع أهالى المدينة واستحكاماتها وحصونها .

اما لدى مهاجمة المدينة فان (حى الديرة) والأمير حمود مضطر الى التسليم ، ولا زال بعبد الوهاب حتى جنح الى رأيه وبذلك تمكن من انقاذ أسرته من القتل . ونخال أن هذا التدبير الحصيف مع ما يأتى هو من تدبير ذلك الشيخ الوالد المرن .

٢ — بعد المعركة وتسليم المدينة وخروج حمود إلى معسكر عبدالوهاب للسلام والتسليم وتقديم الطاعة ورجوع حمود الى داره وقد تخلى عن الامارة بالنسبة الى هزيمته . أخذ غير واحد من القادة يشير على عبدالوهاب بتوليه امارة المنطقة الى =

= (يحيي بن محمد) بصفته أول من دخل في الدعوة وبايع على الطاعة وبعضهم أشار بغيره متحاشين عدم الاشارة الى حمود .

وأخيرا يترجح لعبدالوهاب توليته للأسباب الآتية :

أ ــ إن حمود بوصفه الأمير الشرعى يجب إعادة الاعتبار إليه سياسيا وإداريا .

ب ــ إن كل اخوانه أو أبناء عمه ليس منهم من يماثل حمود في حزمه وعزمه وكفايته .

جـ ــ إنه لو تولى الأمر غيره فان حمود سيثير الغبار في وجهه بشتى الوسائل ، والامكانيات التى لديه .

د ــ لا يستبعد أن ينسحب حمود إلى الناحية الجبلية من المنطقة بعد عودة جيش عبدالوهاب ثم يهاجم المنطقة والأمير المتولى ، وسوف يجد من إمام صنعا ، كل عون حربى ومادى .

هـ ــ إن لدى حمود من العدد والعدة كالخيل والسلاح والموالى والمال ما لا يوجد عند جميع الأسرة .

و ــ إنه للاسباب المذكورة يمكنه إسناد امارة المنطقة الى حمود ويعلق أمر الموافقة على توليته لعبد العزيز وتكون توليته في تلك الفترة تحت التجربة ، فإن رأى منه عدم نصح أو مخالفة ففى الوسع استبداله بغيره من اخوانه . فاستدعى حمود الى مخيمه وأخذ منه العهد على السمع والطاعة ومباينة كل من خالف الدعوة وجهاد من ورائه في اليمن وصرح له بأن الأمر النهائي متعلق بولى الأمر عبد العزيز بن محمد من الموافقة وعدمها .

إن ناصر بن محمد معروف بسداد الرأى وان اخوانه يعودون اليه في حل المشاكل ولهذا نرى ابنه منصور يسير في ضوء توجيهاته مما لم يعد منه عن جادة الصواب ونهج السياسة المستقيمة والسّير في طريق الاخلاص ورصيده لدى الدرعية في ارتفاع وعند عبد الوهاب في ازدياد وهو يعامل باحترام وثقة لا يحصل عليها حمود نفسه حتى عام ١٢١٨ .

ويتوفى الله عبدالعزيز ويبدأ حمود في تنفيذ ما يراه كفرصة سانحة بعد توقفه في =

= غزو تهامة اليمن وضمها الى الدولة السعودية ، بدأ في تنفيذ ما يحاوله من الانفصال عن عبد الوهاب وطلب ربطه بالدرعية رأسا .

فنراه يشعر بأن من أهم وسائل النجاح أن يبعث وفداً يكون في رفقة منصور بن ناصر لما للدرعية فيه من حسن الظن وجميل الثقة، وفي نفس الوقت يعرف أن مفتاح شخصية منصور أو بالأصح أمر انصياع منصور مناط بوالده .

لهذا نرى حموداً يتصل بأخيه ناصر ويعرض عليه كالمستشير ما خلاصته أنه بمناسبة وفاة عبد العزيز بن محمد ، يحسن به وبمنصور القيام بواجب التعزية وبتجديد البيعة للامام الجديد سعود. وان بصفة منصور أميرا على جهة صبيا وبيش والجعافرة ، مثله على المنطقة الجنوبية فيكون لمنصور وفد يرأسه شخصيا بنفسه كما أن حمود أى نفسه ، يكون له وقد يتكون من ابنه ووزيره وابن أخيه لنفس الغرض ، وبمناسبة ذلك يكون منصور يسعى بطلب الفصل عن ارتباطه بعبد الوهاب ولطلب الارتباط بالدرعية رأسا .

كما أن وفد حمود يطالب بفصل حمود من ارتباطه بعبد الوهاب ، ويطلب الارتباط بالدرعية فان ذلك أنجح للمسعى وأقرب للتحقيق بما لمنصور من مكانة في الدرعية .

ويعرف ناصر بدربته وحنكته مغزى حمود وفي نفس الوقت يشعر بما يعود على ابنه من استقلال ادارى كما يطلبه فيوافق ويشير على ابنه بالتوجه .

وفعلا يصل الوفدان الى الدرعية وتنجح المهمة على الوجه الآتى :

١ ـ يوافق سعود على فصل منصور من ارتباطه بعبد الوهاب ـ وبربطه الدرعية فيما عدا الجهاد لقرب جهته من عبد الوهاب .

٢ ـ الموافقة على طلب حمود بالانفصال عن عبد الوهاب وارتباطه رأسا بالدرعية .

ويعود الوفدان ولم تطل بعد ذلك حياة ناصر فيتوفاه الله وابنه مشترك في معركة السعدية قرب مكة مع عبد الوهاب ، وبعد ذلك يعود منصور ونرى ابتداء التداعى والتخلخل في سياسته كما سيمر بك مفصلاً .

اخوانهم وبنو اخوانهم وكذلك الاشراف بنو النعمى [٣] وكافة أهل تهامة ، وفقنا الله واياهم الى سبيل الحق والهداية ، وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية .

(النعامية)

= ٣ - من مشهورى عشائر المخلاف السليمانى الهاشميين وأكثر تجمعهم في الدهنا والعالية وما حولها ، كما يوجد منهم جماعات في الملحا وصبيا وضمد ، وأم الخشب والعدايا ومن بُيوت في رجال ألمع وفي أبها وغيرها ، ومن أشهر سلفهم عدد من العلماء والقضاة ومن مشاهيرهم :

١ - محمد بن الحسن النعمى المتوفي سنة ٩٩٩ نعت بأنه مصقع جيله علماً وقضاءً وصلاحا وتقوى له ديوان شعر معروف منه قصيدة مشهورة في التضرع .

٢ - الحسن بن محمد بن حسن النعمى المتوفي سنة ١٠١٩ عالماً دينيا معروفا بالجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بالفتوى والتدريس في شمال المخلاف السليمانى .

٣ - مساوى بن عقيل النعمى أحد أعيان قرية الملحا - توفي سنة ١٠٢٦ .

٤ - العلامة الجليل على بن محمد بن حسن النعمى ، جمع بين العلم والعمل صادعا بالحق موفور الجاه بين الناس توفى سنة ١٠٤٩ .

٥ - ابراهيم بن هادى الفقيه النعمى كان من أركان امارة الخواجين بصبيا وفيصل القضاء الشرعى توفى سنة ١٠٣٨ .

٦ - العلامة القاضى ناصر بن أحمد عيشان النعمى ، كان من حكام الشرع مشهوراً بسداد الأحكام .

٧ - حسن بن محمد النعمى وكان له على جانب من الفقه والأدب واتصال بأمراء مكة المكرمة يواصل زيارته لهم هو والفقيه محمد الأمرح صاحب مشرف ويعودان الى بلديهما في وساع .

٨ - ومنهم النعمى الزاهد يحيي بن حسن النعمي المتوفى سنة ١٠٣٨ . =

أما بعد فالموجب لهذه الرسالة ، أن الشريف أحمد [1] بن حسين الفلقى قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه ، فبعد التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه ، فاعلموا رحمكم الله

= ٩ ـ العلامة على بن حسين بن محمد بن الحسن النعمى عرف بالفتوى والشفاعة بنفسه وكتبه لمصالح الناس، تولى قضاء المخلاف السليماني ، وكانت وفاته سنة ١٠٧٦ .

١٠ ـ ومن متأخريهم المعروفين في العهد الادريسى عرار بن ناصر عامل الادريسى على بنى مالك وجماعة ، ومصطفى النعمى القائد الادريسى المعروف ، راجع أخبارهما في كتابنا المخلاف السليماني ، ورئيس المحاكم وأحد كبار رجال العهد الادريسى محمد حيدر الفتى النعمى .

(١) أحمد بن حسين الفلقى (الصبياني)

ولد بصبيا في الحارة الشامية التى لا يزال بعض أسرته يسكنونها الى الآن وآخر من سكنها منهم أحمد زُمري الفلقى (راجع الحاشية على ص ٦٨ من كتابنا المخلاف السليماني ـ ج ٢) الذي كان من الحرس الخاص للامام الادريسى ينتمون الى آل القليصى من الهاشميين .

ولد ونشأ بصبيا وكان قد اشتغل في شبابه الباكر بالبيع والشراء وعندما سمع بمهاجرة بعض شباب الجهة والبلاد المجاورة الى الدرعية لطلب العلم بمدرسة مصلح الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، سارع في التوجه وانتظم في سلك الدارسين مثل عرار بن شار و (محمد بن عامر) وبعض اهل بيشة .

وقد عاد الى بلده يحمل رسالة من عبد العزيز بن محمد بن سعود الى أمراء المخلاف السليماني وأهله يدعوهم بالدخول في دعوة التوحيد وترك البدع ونبذ الشرك ـ راجع نص الرسالة في كتابنا المخلاف السليماني ـ ، وفي كتاب نفح العود . =

= وصل الى بلدته صبيا وسلم الرسالة لأميرها منصور بن ناصر الخيراتي الذى بعثها لعمه أمير عموم المنطقة علي بن حيدر في أبى عريش وبعد الانتظار غير المجدى رأى أن يقوم بواجب الدعوة في غير بلدته مدينة صبيا .

فتوجه الى ساحل الجعافرة الذى قبائله على جانب من البداوة والعزلة فاتخذ منه مقرا وقام بواجب الدعوة فأقبلت اليه الناس وأثمر غرسه وقوى حزبه فعاهده الناس على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ونبذ الشرك والسمع والطاعة للامام عبد العزيز وخلع طاعة أميرهم .

رفع أمير صبيا بالواقع فتحرك علي بن حيدر بقوة من أبى عريش ودارت المعركة حول قرية الحجرين فأسفرت عن هزيمة (الفلقى) وحزبه فانسحب بفلول محاربيه الى جهة بيش ورفع للدرعية بما صار فوصلته نجدة بقيادة (حزام بن عامر العجمانى) الذى عرج على درب بنى شعبة وقضى على المخالفين في جهة الدرب على الداعية الآخر (عرار بن شار) .

ثم استصحب (عرار) ومجاهديه ووصلوا الى بيش فانضم اليهم (الفلقى) ومجاهدوه وساروا الى (الحجرين) ومن « الحجرين » حمل الفلقى رسالة من القائد حزام العجمانى الى أهل المخلاف وأمير صبيا يدعوهم الى السمع والطاعة وبعد مداولات بين أمير صبيا وعمه علي بن حيدر المحصور في داره وبين الأمير الأسبق (يحيي بن محمد) المقيم في قرية البيض ومفتى الجهه (أحمد بن عبد الله الضمدى) .

اتفق الرأى على ارسال وفد الى القائد حزام للدخول في الطاعة والتفاوض على التسليم ، وأبرمت الاتفاقية الآتية :

١ - يقوم الأمير يحيي بن محمد بالامارة العامة للمنطقة ونشر دعوة التوحيد في ضمد والمنطقة الجنوبية .

٢ - يقوم عامل صبيا منصور بنشر الدعوة في جهته .

٣ - يكون الفلقى مشرفا على شئون بيش والجعافرة .

٤ - يقوم علامة المنطقة الشيخ أحمد بن عبدالله الضمدى بوظيفة الارشاد والافتاء .

استمر الفلقى بالقيام بشئون الدعوة في بيش والجعافرة من أول سنة ١٢١٥ الى رمضان عام ١٢١٧ الذى نزل فيه عبد الوهاب أبو نقطة من عسير يقود جيشا =

تعالى أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى به الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره ، وزبدته اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والنهى عن الشرك وذلك هو الذى خلق الله الخلق لأجله ، ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبد الله واجتبوا الطاغوت**) وقال تعالى (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**) واخلاص الدين هو اخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يدعى الا الله تعالى ولا يستغاث إلا به ولا يذبح إلا له ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرغب الا فيما لديه ولا يتوكل في جميع الأمور إلا إليه ، وإن كل ما هنالك لله تعالى ، لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبى مرسل ، ولا شيء غيرهما .

وهذا هو بعينه توحيد الالوهية الذى أسس الاسلام عليه وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا اله الا الله . فلما منّ الله

= لإخضاع أمير المنطقة الجديد حمود بن محمد ويحمل أوامر من الدرعية الى عرار والفلقى بالانضمام بمجاهديهم الى جيش عبد الوهاب .

واشترك فعلا في المعركة التي انتهت بخضوع حمود وانضمام المقاطعة الى الدرعية ، وبعودة عبد الوهاب الى صبيا واصلح بين امير صبيا وبين الفلقى ، وان المخلاف الشامى الى بنس شمالا يتبع أمير صبيا ، وان يكون امارة الفلقى عل الجعافرة ومن يتبعهم فقط وان ينتمى الى منصور وبعد ذلك التاريخ لم نقف على خبر في مظان كتب تاريخ المنطقة عن الفلقى الجعافرة ونرجح انه توفى إما في أواخر سنة ١٢١٧ أو سنة ١٢١٨ .

علينا بمعرفة ذلك وعلمنا أنه دين الاسلام اتبعناه ودعونا الناس اليه ، والا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم الى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الدين حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب [(١)] أحسن الله له المآب ، فأبرز

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد الراشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاض بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب بن قاسم بن مسعود بن عقبة بن منيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظله بن زيد بن مناه بن تميم بن مره .

ولد في سنة ١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م والحالة في البلاد العربية بله شبه الجزيرة - على ما كانت عليه من التخلف والفوضى والانحطاط والبعد عن روح الدين الحنيف ، ولد محمد بن عبد الوهاب في بيت كالواحة الخضراء في صحراء الجهل وهجير الفتن .

نشأ وترعرع يفيض عليه حب والده وحنان والدته غدقاً من الحل الأبوى ، وتتعهده تربيتها بما يغرس فيه روح الايمان ، ويغمر نفسه الغضه بالطمأنينة والرضى وتهيئته لطلب العلم بقلب متفتح وعقل متقبل .

وكلما شب تألق على محياه الذكاء اللماح ، وشعت في أساريره المخائل النجيبة .

ان الهلال اذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيكون بدراً كاملاً

يميزه عن أترابه فوق تلك السمات النبيلة ، والخلق الجاد والعزيمة المصممة ، والنضوج المبكر ، والنبوغ المرتقب يصرف جل وقته . في تلك السن للمطالعة =

= العميقة في كتب التفسير والحديث ، وقبل بلوغه سن العاشرة استظهر حفظ القرآن حفظاً وتلاوة ، ومعانى وتفسيراً .

بلغت لعشر مضت من سنينك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك ، أن يلعبوا

ولما بلغ الثانية عشر بلغ الحلم وأدرك ما يدركه الرجال ، قدمه أبوه في امامة الصلاة ، وكان والده شديد التعجب من قوة حافظته ، وسرعة حفظه لكل ما يطالعه ولو لمرة واحدة ، ويعترف علنا بالاستفادة منه مع صغر سنه .

ولا عجب في ذلك ـ فبعد مشيئة الله سبحانه وتعالى ـ قد تضافرت في الفتى مقومات التفوق ، ومؤهلات النجاح أسباب ومسببات ـ هيأها الله للفتى وراثية وفطرية وبيئية ، تجمعت في شخصيته الفذة ، من الذكاء المتقد ، والشغف العلمى الملتهب ، والطموح الخلقى المحلق ، لاستيعاب أكبر قدر من المعارف الدينية ، والعلوم الاسلامية في أقصر وقت .

ومع كل ذلك فالفتى عملى الطبع ، دينى الخلق ، العلم لديه معلومات تستوعب في سرعة وتركيز وفهم مدارك عظام ، ثم تتحول الى عمل يطبق في التوحيد ، والعبادة ، والأخلاق ، والمعاملات والتوجيه وارشاد وتعليم اسلامى يسير على ضوء العقيدة الصحيحة ، والنهج القويم ، المستمر من الكتاب والسنة .

في تلك السن المبكرة ، ومن عمره الغض جلى في دروسه ، وتفوق في معلوماته وفاق من هو أكبر سنا ، أكبر منه سناً بمراحل بل وجعل والده واستاذه يكتب لصديق من أصدقائه .

(.... ان له فهما جيداً ، ولو يلازم سنه على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية) .

كل ما سبق شرحه يجعلنا أمام شخصية من النوابغ الذين يهيئهم الله لتجديد دينه ، واصلاح المسلمين والنهضة بأمته .

ان محمداً بن عبد الوهاب قطع مرحلة الطفولة قفزا الى مرحلة الرجولة عبر مرحلة الشباب ، بدون تمهل أو توقف . وقد تطول تلك المرحلة ، أو تقصر فإذا طال التوقف فقد ضاعت من المرء أسنى فرص العمر ، ونشاط الفكر ، وطموح العلم .

يحدثنا ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) بأن محمداً بن عبدالوهاب كان يفهم =

لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فتبين لنا الذى نحن عليه وهو دين غالب الناس اليوم من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب بالذبح لهم والنذر لهم والاستعانة بهم في الشدائد وطلب الحاجات منهم ، انه الشرك الأكبر الذى نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه وأخبر في كتابه انه لا يغفره الا بالتوبة منه ، قال تعالى (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**) . وقال تعالى : (**انه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**) . وقال تعالى (**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا يُنبئك مِثلُ خبير**) . والآيات في أن دعوة غيره من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة ، ومن كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الأئمة الأعلام الذى أجمعت

= فهماً عميقاً ماكان يقرأه في كتب العلماء عن التوحيد والشرك ، لدرجة أنه عرف هذا الموضوع معرفة جيدة ، ونتيجة لذلك اقتنع بأن كثيراً من أعمال من حوله ـ آنذاك ـ مباينة لدين الاسلام .

راجع محاضرتنا في جامعة الامام محمد بن سعود في مؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتاريخ ١٤٠٠/٤/٢١ الموافق١٩٨٠/٣/٨ المنشورة في الكتاب الذى طبعته الجامعة بعنوان « حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية » في نفس التاريخ اعلاه من ص ١ — ٩٩ .

الأمة على روايتهم عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندين به ، انه الشرك الأكبر الذى نهى الله عنه وحذر ، وان الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : (**وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**) وقال تعالى (**له دعوة الحق**) وقوله تعالى : (**ومن أظلم ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**) . اذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين لله تعالى هو اخلاص العبادة لله وحده ونفى الشرك وأقام الصلاة جماعة وغير ذلك من اركان الاسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يخفى على ذوى البصائر والافهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذى جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم قال جل جلاله (**ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) وقال تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) فمن قبل هذا والزم العمل به فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظين الاسلام ، ومن أتى غيره واستكبر فلم يقبل هدى الله لما تبين نوره وسناه نحيناه عن ذلك وقاتلناه قال تعالى : (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) . وقصدنا بهذه النصيحة لكم والقيام بواجب الدعوة . قال تبارك وتعالى (**قل هذه سبيلى أَدْعُوا إلى اللهِ على بصيرةٍ أنَا ومن أتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . انتهى .

فلما وصل السيد احمد بن حسين الفلقى بهذا الكتاب ، وكان قد

استوطن أسفل وادى بيش [١] عند الاشراف الجعافرة [٢] ، وهم بـدو قليل مخالطتهم لأهل الامصار فكان السيد أحمد يعظمهم ويعلمهم الشرائع ، ومع خلو قلوبهم يقر فيها ما وعوه عنه ، فلما تبين لهم هذا اجتمعت كلمتهم على أن يتعاهدوا ويتعاقدوا على ما تضمنه كتاب ابن سعود المذكور ، وقبل هذا انضم اليهم قبائل من أهل وادي بيش فيها جماعة من الفقهاء من أهل الاثلة قرية غربـى وادى بيش ، ثم انتشر هذا الأمر الى اكثر من قرى المخلاف [٣] واجتمع رأيهم على خلع طاعة أمير البلد ، وكانت ولايتهم الى أمير صبيا وهو ينتمى الى عامل أبـى عريش ، وصاحب صبيا يومئذ الشريف الماجد الرئيس منصور بن ناصر بن محمد بن أحمد الحسنى الملقب بالملك

---

(١) وادي بيش هو أكبر أودية المنطقة - راجع كتابنا المعجم الجغرافي ، الطبعة الثانية - ويطلق اسمه مجازاً على ما تسقيه مياهه ، من « التُّخْرِي » و « مِسْلِبَهِ » الى ساحل « الجعافرة » .

(٢) « الجعافرة » اسم قبيله معروف من قبائل المنطقة تمتد مواطنها من « جريبة » الى « المَقَاريه » في ساحل « جازان » ، وهو « حِلْفٌ » يضم عدداً من القبائل تنضوى تحت اسم القبيلة الرئيسية : الجعافرة كأهل « الأثله » وأهل قرية « الحجرين » وغيرهم من « الطمحة » و « الشواجره » و « المقاريه » و « السباعية » و « الحقاديه » وغيرهم .

(٣) المخلاف السليمانى اسم يطلق على المنطقة بأسرها من « الموسم » في الجنوب الى « حلي » في الشمال نسبة الى سليمان بن طرف الحكمي - القرن الرابع الهجري العاشر الميلادى .

العادل [1] ، وسيأتي له في هذا المؤلف ذكر كثير ووقائع وحكايات عند الوصول اليها انشاء الله ، وكان مرجع الجعافرة ومن على جيلهم . ذلك الخط ونسخ أخرى وصل بها السيد أحمد الفلقى من مؤلفات ابن عبد الوهاب في مادة الشرك وبيانه وتحذير الناس منه وفي قواعد الاسلام والايمان وتوحيد الربوبية والالوهية ، وكان السادة الجعافرة

---

(١) منصور بن ناصر

من أبرز أمراء الأسرة الخيراتية وعلى جانب من الثقافة والآداب والتهذيب وقد عنى أبوه بأمره وتنشئته وتدريبه وتوجيهه على شئون الامارة مبكراً ـ وعندما بلغ سن الشباب واستكمل نضجه أنابه على الامارة ـ كما سبق التوضيح في ترجمة والده .

وظل يرعاه ويوجهه ويشير اليه بطرق السداد كما لقبه بالملك العادل ليكون ولو على اتصاف ببعض صفات اللقب ، ويسير ولو باختصار على شيء أو بعض شيء من نعته الجديد .

ظل منصور يسير على النهج الواضح والخطة السياسية الحكيمة في نهج ما يرسمه والده حتى توفى الله الوالد ـ كما سبق الإشارة الى ذلك .

وبعد ذلك فقد منصور الروح الموحية والارادة الموجهة والالتزام بالخطة الواحدة ، فيرى عمه حمود بأن ابن أخيه أسهل من أن يصعب عليه قيادة فيبدأ بمد أذرع أخطبوط سياسته لخضه أولا واجتذابه متى سلس قياده الى فلكه .

فيبدأ حمود أولاً بتوقيف صرف مقرره من محصول ميناء اللحية الذى فرضه له عبدالعزيز وأقره سعود بن عبدالعزيز لتغطية ما يترتب على منصور من نفقات الجهاد وواجبات الضيافة للوافدين من نجد وعسير الى حمود من وفود ومجاهدين ، وتتأزم الأمور بين منصور وعمه نتيجة لذلك ويبتدأ الجفاء يعقبه الرفع للدرعية من منصور ويكتب لحمود باللازم فينتحل الأعذار وتطول المطالبة من منصور والمماطلة من حمود .

وتشعر الدرعية بتأزم الموقف بين العم وابن أخيه وترسل وفداً مزوداً بقوة للنظر في شكاوى منصور وشكاوى ابن عمه الآخر على بن حيدر من عمهما بعد ان توجها =

= كل من منصور وعلى بن حيدر الى الحج وبثهما شكواهما لسعود ، ويصل الوفد ويتوجه الى الزهرة ويستدعى منصور وعلى بن حيدر وينتهى الأمر بالمصالحة واعادة مقرر منصور وترضية على بن حيدر ببعض الترضية .

ويعود الوفد بعد انتهاء مهمته واصلاح ذات البين ويبدأ تفاقم الأمر بين عبد الوهاب وحمود ويتلبد الافق بالغيوم بعد سقوط مكة وقطع اسم خادم الحرمين في الحجاز ومكة وغيرها من خطبة الجمعة للسلطان والدولة العثمانية في ضعفها في تلك الفترة كانت حريصة على قشور الالقاب كتعويض وتستر لما بلغته من الضعف وشعرت تلقائيا أنها فقدت هيبتها وسلطتها الروحية في العالم الاسلامى فبدأت من سنة ١٢٢١ بتهيئة تجريد حملة قوية باسم تحرير الحرمين وبثّت رسلها الى كافة أنحاء الجزيرة تحرض وتؤلب وتستقطب كل من تتوسم فيه الاستجابة او التحرك والمشاركة .

فنرى حموداً يبدأ باستقطاب منصور وغيره ـ وتشعر الدرعية بحركة حمود الخفية ويؤيد ذلك رفعيات عبد الوهاب .

ومنصور قد فقد المناعة السياسية التى كان يحصنه بها أبوه فيستجيب لاغراءات عمه ويقطع علاقته بالدرعية ويعلن انضمامه الى عمه .

ويستدعى حمود الى الدرعية فينتحل الأعذار بعداء إمام صنعاء خشيته على مكاسب الدولة السعودية في تهامة اليمن فيصله الأمر بالمقابلة في موسم الحج فيتفتق ذهنه عن محاولة جديدة للتأخر فينتحل شتى الأعذار ويرسل رسالة اعتذار أو ما يعتقده كمبررات لتأخره مع ابن أخيه يحيي بن حيدر فيقابل سعوداً ويقدم الرسالة فلم يلمس لها قبولاً بل يجد التصميم بضرورة حضور عمه .

فيتصل بغالب بن مساعد الذى لا يبعد أن يكون على اتصال مسبق بحمود ـ فيشير عليه غالب بسرعة العودة الى عمه وما يراه بالنسبة الى سياستهما مع محمد على والدولة العثمانية .

وبعودة يحيي بن ناصر تتوالى الاغراءات على حمود من :

١ ـ الدولة العثمانية .

٢ ـ محمد على باشا والى مصر.

٣ ـ إمام صنعاء .

وتنتهى تلك الاغراءات بابرام صلح بين حمود وخصمه بالأمس إمام صنعاء على ما يأتى : =

=

١ - يتنازل حمود لإمام صنعاء عن ميناء المخا وبواديها .
٢ - يتعهد امام صنعا بامداد حمود بمرتزقة من همدان وغيرها من قبائل اليمن .
وبذلك يشعر حمود بتأمين ظهره فيسفر عن صفحته بالمخالفة وتصدر أوامر الدرعية لعبد الوهاب بن عامر بالتقدم على المخلاف السليماني وخضد شوكة حمود .

ويستعد حمود وتدور المعركة في بيش وتنتهى :
١ - بقتل عبد الوهاب في أثناء المعركة .
٢ - هزيمة حمود وانسحابه الى أبى عريش .
انسحب حمود مهزوما من المعركة التي جر اليها ابن أخيه منصور بن ناصر - كما سبق توضيحه وبوصوله صبيا أبقى خمسمائة من مرتزقة همدان مع ابن أخيه منصور وحثه على الثبات ووالى انسحابه الى أبى عريش .
وضرب الجيش السعودى الحصار على قلعة صبيا ولم يصمد منصور فقد تفاوض مع قادة الجيش الذى هو على معرفة ببعضهم على تسليم القلعة مقابل ما يأتى :
١ - سلامة الخمسمائة المرتزقة من همدان وترك حرية الرجوع لهم بالتوجه الى أبى عريش .
٢ - أن يستسلم منصور شخصيا ويرفع كتابا الى الدرعية معتذرا متنصلا عن مخالفته أملا في العفو عنه وعودته لإمارته .
فوصل الجواب بعد فترة وهو مقيم في قرية الحسينية في انتظار الجواب الذى وصله سلبا فظل في دوامة وتخبط .
فالدرعية لم تغفر له مخالفته وعصيانه وترى أنه خان العهد وخلع الطاعة فلا ينبغى الركون اليه .
وعمه حمود يرى أنه لم يثبت ولم يقاوم في حال ان لديه قوة وسلاحاً ومؤنا قد أمنها له وانه فقد روح المقاومة وأسباب الثبات .
فأسقط في يده ولم ير وسيلة الا الكتابة لعمه يطلب الاذن بارسال أمتعته الى أبى عريش وربما يلحقهم بدوره .
فاستجاب حمود بلهجة الممتن المتفضل على ابن أخيه وبوصوله الى أبى عريش ظل وراء دائرة العناية الكلية أو المشاركة الفعلية واكتفى بتقرير مصروفاته كضيف .
وبعد فترة والحروب دائرة بين قوات محمد على والدرعية أرسل حمود قوة =

أهل اعتقاد كبيرة في غير الله ، وعندهم في بلادهم مقبور يسمى (أبو سبعة) [1] لهم فيه اعتقاد كبير وكل أهل تلك الجهة لهم اعتقاد فيه ،

= لاستعادة مدينة صبيا لا بقيادة منصور بل بقيادة شخص آخر يرافقها منصور كمستشار ورضى منصور بالواقع على مضض أملا فيما اذا فتحت صبيا أن يعادله امارتها .

فإذا عمه يولى ذلك القائد على امارة صبيا ويعود هو الى أبى عريش في غاية الضجر والغضب ولم يكن حظ على بن حيدر نفسه بأحسن من حظ منصور فيسجن أخاه ويشتعل غضبه بدوره ويتوجه هو ومنصور الى حاكم الحجاز من قبل محمد على للانضمام الى قوة محمد على ضد عمهم .

فيحسن حاكم الحجاز استقبالها ويخيرهما في المكان الذى يرغبان الإقامة فيه - مؤقتا - حتى تنتهى معركة الدرعية فيختاران (حلى بن يعقوب) ليكونا بمنجى عن وطنهما ، وبعد سقوط الدرعية تسير قوة بقيادة جمعة باشا الى عسير فيقابلها جيش حمود في الحمى من رجال ألمع فينهزم الجيش ويعود منصور وعلى بن حيدر الى محل اقامتهما .

ويتقدم بعد ذلك سنان باشا يقود جيشاً الى عسير وتدور المعركة بين حمود وبينه في الملاحة من بلاد بنى مالك وتنتهى بهزيمة سنان وجيشه وقتل منصور وبعد ذلك موت حمود أما على بن حيدر فقد تأخر عن الحملة لأسباب مرضه فأثيب بعد ذلك بإرسال حملة عسكرية معه الى المخلاف السليمانى تولت القبض على الأمير الجديد أحمد بن حمود وتوليته امارة المخلاف تحت تبعية حاكم محمد على في الحجاز .

وهذا ما تثبته كتب تاريخ المنطقة ، وأما كلمة « المخلاف » مفردة او مضافة الى « الشامى » « المخلاف الشامى » فيطلق على ما كان من شمال صبيا الى السلامة العليا .

(١) ابو سبعه لا نعرف عنه الا ما ورد في هذا المصدر - نفح العود - ويظهر انه من صالحي جهتنا فتن الناس حياً كما زادت الفتنة به بعد موته ، وهو من قبيلة الجعافرة =

يطلبون منه ما يطلب العبد من الرب من الاستغاثة والتوكل ، فانخلع الجعافرة ومن والاهم عن هذه العقائد وعن أحكام الطاغوتية التى كانت مفخرهم ، وكان منهم (رسماية) [1] تصدر لمن تصدر لذلك ؟ يقال لهم بزهمهم الصائب . وهو من صاب يصوب صوبا فهو صائب من الصواب . وهو من أسماء الأضداد ، فإن حكم الطاغوت في الحقيقة هو الخطأ المحض ، وعند وصول هذه الدعوة نبذوا الاحكام . وكانوا ينتمون في الاقوال والأفعال الى السيد أحمد الفلقى وكان قد

= من أهل قرية « الرجيع » وقد اتخذ من قبره وثناً يعبد حتى وصلت الدعوة السلفية فهدم بناءه الداعية احمد الفلقى وأما عشيرته فهم بيت علم ، ويقول مؤلف « الجواهر اللطاف » ـ مخطوط ـ السباعبة القضاة المشهورون من سكنة قرية «الرجيع» ـ في بلاد الجعافرة ـ انتهى ،ويقول إن من مشاهيرهم .

١ ـ الشاعر الاديب ذو الخط المتقن الجميل « الهادي بن عثمان السبعي المتوفي سنة ١٠٦١ .

٢ ـ العلامة محمد بن حمد السبعي من علماء الشافعية في المنطقة وتولى القضاء بمدينة صبيا سنة ١٢٨٦ .

٣ ـ العلامة محسن بن حمد السبعي ولي وظيفة القضاء في غير جهة من الجهات عاش الى سرار القرن الثالث عشر وفي وقتنا الحاضر منهم اناس في « الجعافرة » وجماعة في صبيا يعرفون بآل عبد الباقي وجماعة منهم في العالية ، وآخرون في السلاّمة . وعشيرة في الحسينى .

(١) هكذا في الاصول الثلاثة التي لدي « سماية وفي احداها الكلمة بدون نقط . جرى لتنويه .

سكن بينهم كما قدمنا وفارق مسقط رأسه (مدينة صبيا[1]) واختار موالاة الجعافرة لأجل ان يبث فيهم الخير ، ويكون ممن قام بوظيفة التبليغ ، فتظاهر الجعفريون وأهل (الأثلة) [2] وكثير من أهل القرى على القيام بدعوة ابن عبد الوهاب والخروج عن طاعة من خالفها ، وأما أهل صبيا فلم يتظاهروا بذلك وأبطنه كثير منهم ، وكان يلقى الى (الفلقى) الموالاة في الباطن ويعتذرون عن التظاهر بالخوف من الشريف منصور بن ناصر ، وهو ما زال يكتب الى ابن عمه الشريف على بن حيدر [1] القائم بأمر أبى عريش ويستحثه على الخروج على

(١) مدينة « صبيا » - راجع كتابنا « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

(٢) « الاثلة » - راجع كتابنا « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

(٣) على بن حيدر بن محمد الخيراتى :
ولد في آخر العقد التاسع أو أول العاشر من القرن الثانى عشر وتوفى سنة ١٢٥٤ ، اشتهر بالشجاعة والفروسية وعاش في مستهل حياته بين الفروسية ومطالعة كتب الأدب وفي أثناء اضطرابات الأمور على عمه يحيي بن محمد الذى كان يتولى أمر المنطقة سنحت له الفرصة فتولى الامارة بدلا عن عمه الذى استقر في أملاكه في قرية البيض .
وما هى الا سنوات قليلة حتى عارضه عمه حمود كما أسلفنا وتغلب عليه حتى استولى على الامارة ومع ذلك نرى عليًّا بن حيدر يشترك في معركة أبى عريش بجانب عمه ضد الجيش السعودي ، وانما قبل التسليم وعندما رأى الغلبة أشار على عمه بالتسليم فامتنع فاتصل بعبد الوهاب وطلب منه ارسال مقدم من جيشه لحماية =

داره خوفاً مما سيقع على الحرم من الترويع من المعرة فيما لو أخذ (حى الديرة) بالقوة وانما في صبيحة تلك الليلة وافق حمود على التسليم.

وبعد دخول حمود في الطاعة وقيامه بارسال أول سرية لغزو تهامة اليمن نجد أن رئيسها هو على بن حيدر، وبعد تقدم على بن حيدر واستيلائه على عدة جهات لحق حمود بقواته التى تحت قيادة ابن أخيه على بن حيدر الذى أصبح من قواد السرايا واشترك في عدة وقائع.

وفي حوالى سنة ١١١٨ أو قبلها بقليل تأزمت الأمور بين على بن حيدر وعمه الأمير حمود وبعد التجاء منصور بن ناصر من الحسينية الى عمه حمود في أبى عريش ألف الجفاء بين الاثنين في الوقوف أو مغاضبة عمهما حمود الى أن اشتد الخلاف فتوجه على بن حيدر وابن عمه منصور الى حسن باشا حاكم محمد على مكة وصارا كما وضحنا في ترجمة ناصر بن منصور ضيفين على حكومة محمد على الى أن قتل منصور وانتهت قوات محمد على من حرب نجد وسقوط الدرعية.

وكان محمد على واجداً على حمود بالرغم من كل ما سبق لأنه لم يشترك مع حملاته الحربية في أية جهة فسجل اسمه في القائمة السوداء من جملة من ينبغى تصفيتهم ولما كان حمود قد توفى بعد معركة الملاحة مباشرة فأصبح طلب الثأر في رأيهم تصفية أو ازالة امارته المتمثلة في وريثه الشرعى أحمد بن حمود، بحجة أن حموداً ثم ابنه محمداً كانوا تحت طاعة السعوديين. وان كان في الحقيقة أن أحمد ابن حمود لم يخلف أبيه الا بعد سقوط الدرعية.

وعملا بالخطة المرسومة للدولة العثمانية ولسياسة محمد على التي كانت توائم بين طاعتها لتبعيتها الاسمية للدولة العثمانية ولارتباطها بالسياسة البريطانية في البلاد العربية، فقد اتجهت حملته الأخيرة بقيادة خليل باشا الى جنوب الجزيرة واستصحب من حلى على بن حيدر من محل اقامته (حلى بن يعقوب) المرشح لاشغال مركز خلف حمود لتناط به امارة المخلاف السليمانى تابعة لادارة حاكم محمد على بمكة ومن حين وصوله الى منطقة المخلاف السليمانى عسكر خليل باشا بقوته قرب ضمد ليباشر الضغوط على الأمير أحمد بن حمود ويدبر الأحابيل وينصب الاشراك وتوجه على بن حيدر من المعسكر رأسا الى داره في أبى عريش.

وانتهى الموقف بالقاء القبض على الأمير أحمد بن حمود في أثناء احدى =

هؤلاء الناس الذين خلعوا الطاعة وهو يعده بذلك حتى صار حصاد ثمرة الصيف في بلد الجعافرة مأرسل الشريف علي بن حيدر خارصا يخرص تلك الثمرة لاجل الزكوات فمنعه الجعرفيون ومن والاهم ، فعاد الخارص مغبون الصفقة ، قد اتصف سعيه بـ الخفقة فثار عند ذلك عزم على بن حيدر وجمع من بين يديه من يام [١] وغيرهم وهمَّ بقصد القوم الى عقر ديارهم ، وكان الليث الهصور والهزبر المشهور الشريف حمود في جهة (تعثر) عند أمواله ومزارعه ، وعنده عصابة من الخيل ، فكتب اليه على بن حيدر وأخبره خبر الجعافرة ، واستحثه للوصول ليكون أحد القواد فوصل في تلك العصابة وتقدم الكل منهم الى غربى وادي (صبيا) في محل يسمى (الحجرين) [٢] مثنى الحجر

= زياراته لخليل باشا ومن ثم إرساله الى مدينة جازان ليلا وترحيله في السفينة التى تنتظره للإبحار به الى مصر.

وبترحيله أسند خليل باشا الامارة الى على بن حيدر وسار الى اليمن بحجة استعادة أملاك الدولة وقسم جنوب الجزيرة الى قسمين :

١ ـ سلم المخلاف السليماني وقسما من تهامة اليمن الى على بن حيدر وأن يكون مرتبطا بحاكم محمد على في مكة .

٢ ـ سلم القسم الآخر لإمام اليمن على أن يدفع خراجا سنوياً ميسراً لمحمد على باسم الدولة العثمانية وظل على بن حيدر في امارته المتأرجحة بين ادارة محمد على في مكة تارة وخضوعه القسرى لأمراء عسير تارة أخرى حتى توفى سنة ١٢٥٤ .

(١) « يام » قبيلة يام أهل نجران : كانوا جنداً مرتزقة مع أمراء آل خيرات ـ راجع « آل خيرات » ، في كتابنا المخلاف السليماني .

(٢) « الحجرين » قرية من قرى « الجعافرة » .

المعروف ، وكان أهل تلك الجهة بعضهم وهابية جعفرية وأكثرهم مع الشريف ، ولما بلغ الجعفريون اقبال الاشراف من أبى عريش وخروج منصور من صبيا واجتماعهم بالحجرين وانهم يقصدون غزوهم اجتمع الجعفريون ومن والاهم من أهل المخلاف الى حدود (الجارة) [1] بجيم بعدها ألف ثم راء مهملة ثم هاء التأنيث . من قرى بيش الشامية ، وفيها الاشراف العماريون [2] يجمعهم والجعفريون نعمة الكبرى ، وهم أهل خيل ونجده ، فاجتمع الجميع بمحل يسمى « البطيح » ثم توجهوا من البُطَيْح بجموعهم يقصدون الاشراف الى مطرح (الحجرين) ولما بلغ الشريف الخبر ثبت الجنود وبند البنود وأخذ كل صاحب راية جهة ، فالشريف حمود ومن في حوزته من الخيل أخذ الميمنة والشريف يحيي [3] بن حيدر ومنصور وأهل الخيل أخذ الميسرة وعلى بن حيدر كان في القلب .

ولما التقى الحيان والتحم القتال كانت الدائرة على الجعافرة فولوا الأدبار ولم ينجهم الا الفرار ، وما زالت خيل الشريف تطردهم حتى مد الظلام ستوره واطلع الليل ديجوره ، فانجلت المعركة عن قتل كثير

---

(١) الجارة شمال غرب « صبيا » من قرى المخلاف الشامي .

(٢) العماريون من سكان قرية الجارة ، ومنهم بيوت في قرية « الجمالة » وفي قرية « الحسينى » وقرية ابى السلع وغيرها الى هذا التاريخ .

(٣) يحيي بن محمد بن أحمد بن خيرات الحسنى أحد أمراء آل خيرات : تولى امارة المنطقة ثلاث مرات في فترات متفاوتة ـ راجع اخباره في كتابنا «المخلاف السلماني» ص ٤٥٨ جـ ١ الطبعة الأولى .

من أهل المخلاف وأسر كثير ، ثم تفرقوا بعد ذلك أيدى سبأ . والشريف استقر « بالحجرين » وكاتبه أهل المخلاف ـ مخلاف بيش ـ يطلبون الأمان فأمَّن من طلب الامان ولم يُقْتَلْ من الاشراف في تلك العشية الا الشريف الهمام مسعود بن محمد الحسنى أخو حمود وخصيصه من بين اخوته ، قتله رجل من موالى أهل الجارة اختلفا هو واياه بطعنتين برمحين فالعبد زهقت روحه في المعركة ومسعود تعلل أياماً ثم مات ودفن بصبيا ، لأنه انتقل من المطرح الى بيت أخيه الشريف ناصر بن محمد وأقام هنالك حتى انتقل الى جوار ربه ، وقتل رجل من يام في تلك المعركة ، وأقام الشريف في ذلك المطرح نحو شهر حتى انتظم الأمر في المخلاف على الطاعة ثم عاد الى أبى عريش وما لبث بعد عودته الا أياما قلائل حتى وثب عليه ـ عمه ـ حمود ينازعه في الملك ويجلب عليه دواعي الهلك ، فاستمد الخلاف والشقاق بينهما قريباً من ثمانية أشهر حتى أنحاز على بن حيدر فى بيته وكان الحرب بينهما برمى البنادق من البيوت . وأقبل الناس على حمود [illegible] مع علي بن حيدر إلا خاصته من اخوانه ومن عليه له احسان [illegible]. وحين طال النزاع وقوى أهل الشام [1] على التجمع وخلع طاعة الاشراف ، أقبلت غوائر نجد تنهب وتقتل من تقتل وتسبى من تسبى ، واشتغل منصور بن ناصر صاحب صبيا بمعاناة أهل الشام ، وكان يحث ابن عمه علي بن حيدر وعمه حمود على الصلح والالتئام وكان في أثناء

(١) « أهل الشام » : يقصد جند الدولة السعودية .

محاربة الشريفين وصل من الجهة النجدية (حزام بن عامر العجماني) غازياً في نحو مائة خيال من فرسان العجمان ونحو خمسمائة من أهل الركاب المطايا ، ولما وصل الى (درب بنى شعبة) وكان (عرار [1] بن شار) المعروف بـ (ابن شله) الشعبى قد دان بدين [2] النجدى وراسل (سالم شكبان) أمير (بيشة) وعاهده على الدخول في الدعوة والقيام بها وبثها في الناس والقتال عليها فأطاعوه من قومه من أطاعه وعصاه الكثير منهم ، فحين وصل (حزام بن عامر) غازيا انتصر به ودخل الدرب وصبحه نهاراً وأخذ دور المخالفين ولم يرتحل حتى نزل أهل الحصون على حكم عرار فقبل منهم العهد على الدخول وأمر عليهم واستوثق أمر (عرار) . واجتمع به السيد (أحمد بن حسين الفلقى) وصحب (حزاما) في الغزو الى (اليمن) وحين ارتحل (حزام) من

---

(١) عرار بن شار الشعبي من دعاة الدعوة في المنطقة توفي سنة ١٢٢٠ هـ في الدرعية ـ راجع الفصل الخاص بقبيلة بنى شعبة من ص ١٣ ـ ٨٧ في كتابنا « الادب الشعبي في الجنوب » جـ ٢ .

(٢) قول المؤلف (دين النجدى) (هو مما روجته الدعاية المغرضة ضد الدعوة الاصلاحية التى قام بها الشيخ محمد لاحياء معالم الدين لاستئصال الشرك ونبذ البدع والا فالدين هو دين الله ورسوله والدعوة هى دعوة مصلح متبع لا مبتدع قام يدعو الناس باحياء ما جاء في كتاب الله وما ورد في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم حين طغى الجهل على الناس وامتدت سدول الظلام والجهل في نجد وغيرها من أرجاء الجزيرة العربية ـ مما سنأتى على بيانه ـ ونكتفى هنا بايراد كتاب من الشيخ محمد نفسه (منشور في كتاب عنوان المجد جـ ١ ص ١٠٦) الى علماء مكة وهذا نصه : =

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام نصر الله بهم دين سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعى الأئمة الأعلام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ـ جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم باخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسائل مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب لا تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى مع أسباب أخرى، فأشاعوا عنا انا نسب الصالحين، وانا لسنا على جادة العلماء، ورفعوا الأمر الى المشرق والمغرب، فأشاعوا عنا أشياء يستحيا من ذكرها.

وانا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب، فنحن ولله الحمد متبعون لا مبتدعون على مذهب الامام أحمد، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا وآباؤهم على ضد ذلك، وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل اليكم الشيخ عبد العزيز بن عبدالله وأشرفتم على ما عندنا بعدما أحضروا كتب الحنابلة التى عندنا عمده كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل. فان كانت المسألة اجماعا فلا كلام، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا انكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه.

وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أنى على دين الله ورسوله، وانى متبع لأهل العلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

والدعوة كما ورد في كتبها وما سار عليه اتباعها هى دعوة لاحياء عقيدة التوحيد وتجديد معالم الدين والسير على طريقة السلف الصالح من سابقى هذه الأمة، وهم يتبعون مذهب الامام أحمد بن حنبل في الفروع. والدعوة ليست جديدة بل هى تجديد وإحياء للعقيدة الاسلامية الصحيحية التى أساسها كتاب الله وسنة رسوله.

وأهم أمور الدعوة التوحيد واختصارا نورد ما جاء في كتاب التوحيد للشيخ محمد:

= ١ — توحيد الربوبية :

التوحيد : هو القول بأن لا اله الا الله ، وهو إفراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذى أرسلهم الله الى عباده - أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

أرسله الله الى أناس ليتعبدوا ويحجوا ويتصدقوا ، ويذكروا الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل ، فضلا عن غيرهم ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق ، وحده لا شريك له وانه لا يرزق الا هو ، ولا يحي ولا يميت الا هو ، وان جميع السموات السبع ومن فيهن ، والارضين ومن فيهن حكمهم عبيده ، وتحت تصرفه هو .

والدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى : (قل من يرزقكم مِنَ السَّماءِ والأرض ، أمَّن يَملكُ السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويُخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون الله ، قل أفلا تذكرون ، قل من ربُ السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ، قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون » .

فهو مقرن بهذا ، وانه لم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاتهم وقربهم من الله ليتشفعوا له ، أو يدعو نبيا مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » وقوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والذبح =

= والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله ، إن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام .. الخ .

٢ ـ توحيد الالوهية :

وهو أهم أنواع التوحيد الثلاثة وهو إفراد الله بالعبادة وصرف جميع أنواع العبادة لله سبحانه ومنع التوسل والحلف والرجاء والاستعانة والاستعاذة والدعاء والتوسل ، والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة ، قال تعالى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) . سورة الأنعام الآية ١٦٢ ، وقال تعالى عن الصلاة والنحر : (فصلى لربك وانحر) سورة الكوثر الآية ٢ وقال تعالى : (وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) الجن الآية ٦ وعن الدعاء قال تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) . وقال تعالى عن الرزق : (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق) سورة العنكبوت الآية ١٧ وقال الله تعالى عن التوكل (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) المائدة الآية ٢٣ وعن الدعاء قال تعالى : (أمن يُجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) سورة النمل الآية (٦٢) .

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات :

توحيد الله في أسمائه وصفاته : ولا يستقيم التوحيد في القسمين السابقين الا بتوحيد الاسماء والصفات .

والدعوة السلفية وأصحابها يثبتون ما أثبته الله في القرآن المجيد ، أوما ورد في الحديث من ذلك بلا تحريف ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ويسكتون عما لا يرد فيه اثبات أو نفى .

قال صاحب كتاب فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد : الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتا لا تشبه الذوات ، فأهل السنة يثبتون ما وصف الله به نفسه ، ووصف به رسوله ، من صفات كماله ونعوت جلاله الى أن قال : قال الشيخ محمد : لا يعرف الله الا الله وهو قد تحدث عن نفسه بصفاته فلا ينبغى لنا أن نحورها ، أو نتأولها ، بل علينا أن نؤمن بها وبقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع العليم) سورة الشورى الآية ١١ . =

= **زيارة القبور :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وسبب ذلك غلو اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله ، كما قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب ، لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواءَ قومٍ ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواءِ السبيل » . الآية ٧٧ سورة المائدة .

التكفير والقتال :

يقول علماء الدعوة : انه يجب على المسلمين أن يحافظوا على نقاء الاسلام وطهارته ، وجاء في كتاب (قرة عيون الموحدين) في باب أفضل التوحيد ، وما يكفر من الذنوب ، قال تعالى :(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) . الآية ٨٢ سورة الأنعام .

قال الشارح : (اللبس) الخلط ، والمراد بالظلم هنا الشرك الأكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعا : انما هو الشرك ، ألم تسمع قول العبد الصالح : (ان الشرك لظلم عظيم)أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية ... الخ .

قال الشيخ محمد في رسالته الى محمد بن عبيد (ان معارضيه قبلوا رأيه في التوحيد والشرك ولكنهم رفضوه في التكفير والقتال ويقول الشيخ : ان احكام القرآن خالدة ويجب تطبيقها على كل من أشرك بالله بما في ذلك من انتسب الى الاسلام .. الخ .

البدعــة :

من المعروف موقف الحنابلة من البدعة في الدين ، وشيخ الاسلام ابن تيميه يقول : ان الدين قائم على أساسين :

١ ـ ألا يعبد إلا الله .

٢ ـ ألا يعبد إلا بما شرع .

(راجع كتاب التوحيد ص ٥٢)ويقول الشيخ محمد في رسالة لأحد معارضيه : أنت تقول بدعة حسنة ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) ولم يستثن شيئا تشير به علينا . =

(الدرب) توجه الى (خبت [1] السيد) محل غربي (الدهنا) في غربي وادي (بيش) في الجانب القبلي والخبت هو القفر الخالي ، إضافة الى السيد بمعنى اللام التي لاختصاص كون السادة النعميون يسكنونه ، والدهنا باسم (الدهنا) المعروفة بديار (يبرين) ما بين العراق ونجد . نعم فتوجه (حزام) ومن معه الى (خَبْت السيد) فلقى به السادة النعميين وهم أهل « إبل » و « ماشية » فقاتلوه وكانت الدائرة عليهم ، وعند ذلك اجلى أهل المخلاف الشامي إلى صبيا ووصل كبرائهم الى منصور بن ناصر يطلبون منه مصالحة حزام وصون الدماء أن تسفك والحَرم أن يضام ، فجمع منصور أهل صبيا بلدة وأعيان المخلاف وشاورهم في الأمر ، وفي أثناء ذلك وصل (أحمد

= **الاجتهاد والتقليد :**

الشيخ محمد رحمه الله لا يذكر في مؤلفاته أو رسائله أنه يدعي الاجتهاد بل قد سبق أن أوردنا رسالته الى علماء (مكة) في سنة ١٢٠٤ هـ انه متبع لا مبتدع وقال انه في الفروع على مذهب الامام أحمد .

ويقول الشيخ : أن الله فرض على عباده طاعة الله وطاعة رسوله ، ولم يوجب طاعة أحد بعينه فيما يؤمر به وينهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتماد عند الشيخ محمد في الأصول على القرآن والحديث ، ويقول هذا هو طريق أهل السنة والجماعة ، والشيخ لا يرفض الإجماع بل هو لديه مصدر التشريع .

ويقول عبدالله بن الشيخ محمد : (نحن .. لا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد يدعيه منا ، والتوحيد في الدعوة السلفية هو أصل الذى أرسلت به الرسل ، وأنزلت الكتب :

(١) خبتٌ معروف باسمه هذا الى هذا التاريخ .

الفلقى) ومعه خط من حزام الى (منصور) — والأشراف ومن في الجهة من أهل العلم فاجمع رأيهم على الرفع الى (أبى عريش) وحصل الغوالى [1] والتوالى ؟ على أن الشريف الكبير الشهير (يحيي ابن محمد الحسنى) ينفذ من (أبى عريش) إلى (صبيا) وينفذ معه الشريف منصور بن ناصر وشيخ الاسلام (أحمد بن عبدالله الضمدى) فنفذ الجميع إلى (حزام) وقد خيم بقرية (الجديين)[2] — وفي بعض النسخ (الحجرين) واجتمع به الجماعة المذكورون وانعقد الأمر على أن الشريف (يحيي [3] بن محمد) يقوم بالعهد والدعوة في (أبى عريش) و (منصور) في جهة (صبيا) وأمورهما منوطة بشيخ الاسلام [4] الضمدى ، وفي أثناء ذلك غزا (حزام) وبعض أصحابه الى خلف أبى عريش في اليمن وقتلوا ونهبوا وسبوا ففزع الناس فزعا كبيرا . وبعد عودة يحيي بن محمد الحسنى من عنده قوض الخيام ونهض يؤم الهضام والآكام وعاد الى (نجد) العريض والناس بقوا بعد ذلك في أمر مريج ، ولم ينتظم لهم أمر في الوفى بعهد (حزام) ، ولا اتفقت كلمتهم على قتال أهل نجد وأهل الشام .

---

(١) رفيع ، ووضيع القوم .

(٢) « الجديين » قرية غرب صبيا تبعد عنها بـ ١٨ كيلا ـ تقريبا .

(٣) من امراء آل خيرات تولى الامارة ثلاث مرات ـ راجع كتابنا المخلاف السليماني ص ٤٥٨ جـ ١ .

(٤) هو الشيخ احمد بن عبدالله عالم ومفتي المنطقة في عصره ولد سنة ١١٧٤ وتوفي سنة ١٢٢٢ في مدينة ابى عريش .

وفي أثناء هذه الفتنة حصل الصلح بين الشريفين حمود وابن أخيه (على بن حيدر) على أن يتأخر علي بن حيدر عن الامارة والولاية ويتقلدهم ليث الغابة ومن هو في الراية [1] (عرابه) ، فقام بالأمر أتم

---

(١) عَرَابة بن أوس الخزرجي :

نسبه : هو عَرَابة بن أوس بن قيظى بن عمر بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرجى .

ترجمته : هو صحابى جليل وممن أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم هو وغلمان معه فاستصغرهم الرسول في غزوة أحد وردهم وهم :

١) عبد الله بن عمر بن الخطاب .

٢) زيد بن ثابت .

٣) أسيد بن خضير .

٤) البراء بن عازب .

٥) عَرَابة بن الأوس .

٦) أبو سعيد الخذرى .

والده : والده أوس بن قيظى من المنافقين الذين شهدوا غزوة أحد ، وهو القائل : (ان بيوتنا عورة) .

وعمه أخو أبيه (مِربَع بن قيظى) بكسر الميم وفتح الباء ـ الأعمى الذى حثى في وجه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ التراب ، حين مر في حائطه وقال : ان كنت نبيا فما أحل لك أن تدخل حائطى فضربه سعد بن زيد الاشهلى بقوس فشجه ، وقال دعنى يا رسول الله أقتله فانه منافق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : دعوه فانه (أعمى القلب) (أعمى البصيرة) فقال أخوه أوس بن قيظى : لا ، لكنها عداوتكم يا بنى عبد الأشهل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا ولكنه نفاقكم يا بنى قيظى) .

أخلاقه : كان عرابه سيداً جواداً مشهوراً له بذلك، وصل الشاعر الشماخ الى المدينة فلقيه عَرابة فسأله عما أقدمه المدينة فقال : أردت أمتار لأهلى على هذين =

قيام ورفع الأشراف والقضاة في ذلك الى الإمام [1] وأخبروه باختيار (حمود) للقيام بالأمر فعاد الجواب بالإمداد المعتاد بمرسوم الولاية والحصان والكسوة على وفق المراد واطاعة جميع الاشراف ولم يبق من أحد اليه خلاف فتوجه لمقاومة أهل الشام ، وما زالت المكاتبات والمراسلات بينه وبينهم واجتمعت كلمة (أحمد بن حسين الفلقى) و (عرار بن شار) على أن تكون دعوتهم واحدة . عند ذلك قويت شوكة أهل مخلاف بيش وتظاهروا بموالاة (أحمد الفلقى) ولم يبق الا (النعامية) أهل (الدهنا) و (العالية) فهم لحقوا بمدينة (صبيا)

= البعيرين فأخذه الى داره وأكرمه وكساه وأوقر البعيرين برا وتمرا فامتدحه بقصيدة منها البيتان المشهوران :

رأيتُ عـرابَـةَ الأوسى يسـمـو إلى الخيرات منقطع القـرين
إذا مـا رايـةٌ رفـعت لمجد تـلـقـاهـا عـرابـة بـاليمين

وقول الشماخ : (عرابة الأوسي) بياء النسبة هو لنسبته إلى أبيه لا لقبيلة الأوس لأن عرابة خزرجى كما سبق أو أوردنا نسبه .

ووفد عرابة على معاوية فقال له بأى شيء سدت قومك ، فقال : أعفو عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى عن حاجاتهم فمن فعل كما أفعل فهو مثلى ومن قصر عنه فأنا خير منه ومن زاد منهم فهو خير منى .

(١) هو الامام المنصور علي تولى الامامة في اليمن سنة ١١٨٩ ـ ١٢٢٤ هـ وكان عهده عهد اضطرب وفتن وفوضى ، قال عنه المؤرخ « الكبسى » : «كان في زي عظيم وملك عقيم ، تلاشت عليه الامور بخروج التهايم وبنادرها .... وبقيام عبد العزيز النجدي وابنه سعود ، فلم يبق للمنصور ذكر في التهايم .

والا أهل (الملحا) [١] فانهم لم يدخلوا فيما دخل فيه أهل مخلاف بيش وسبب ذلك أنها وصلت غازية من قحطان المتاخمين بلاد نجد وكان قصد تلك الغازية اليمن لبلاد أبى عريش وضمد فحصل منهم تعدى على راعى غنم وبقر من أهل (الملحا) وقد كان أهل الملحا عاهدوا حزام العجمانى حين وصوله (بيش) ففتك أهل قحطان بالراعى واستاقوا الماشية ، وذكر اهل الملحا العهد فلم يلتفتوا له فاجتمع أهل الملحا على قتالهم وحصلت معركة عظمى [٢] ذهب فيها اكثر تلك الغازية ولم ينج الا أميرهم ، خشر العاصمى ، من ولد عاصم بن محمد من قحطان ، والا أهل الخيل فلهذا السبب استوحش أهل الملحا من موالات « النجدى » وساروا الى الشريف حمود .. وعاهدوه على الموالاة والمعاداة وهم قوم لهم منعه في قريتهم وحين اتحدت كلمة (الفلقى) و (عرار) وقويت شوكة المخلاف بيش استنفر (الفلقى) أهل ساحل بيش الجعافرة وأهل « الاثلة » على قتال أهل (الملحا) وتقدموا الى (أم الخشب) حتى جعلوا (الملحا) وراءهم وانتظروا وصول المدد من عرار بجنود يقوون بهم على أخذ الملحا ، فلاذ أهل الملحا بالشريف واستنفروه للغارة عليهم فامدهم بيحيي بن على فارس ابن أخيه وبالعلامة الحسن بن خالد الحازمى [٣] في أهل الخيل ،

---

(١) « الملحا » قرية معروفة شمال قرية « أبى السلع » .
(٢) راجع ص ٦٣ جـ ١ من كتابنا الأدب الشعبي تفاصيل وملابسات تلك الوقعة بين تلك الغزية واهل قرية « الملحا » .
(٣) الحسن بن خالد الحازمى من عشيرة الحوازمة المعروفين .

وأمره أن يستنفر من هو من حزبه من الرعايا فاستنفر أهل (ضمد)[1] وأهل « الحسينى » .

أما ضمد فهى بلدة العلامة الحسن بن خالد المعروفة بهجرة العلم قديما وحديثا يسكنها بطون من الاشراف الحوازمة والمعافين[2] ويسكنها القضاء البهكليون[3] وبنو النعمان[4] والعمريون[5] حملة العلم ، فنفر في صحبة الحسن بن خالد كل من لم يخالط قلبه بشاشة أهل الدعوة النجدية وأما أهل الحسينى وهى بلدة من أعمال صبيا يسكنها الأشراف الذريون وأولاد ذروة بن يحيي بن أبى الطيب فأجابوا داعية ولم يستأذنوا من أميرهم الملك العادل منصور بن ناصر وكان هَمَّ أهلُ صبيا بالاعتراض للشريف يحيي بن علي فارس وحسن ابن خالد ومن معهما من الأجناد وفاءً لما هم عليه من العهد ومنعهم

---

(١) أهل ضمد تولى وزارة حمود وقيادة جيوشه ـ راجع ص ٨٦ جـ ١ من كتابنا اضواء على الأدب والادباء في منطقة جازان .

(٢) « والمعاقين » من عشائر ضمد بالمنطقة ومن أشهرهم العلامة احمد بن على المعافا القرن العاشر .

(٣) «البهاكلة» بيت من بيوت العلم والفضل ـ راجع ص ١٠٣ جـ ١ من كتابنا اضواء على الأدب والادباء .

(٤) بنو النعمان من بيوت العلم والأدب ومن اشهرهم الشيخ عبدالله بن على النعمان مؤلف كتاب العقيق اليماني في حوادث ووفيات النخلاف السليمانى عاش في القرن الحادى عشر الهجرى .

(٥) العمريون : من بيوت العلم والقضا ومن أشهرهم القاضى محمد بن على بن عمر عالم ومفتي المنطقة المتوفي سنة ٩٩ هـ .

الشريف منصور استبقاءً لمودةِ عمه (حمود) وكان شرط في عهده ، أنه لا ينفر إن إسْتنفر ما دام الأمر مضطرباً فنفد « يحيي بن علي » و « الحسن بن خالد » حتى وصلا « سلامة العرب » ، واضافتها للعرب للاختصاص ولمقابلتها سلامة الأشراف فانها غربى هذه بجذاها من الغرب يسكنها الأشراف الخواجيون أهل بيش ويجتمع نسبهم في معافى بن ردينى هم وأشراف صبيا ، وقد استوفينا ذلك فيما كتبناه في أنساب أشراف المخلاف .. فحين خيم الشريف يحيي بن علي والحسن بن خالد « بالسَّلامة » اجتمع أصحاب السيد أحمد الفلقى في محل يقال له (مُشْرف) بضم الميم وسكون الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وآخره فاء غربى السلامة العليا وقبلى سلامة [١] الاشراف العطاوية ويجتمع نسبهم في نعمة [٢] الكبرى وكان اجتماع أصحاب الفلقى هناك ليكون الواصل اليهم من أصحابهم يمكنه الاتصال بهم من دون حيلولة ، فعند خروجهم من (أم الخشب) يريدون (مشرف) بصر بهم أصحاب الشريفين الذى في سلامة العرب فتقدموا اليهم وناوشوهم الحرب بالتحم القتال واتصل الرجال بالرجال والخيل بالخيل ، وكانت الغلبة لأصحاب حمود وانهزم أصحاب (الفلقى) وقتل منهم جماعة وأسر جماعة وتفرقوا في قرى بيش واتصل الخبر بعرار بن شار في الدرب فجند الجنود وبند البنود وأقبل يقصد العصابة التى في السلامة أصحاب « يحيي بن على » و « حسن بن

---

(١) هى ما تعرف الآن بـ « السلامة السفلى » .

(٢) هو نعمة بن على بن فليته الحسينى العلوى .

خالد » فحين بلغ منصور بن ناصر اقبال عرار بالجيش الجرار ثنته الأواصر على قومه وأخذته الحمية أن يدعهم لـ (عرار) ، فكتب إلى عرار يطلب منه الاتفاق وتأكيد العهود بالميثاق ، وكتب الى الشريف يحيي بن على والعلامة الحسن بن خالد يأمرهما بالكف عن إثارة الحرب حتى يصل اليهما ويسعى في الصلح ما بين عرار وبينهما ، فخرج في نصف شهر القعدة الحرام سنة **ستة عشر بعد المائتين والألف** ، وجمع من أهل صبيا زهاء الألف ، ولما وصل الى السلامة خيم بين المطرحين ، وأصلح بين الفريقين على هدنة تكون ويرجع الشريفان ومن معهما الى أبى عريش ، وخلفهما عرار في كثيبة قد اعتقل أصحابها السمر ذوات الريش فدخل الحصن الذى كان فيه يحيي بن على وحسن ابن خالد في سلامة العرب كان عَمَرَهُ الشريف أبو طالب بن محمد أخو الشريف حمود ومات في تلك السنة التى وقع فيها الحادث ، فاستقر عرار بالسلامة واستتم له الأمر والزعامة ، واجتمع به الشريف منصور وتأكدت بينهما العهود في جميع الامور وعاد عرار الى الدرب وأقبل منصور الى صبيا وقد ظهرت عليه ستار الدعوة النجدية وحث رعيته على العمل بما يعمل به أهل تلك الدعوة ، ونادى بتحريم (التنباك) وتزيا جنده بما يتزيا به أشبال تلك اللبوة ، وبالغ في الزجر على مرتكب التنباك وكان هو من أعظم المستعملين له وممن كان يعسر عليه مفارقته ، فهجره هجر الغزال ظله ، وفارقه مفارقة الميت أهله ، وقال قبيح بنا أن نؤدب على الشيء ونحن لا نتركه ، فبلغ جميع ما صنع منصور الى مسامع عمه حمود الأسد الهصور فقلب له ظهر المجن وهم أن يبدأ به في اثارة الفتن ، فأشار عليه اخوانه من الأشراف أن

يتركه ويبدأ بعرار وأهل « المخلاف » فإن قدره الله عليهم فمنصورا أطوع له من الظل ، وأن عجز عنهم فالحال بينه وبين ابن اخيه على جُمل ، ولما بلغ منصور ما هم به عمه جمع أهل بلده وأجرى عليهم قلم القِلْمه ، فنافوا على الثلاثة الآلاف ، ثم جمع أهل الخيل من أهل صبيا والنعميين ومن اقتدر على جمعهم وانتظر قدوم عمه اليه ، وارساله الجنود عليه ، وأقبل عرار وقد جمع كثير من رجال السراة من عسير وطوائف البدو وأهل مخلاف عتود .

وحمود خرج من أبى عريش وقد جمع من أطاعه من الجند ولم يجاوز جنده خمسمائة نفر ، والخيل زهاء السبعين ، فخرج من أبى عريش في آخر شهر الحجة الحرام سنة **ستة عشربعد المائتين والألف** الى وادي جازان ، وفي مخيمه بجازان وافاه الخبر بوفاة الوزير حسن [1] بن عثمان بن على بن يحيي القرشى الأموى ، ثم سار الى وادى ضمد ، ثم الى ساحل صبيا ووصل الشريف المعظم محمد بن حيدر بن محمد الحسنى والشريف محمد بن ناصر بن محمد صنو الشريف منصور يعرضان عليه ترك التعرض لعمه وانه اذا لم يناصر عمه فيحفظ مركزهُ ولا يعين عليه ، ثم ارتحل الشريف حمود الى ساحل بيش **وأحرق**

---

(١) حسن بن عثمان العلفى وزير امام اليمن المنصور علي تولى الوزارة سنة ١١٩٩ .

القرى ونهب [1] ما فيها **من الحبوب** وتوجه الى بيش حتى نزل بالدحل بضم الدال المشددة وسكون الحاء المهملة بعدها لام ، موضع بين سلامة العرب وسلامة الاشراف ، وبينه وبين سلامة العرب رأى العين ، وحين نزل ذلك المكان خرج عرار وجنوده وأبرز عسكره وبنوده وطفوا للقاء أصحابه والشريف حمود صف أصحابه وأشهر سيفه وهز عامله والتحم للقتال واشتد وقع الرصاص في الرجال وكان الصولة لخيل الشريف فركضت الخيل حتى دخلت القرية وانهزم أصحاب عرار وكان غنيمتهم الفرار وانحازوا الى حصن أبى طالب وظنوا أنه النجاة ولا نجاة لهارب . وحين سكنت رحاء الحرب وهدأت عيون الطعن والضرب ، استقر حمود بمخيمه وأقبل اليه الجند باسير مسلوب أو سيف مخضوب وعامل يسيل منه الأنبوب وقد تبسم له وجه النصر ولاحت على مخيمه تباشير الظفر ولم يقتل من جنده ، الا ابن عمه الشريف أحمد بن ناصر بن أحمد ، وكان شريفا مكملا وقتل ابن أخيه الشريف ناصر بن علي فارس بن محمد وكان في عنفوان الشباب ما بلغ العشرين ، ولم يقتل غيرهما من أهل الخيل ، وقتل من العسكر أهل البندق نفر يسير ، وقتل من أصحاب عرار جماعة من العسكر وقتل من أصحاب رؤساء خيله السيد الفاضل العارف على بن داحش بن عقيل القبة من القباب مسكنه الملحا ، يجتمع نسبهم في نعمة الكبرى هم والاشراف المتامة أهل الملحا وأولاد فليته أهل ام الخشب كل هؤلاء من بطون أشراف المخلاف الذى يجتمع نسبهم في نعمة

(١) هكذا ظل سكان المنطقة يقاسون الأمرين من الأمير المحلي ، والغزو الطارىء .

الكبرى ، وكان المذكور سيدا فاضلا تعلق بطلب العلم وحصل من فروع الفقه شيئا وانتسب الى طلبة العلم أياما ثم انحاز الى مجاورة الشيخ الرئيس عرار بن شار فتلمذ له عرار وطلب على يده العلم وتكفل عرار له بأمر دنياه وسكن في الدرب حتى أقبل عرار على دعوة ابن عبد الوهاب تناول بن داحش من ثمار تلك الدعوة ما أينع وطاب ، وتظاهر بالرسائل نيابة عن عرار الى كل من راسله عرار ، ولعله كان يصدر منه أقذاع في القول ويسارع الى اطلاق الشرك على من خالف عرار في نحلته وان لم يكن مشركاً في نفس الأمر ، فوجد عليه الشريف حمود والاشراف وكبر ذلك في المخلاف ، ومع ذلك عدوا قتله من الانتصار ومن الأخذ بالثأر ، والى الله يرجع الأمر كله وهو الغفور الستار ، والشيخ عرار بعد انقضاء الحرب استقر بالحصن الى آخر ذلك اليوم ثم قوض الخيام يقصد (الدرب) وقد امتلأت عيبته من الطعن والضرب ، شعرا :

فيوم علينا ويوم لنا
ويوم نساء ويوم نسر

والشريف استقر بذلك المخيم وجعل في حصن أبى طالب رتبة تمنع عنه الطالب وتؤمن الهارب ، وأقبل اليه أهل السلامة وطلبوا الأمان وأحاد من أهل المخلاف ، واختلف الناس فبعض أقبل على الشريف وبعض ارتحل الى الجبال يتوقى وقائع الاستقبال ، فاستقر في مخلاف بيش نحو من عشرين يوما ثم انصرف راجعا الى أبى عريش وقد وجد في نفسه على الشريف منصور وأهل صبيا وكانت طريقه على الساحل

من وادى بيش حتى طرح بقرية الباحر ، وهي قرية غربى صبيا بنحو فرسخ أو أقل وضرب هنالك الخيام وتهيأ لأخذ صبيا ومن فيها من الأقوام ، ولما تحقق ذلك للشريف منصور زار زأرة الليث ووثب للدفاع من غير ريث ، وجمع جنده وقدح زنده ورتب الأقوام في أطراف البلد وعبأ أهل البندق على حدة ومثلهم أهل الخيل والسيوف المجردة ، وركب في الخيل بعد أن اجتمع عنده منها ما يشبه السيل وشارفت خيل الشريف حمود الى قرب مساحة البلدة على رؤية العين ، فانتدب للقائها من يحمى الذمار ويدفع العار ، وحين علم الأشراف أن منصور لا يسلم البلد ولا يمكن نيلها وقد صارت غيلا للأسد ، سعى كبراؤهم كالشريف على بن حيدر والشريف يحيي بن على الى الشريف حمود أن يأذن لهم في السعاية والدخول الى منصور وخاطباه بما يطلبه الليث الهصور في الدخول تحت الطاعة والانقياد مع الجماعة فقابلهما بكلام كأنه الدر المنثور وفي معناه قاسيات الصخور ، وكاد الأمر أن يتفاقم والشر أن يتعاظم ، فرأى السعاة أن يلتقى منصور وعمه ومع الاتفاق يزول وحر الصدور ، ويذهب ما في العين من الكدر ، فركب منصور الى (الباحر) وسلم على عمه واعتذر اليه بأن الحامل له ما صدر منه هو من عدم المعاونة ، والباعث له على اظهار المباينة ما يخشاه من غوازى أهل نجد وانهم لقوة بأسهم وكثرة ناسهم لا تنقطع غوازيهم في كل شهر ، ومع ميل قلوب أهل البلد الى ما عليه النجود ، يخشى أن يحل بساحتهم ما حل باهل الاخدود ، وما رأينا أسلم للبقاء على أهل صبيا والمخلاف الا باظهار الانتماء الى أهل هذه الدعوة وترك الخلاف وهو حسن العبارة ذلق اللسان يظهر على كلامه

رونق القبول ولا يسع السامع لكلامه الا الانصات لما يقول ، فقبل عمه معاذيره . وتفرقا من ذلك المخيم وقد أظهر البشر من كل منهما أساريره ، فارتحل الشريف من (الباحر) في أوائل افتتاح **سنة سبعة عشرة ومائتين بعد الألف** .

وكان طريقه الى قرية (ضمد) فخيم في جانبها الغربى وقبض على جماعة كان اتهمهم بموالاة (الفلقى) ومكاتبة (عرار) وانصرف الى (أبى عريش) في آخر النهار وأمسى في طرف البلد ودخل أبى عريش نهاراً وواجهوه الناس يهنئونه بالظفر سرا وبقى نحو ثمانية أيام يتوخى أخبار أهل الشام فما راعه الا وصول أهل الملحا هاربين وقد أرجف الناس بهم وأوجف فيهم البأس وقيل هذه غوازى (شهران وخيولهم التى هى كالعقبان ، وهذه مطايا (قحطان) كأنها القلل ، والكتائب التى كل كتيبة تشابه الجبل ، فخرجوا من قريتهم الى جهة (اليمن) وقد نادى الشريف منصور في أهل مملكته ان لا ذمة ولا جوار لأحد من أهل الملحا ومن توسع لهم حل به ما حل بهم من النكال ، فنبذهم أهل مخلاف صبيا نبذ القوس القذة فلحقوا بالشريف حمود فأمرهم بالنزول في قرية ضمد وما والاها مما تناله حمايته وجاءت غازية قحطان واشعلت في بيوتهم النار ، وذهبت لا عين ولا أثر ثم تتابع الغزو من النجود في كل أسبوع غازية ، وما زال منصور ينمو خبره وعرار يتزايد شره والفلقى يعلو أثره والناس تقبل الى منصور للمعاهدة والدخول تحت الطاعة وجيل من الناس يجنح الى الفلقى ، وكان في نفس الشريف منصور شيء كثير على أهل (الحسينى) لأنهم من بلد ولايته ولم يكن منهم انضمام اليه بل توجهوا الى حمود وتظاهروا بقتال

عرار والنجود ، وبقى الحال الى أوائل شهر ربيع أول بسنة **سبعة عشر ومائتين بعد الألف** . واذا قد وصلت الأخبار بإقبال الغوازى الكبار مثل (حزام العجمانى) وزبران القحطانى ، وكانت طريق (زبران) الحازة[1] بتشديد الزاى ـ الشرقية يريد غزو أهل الحسينى ، وتم له ذلك ووقع بينه وبين أهل الحسينى المعارك واستولى الغزو على مواشى أهل الحسينى وقتلوا منهم رجالا كثيرا ، وثبت في ذلك اليوم الشريف أحمد بن حسين الذروى وأصيب برصاصة في حلقه أصابت سلعة [2] كانت نابته في حلقه من تحت دقنه قد أعياه أمرها فوقعت الرصاصة فيها فاذا بها كأن لم تكن وسلم الحلق ، ورب خير يأتى من طارق شر ، فهرب أهل الحسينى الى صبيا ولما وصلوها طلب الشريف منصور كبراءهم رهائن لديه وحبس من خاصتهم جماعة ونكلهم من المال شيء كثير ، وبعد ذلك عاهدوه على السمع والطاعة والدخول مع الجماعة ، وأما (حزام) ومن صحبه من الغزو كسلطان بن ربيع ، وربيع مصغرا [3] وربيع باسم الشهر المعروف ، أمير الدواسر وهذا أمير

---

(١) « ألْحَازَّة » بفتح الحاء المهملة بعدها الف فزي مثقلة مفتوحة وآخرها ، هاء النسوة المربوطه : الحزن الذى هو ضد السهل .

(٢) السَّلْعَة زائدة لحمية تكون في العنق تحت الذقن .

(٣) هو رُبيع ـ بالتصغير ـ رئيس (المخاريم) من قبيلة الدواسر في الوادى المعروف ـ بوادى الدواسر ـ وفي القديم بوادى العقيق وفد رُبيع وأخوه (بدن) ابنا زيد الدوسرى الى الدرعية للدخول في الدعوة سنة ١١٩٨ وعاد بعد اعطاء البيعة ولقى مقاومة من قبيلته الدواسر ولا زال معهم في حرب تارة له وتارة عليه ، وأخيرا =

= ارسلت الدرعية (سليمان بن عفيصان) فقضى على المعارضين وصار برؤسائهم الى الدرعية فبايعوا على السمع والطاعة وذلك ١٢٠٢ ومن وادى الدواسر انتشرت الدعوة لـ (قحطان ـ بيشه ـ شهران ـ ومنهم الى من ورائهم إلى بلاد عسير المجاورة .

ان الدعوة يتسرب اشعاعها الى القبائل قبل الرؤساء فاذا تمكن دعاتها من الوصول الى قرية أو قبيلة استيقظت نفوس وقلوب القبيلة في يسر وسهولة ، فأخذوا في تدارس القرآن الكريم وتعليمه للأميين والزموا بصلاة الجماعة في المسجد ، وبتواجدهم يقرأ عليهم المطوع رسائل الشيخ في التوحيد ، وسرعان ما تنجذب نفوسهم لسلطان الدين وهدى كتاب الله وسنة رسوله ويترجم الايمان الى الأعمال ويعيشه مقتنعوه في عبادتهم واخلاقهم وتصرفاتهم بحيث يصبحون طبعة اسلامية جديدة للدين .

ولا يبعد أنه بعد رسوّ سلطان الدعوة في وادى الدواسر تسربت في سرعة ومضاء الى قحطان وشهران وعسير ـ كما أشرنا ـ وأخذت زمنا تتخمر فتعمل ثم تنتشر فالدواسر بِقُرابَتها نسبياً عن عسير أخذت الدعوة بواسطة الدعاة فتعمل في نفوس أهلها وقتاً ثم عندما أحْرزت بعض النجاح توجه (رُبَيعٌ واخوه) الى الدرعية للمبايعة وتقديم الطاعة سنة ١٢٩٨ ونقدر أن تباشير الدعوة بدأت بواسطة الدعاة المتوافدين أولاً كذلك بنحو خمس او ست سنوات ومع ذلك بعد اعتماد (ربيع) كأمير أو رئيس للدعاة في قومه استغرق دخول جمهرة الدواسر في الدعوة أربع سنوات ، بعد قتال ومقاومة معروف أمرها .

وهذا ما نراه يتفق والواقع في عسير ، فان الدعوة قد تسربت اليهم بواسطة الدعاة أولاً عن طريق مجاوريهم ولا يبعد أن يكون في سنة ١٢٠٨ .

ولنا الدليل في الدعوة وطريقتها فانها تبدأ باستقطاب القاعدة قبل القمة وبالافراد قبل الرؤساء منهم وشيوخهم وعندما تتمكن من القاعدة يضطر الرؤساء الى اعتناقها قبل أن يطلق عليهم اسم الشرك أو يتولى على القاعدة مكانهم أهل السابقة في الدعوة .

وهذا ما ينطبق على الواقع من قبل ثلاث وستين سنة ـ تقريبا ـ من تاريخنا الحاضر . في جهة (تربة) بدأت الدعوة الى الاقعدة بوقت ما وبرغم ما يقال عن الظروف الظاهرة وما هو معروف من الاختلاف بين خالد بن لؤى والحسين بن على وابنه عبدالله ، فالحقيقة أن خالداً قد شعر بسلطان الدعوة في قبائل البقوم وغيرهم =

= من قبائل تلك الجهة وكادت أن تهتز مكانته بفقد رياسته فيهم ، ان قوة سلطان الدين على النفوس فوق كل سلطان ولذلك نظر في الخيار الذى ليس فيه خيار ، القوم قد اعتنقوا الدعوة واتجهوا روحياً الى مصدرها ولا ينقادوا لأية سلطة عليهم أو سلطان الا مصدرها ، فإما أن يدخل في الدعوة ويتصل بمصدرها لتعطيه الشرعية والسلطة الدينية والزمنية ، والا فالبديل موجود في القاعدة نفسها .

لهذا سبق أو زامن الخلاف بين الحسين وخالد مع الوقت ومقتضيات الموقف فاتجه هو الى الرياض ودخل في الدعوة سرا .

وهذا هو ما وقع في عسير في عهد الدولة السعودية الجديدة بدأت الدعوة تنتشر في القبائل حولها ومنها تسربت الى عسير ، وكان أنصار الدعوة ومعتنقوها وعلى رأسهم عبد الوهاب أبو ملحة وغيرهم الظاهرين الذين نالهم التنكيل والبطش من رؤساء آل عائض أما المستخفون فتستروا تحت ستار من التعمية والتخفى عندما أعيا آل عائض إخفات الأصوات وإخماد الحركة ، أخذوا في محاولات القبض عليهم ففر من فر الى الرياض وبقيت الأحداث معروفة .

والدعوة في عهدها الأول أخذت دورتها فاستقطبت بعض آل التحمى ومنهم محمد بن عامر وعبد الوهاب ونقدر أن الأخوين عندما أخلصا للدعوة توجها الى الدرعية بتوصية وتعريف من الدعاة ، وهناك أخذا في تلقى الدروس المختصرة في مدرسة الشيخ ، وعندما استكملا الدراسة ولمس منهما الاخلاص اسندت اليهما الدعوة في وطنهما فاستجاب لهما من استجاب وعارضهم من عارضهما فرفعا للدرعية بالواقع فوصلتهما الامدادات فمكنت للدعوة وانتهت المعارضة في حوالى سنة ١٢١٥ فسارا الى الدرعية برؤساء المعارضين الذين استلموا وهناك دعت الحاجة بناء على استصراخ عرار والفلقى ومنصور من حمود ، وصادف وصول الأخوين محمد ومن رافقهم فاسندت اليهم الدرعية أمر اخضاع حمود وزودوا بأوامر الى رؤساء الدواسر وقحطان وشهران وبيشة وغيرهم للسير معهم بمجاهديهم ، فتوفى الله محمد بن عامر في الطريق فصدرت الأوامر بإسناد منصبه الى أخيه عبد الوهاب .

كان من الخطط العامة أو ما يسمى بالاستراتيجية في المصطلح الحديث تنمية الروح العسكرية في الشعب ـ كما كان في العهد الاسلامى الأول ـ بحيث يكون الشعب معبأة روحه بالاستعداد للجهاد في أى وقت ، فاذا أرادت الدولة الاستنفار للقتال ـ صدرت الأوامر الى رؤساء القبائل والبلدان بإرسال مجاهديهم الى محل =

= معروف في يوم معروف والاستنفار على نوعين :
١) استنفار عام ـ فرض عين .
٢) استنفار ثانوى ـ وهذا يكون نسبيا وفي بعض الجهات المستوجب عليهم القيام بواجب الجهاد في ما حولهم وفي مثل غزوة عبد الوهاب بن عامر فانه ارفقته الدرعية ببعض القادة والموجهين ـ هيئة أركان حرب ، وسلم أوامر الى :
١ ـ وادى الدواسر ـ وقحطان ـ وبيشة ـ وشهران ـ وبنى شهر ـ وعسير وغيرهم مثل : عرار بن شار داعية بنى شعبة والفلقى في بيش والجعافرة ، ومنصور بن ناصر في صبيا وجهاتها وكل ما مر على جهة سلمهم أمر جهادهم وحدد له يوما للوصول الى معسكره في عسير ، وهكذا وبوصوله عسير أمر القبائل باحضار شوكتهم في يوم معروف يتفق وموعد وصول القبائل المشار اليهم أعلاه ، وعلى كل قبيلة أن توزع على القبيلة على أفرادها قيمة البندق والمطية والعتاد لمن لا يملك ذلك ، أما المقتدر فعليه سلاحه وعتاده وفرسه أو مطيته ومؤنته ويكون المؤنة (الزاد) لشهر واحد لوصولهم الى منطقة الغزوة .

فاذا كان مجاهدو القبيلة مائة شخص وتعدادها ألف فيكون على كل أسرة مكونة من عشرة أشخاص عليهم ريال وما زاد وما نقص بحسابه ، وهذا على وجه التقريب ـ فمائة ريال على ألف ليس بالأمر الباهظ الذى يثقل كاهل القبيلة والمائة الريال في ذلك الوقت لها قيمتها الشرائية فتكون كافية لتجهيز الفقير من شوكة القبيلة أما الغنى كما أشرنا اليه فعليه تسليح وكفاية نفسه .

وبتلك الطريقة تعبأ روح الشعب للجهاد وتنمى فيه القدرة الحربية والعزة القومية والروح الاسلامية فيصبح قوة جاهزة على مستوى الشعب يشعل الدين فيهم روح الجهاد وقوة العزيمة وحب التضحية يؤديها دائما ما يلقى بمساجد كل قرية من الحث على الجهاد وفضائله والدروس الدينية في التوحيد ، وان العزة لله ولرسوله وللمسلمين وخلوص النفوس من الشرك والاعتقاد (بولى) أو قبر أو بشر مثلهم أو الخضوع لغير الله ، فيصبح الفرد طاقة معبأة بالقوة الروحية العليا ، والطاقة الايمانية القصوى ، ويصبح الشعب في تعبئة شاملة ، فالقسم الغازى مهيأ بقوة الايمان وروح التضحية والقسم المتخلف مشتغل نفسيا وفكريا بأبنائه واخوانه في الجهاد مستشرفاً ومتطلعا لأخبار انتصاراتهم موفراً ما يمكنه ارساله اليهم فإن كان نصر فالشكر لله وان كان الأخرى فالأجر محتسب للجميع وهذا بخلاف الجند المرتزقة =

الغازية ولده ، وخيموا بقرية (الحجرين) وانضم اليهم الشريف احمد بن حسين الفلقى ومن قد والاه من أهل المخلاف - مخلاف بيش - وكاتبوا الشريف منصور في الخروج اليهم وأن يجمع كل من تحت طاعته ، واخبروه أن عرار قد جمع أهل طاعته وأرسلهم صحبة أمير من عنده وهو أخوه عيسى بن شار ، فأنت اجمع أهل طاعتك وانضم الى غزو المسلمين ، ويكون القصد قرية (ضمد) فجمع منصور قومه وخرج بنفسه ، واجتمع من جميع الغزو ما ينوف عن الثلاثة الآلاف ثم توجهوا بعد ذلك الى « هجرة ضمد » ، وقد اجتمعت كلمة أهلها على المدافعة والقتال ورئيسهم الأسد الرئبال الشريف العلامة « الحسن بن خالد الحازمى » وهو في ريعان الشباب وبدأ النشأة التى أنطوت على العجب العجاب ، فصبحهم العدو وقت الاشراق ، ولقبهم أهل ضمد بعوالى الرماح والبيض الرقاق ، واشتد القتال وطال مثار النقع الى منازل الهلاك ، واستولى (الشروق) على البلد بعد أن شربوا الزعاق وتجرعوا الكمد ، وقتل جماعة من أهل العلم والتدريس وهتك كثير من الحرم ، ولم يرع صاحب ولا خليل لخليله شيئا من الذمم ، وسبب ذلك التأويل فان أهل نجد يزعمون ان أهل ضمد أهل شرك ثم أسلموا عند وصول (حزام) وخروج الشريف يحيي بن محمد الحسنى اليه وصحبته شيخ الاسلام أحمد بن عبدالله كما

= الذين لا هم لهم الا الارتزاق ، والشعب من ورائهم لا يرى أنهم الا أجراء من سلطة لا رابطة بينه وبينها الا التسلط عليه ، فإن انتصر المرتزقة فلا يرى في ذلك إلا تمكيناً للتسلط ممن جهزهم ، وإن هزموا فلا يرى في هزيمتهم إلا التشفى المستور

قدمنا في هذا الكتاب ، ولما ولو الشريف حمود وجعلوا تلك الموالاة ردة وتأويل أهل ضمد والسيد العلامة الحسن بن خالد وعلماء ضمد أن أهل نجد خوارج حكمهم حكم الخوارج [1] أهل النهروان . وهذه مسائل قد فرغ منها ، وقد شعر :

وقد انقضت تلك السنون وأهلها
وكـــأنهم وكـــأنها أحلام

---

(١) الخوارج :
جمع خارجى وهم أقدم فرقة من الفرق الاسلامية ، وكان لها دورها السياسى والدينى في عصرها من ناحية نظريتهم في الخلافة ، وهل الايمان الصحيح يكون بالايمان أو العمل ، وغير ذلك من أقوالهم التى سنأتى عليها :
وقد اضطرب الأمن وتعكر السلام في شرق البلاد الاسلامية في السنتين الأخيرتين من خلافة على ، وساعدوا بصفة غير مباشرة في فوز جانب معاوية بإضعاف قوة علي .
أما أصل حركتهم فكانت في صفر سنة ٣٧ يوليو سنة ٦٥٧ ، عندما شعر معاوية بالهزيمة في صفين فأشار عمرو بن العاص برفع المصاحف مناديا أن يحكم كتاب الله فيما بينهم فسارع أغلب جند على طالبين ايقاف القتال وقالوا لعلي : القوم يدعونا الى كتاب الله ، وأنت تدعونا الى القتال ويقدر ما أراد علي اقناعهم وانها خدعة من معاوية وعمرو بن العاص فانهم أصروا على ايقاف القتال وطلبوا منه حالا ايقاف الهجوم الصاعق الذى يشنه (الأشتر) على صفوف معاوية مهددين بأنه ان لم يفعل فعلوا به ما فعلوه بعثمان .
وخشية من الفتنة أمر على (الأشتر) بالتراجع وبقية القصة معروفة باختيار الحكمين وما تم في (دومة الجندل) بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص .
ثم خروج طائفة لم ترض الحكم وجلهم من بنى تميم من معسكر على =

= وانسحابهم الى (حروراء) وأمروا عليهم رجلا منهم هو (عبدالله بن وهب الراسبى) فيحاول (علي) اعادتهم بالحسنى والموعظة فلم يفعلوا فكر عليهم حتى أتى على أكثرهم قتلا وقيل انه لم ينج منهم الا تسعة تفرقوا في البلدان ثم تزايدوا بمن كان غائبا أو أنظم الى طريقتهم أو دخل في نحلتهم واستمروا في تطرفهم وفي تصرفاتهم وعقائدهم والقول بالطعن في سلوك عثمان واستنكار الثأر لمقتله والقول بعدم أحقية علي في الخلافة وبكفر من لا يجاريهم في التبرؤ من عثمان ، وغير ذلك مما هو معروف عنهم وانقسموا الى فرق عدة ، كما هو معروف في كتب الملل والنحل ، ومن المعروف أن حركة الخوارج في أيام الخلافة العباسية كانت قد انقرضت وكان آخر حركة تذكر لهم هى حركة (الوليد بن طريف) في عهد هارون الرشيد .

والشيخ محمد سلفى العقيدة حنبلى المذهب ، يشيد بالصحابة ويقدرهم ويترضى عنهم جميعا ويتولى الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

أما موضوع الخلافة والامامة فهو يتبع رأى أهل السنة والجماعة لأن الخلافة أمر دنيوى والله سبحانه وتعالى يقول : (أطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم) وفي الأثر اسمعوا وأطيعوا ولو وُلي عليكم عبد حبشى ، ومن قول عمر عندما شعر بدنو الأجل بعد جرحه المعروف لو كان أبو عبيدة حيا لأشرت بتوليته ولو عاتبنى ربى لقلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أبو عبيدة أمين هذه الأمة ولو كان سالم مولى حذيقة حيا لأشرت اليه ولو عاتبنى ربى فيه لقلت سمعت رسول الله يقول « سالم » تستحي مِنْهُ ملائكة الرحمن ، أو ما هو بهذا المعنى .

وأمر الخلافة أو الامامة أمر يطول شرحه ويعمق بحره ويكثر القول فيه يقول الشهرستانى في كتاب الملل والنحل ص ١٢ أنه ليس مسألة من المسائل أسالت الدماء وأثارت النزاع في كل العهود التاريخية ، كما أسالت وأثارت مسألة الخلافة .

وفي حديث الأئمة من قريش والحديث ، اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبدٌ حبشي ما يغنى وفي كتاب الماوردى (الأحكام السلطانية) عرض للموضوع ومنها أن يكون الأئمة من قريش وأن يكون ذكرا بالغا متصفا بسلامة الحواس .. الخ .

انما الواقع التاريخي من بعد عهد الخلفاء الراشدين ابتداء من عهد معاوية كان يعين الخليفة خلفه أو يأخذ له البيعة وهو حى ، وابن خلدون في مقدمته الشهيرة اصطدم بواقع التأريخ واعترف أنه لم يبق من الخلافة بعد زوال سلطان العرب الا =

وعند الله تجتمع الخصوم . وبعد انقضاء الحرب واستيلاء أهل نجد وأهل المخلاف على قرية ضمد واحراقها بالنار تفرق أهلها الى أبي

= اسمها وان الشيعة يسمون كل فرد من أئمتهم بالإمام ما داموا يدعون في الخفاء فاذا تم لهم الأمر يحولون لقبه الى أمير المؤمنين وهذا ما كان من العباسيين ثم الفاطميين .

وعن عدم حصر الخلافة في قريش قال به بعض كبار علماء السنة مثل (أبى بكر الباقلانى) ومنهم بدر الدين بن جماعة من المتوفى سنة ٧٧٣ في كتابه (الأحكام في تدبير ملة الاسلام) حيث يقول ان الامام يلي منصبه اما بالانتخاب واما بالقوة وفي الحالة الثانية يجب أن تؤدى الطاعة للامام الذى يصل الى الامامة بحد السيف ، ويبرر هذا الاغتصاب بالصالح العام ووحدة الجماعة الاسلامية التي تحقق على هذا النحو .

وبعض الفقهاء جاروا الواقع التاريخي وأقاموا مذهبهم ، على ما جاء في الحديث في أن الخلافة ثلاثون عاما فقط فيكون بذلك انتهت بقتل الامام على وتلك هى عقيدة (النسفى) المتوفى سنة ٥٣٧ هـ وقد تولى أمر الخلافة الكبرى بنو عثمان وهم ليسوا من العرب فضلا أن يكونوا من قريش .

أما الشيعة فجعلوا الامامة من أصول عقيدتهم ولم يكتفوا بحصرها في قريش فقط بل يوقفونها على (علي) وأبنائه من فاطمة كما هو معروف في كتبهم وعقائدهم .

وقد ورد في كتاب (الديباج الخسرواني) - مخطوط - قوله : (وقد سمعت جماعة من علماء العصر يقولون عنهم بأن مذهبهم مذهب الخوارج) وعلق على ذلك بقوله : (ولكن هذا خروج عن الانصاف وركوب متن الاعتساف ، فان عامة ما هم عليه هو الدعوة الى التوحيد وترك ما عليه الآباء والأجداد من التقليد ، وهدم ما أمر الشرع بهدمه .... وكلام من تكلم انما هو بحسب العصبية وعدم التفطن للأدلة الشرعية .

فإن بدعوتهم زالت بدع كثيرات وارتدع الناس عن المنكرات فجزاهم الله خيرا .

عريش والى جهة اليمن والشريف منصور ومن في صحبته من النجديين عادوا الى جهة صبيا واستقر مطرح النجود بالظبيــة وجرى منهـم على أهلها تغيير وقتلوا وجرحوا أناسا من أفاضلها مع أنها قد دخلت في عهد الشريف منصور ، ولكن زعم أهل نجد أنه صدر منهم ما ينكث العهد فاستحلوا منهم ما حرم الله ، وانتقلوا من الظبية الى أطراف مدينة صبيا وأكدت بينهم وبين الشريف منصور العهود ، وتعاضد أمراء المخلاف منصور والفلقى وعرار على مباينة الشريف وأهل أبى عريش ومن وَالاَهُم من أهل اليمن ثم نفذ الغزو الى بلادهم والشريف منصور استقر في صبيا ينهى ويأمر ويؤنب ويزجر،والناس أطوع له من نعله ، ممثلون مقتادون بفعله ، والسيد أحمد الفلقى استقر بالاثلة ساحل وادى بيش ، وانتظم أمر صبيا ومخلاف بيش على شعار الدعوة النجديــة في الأوامر والنواهى والموالاة والمعاداة وقوى أمر الشريف منصور وظهر صيته عند أهل نجد ومثله عرار بن شار في مخلاف الدرب ، وما زالت الغارات بين أهل الشام وأهل أبى عريش . والشريف حمود يكتب الى (الإمام)[1] يستنهضه ويطلب الإمدادات بالأموال والأقوام ويكتب إلى أهل (نجران)[2] يستدعى عن قبائل (يام) ويكتب الى (برط)[3]

(١) الامام المنصور امام اليمن .
(٢) اهل نجران « يام » .
(٣) « بَرَطْ » قاعدة بلاد قبيلة بكيل من قبائل اليمن الشقيق .

يستدعى رجال بكيل كل ذلك يريد استنقاذ صبيا وما وراها ، وجوابات .. الامام تصل اليه يعده بارسال الجنود وما يحتاجه في مقاتلة النجود ، وقبائل همدان .. يجيبون عليه بالمواعيد ويمنونه ما يريد . والشريف منصور وعرار بن شار والسيد أحمد بن حسين الفلقى يكتبون الى الدرعية ويذكرون لعبد العزيز ما حصل من حمود في الرعية ويعظمون عليه أمر حمود إن لم يتدارك أخذه قبل الامداد من الامام ربما يتعسر اخذه فأراد (عبد العزيز) أن يوجه لقتال (حمود) أمير بيشة وشهران وهو (سالم بن شكبان) بضم الشين المعجمة وسكون الكاف بعدها باء موحدة مفتوحة على وزن سلطان وكان أميراً كبيرا من أمراء الدولة النجدية ، وكان مشهورا بفظاعة الأفعال ، فحين توجه اليهم ، واذا قد وفد على (عبد العزيز بن سعود) محمد بن عامر الرفيدى [1] ... العسيرى المكنى بأبى نقطة من بلاد السراة بعد وصول الدعوة اليهم ودخولهم تحت طاعة النجدى ، وظهر لعبد العزيز فيه مخائل الرياسة وكان معه في الوفد أخوه عبدالوهاب بن عامر فأشار عبدالعزيز بإمارة السراة وما تحتها من بلاد اليمن كالدرب وبيش وصبيا الى محمد بن عامر فتلكأ محمد بن عامر في قبول الامارة وأشار الى أخيه عبد الوهاب فامتنع عبد الوهاب وتقلد الأمر أبو نقطة محمد المذكور ، وشرط عليه عبد العزيز قتال حمود وأخذ

---

(١) راجع الحاشية ٣ على ص ١١٩ .

اليمن وفتح ما قدر عليه وأصحبه خطوطاً [1] الى كبراء السراة يأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن عامر ويستنفرهم معه لقتال تهامة ، وكتب الى الشريف منصور والى الشيخ عرار يأمرهما بالطاعة والنفير صحبة محمد بن عامر ، وانصرف من الدرعية وفي صحبته أخيه عبد الوهاب ورجال كبراء عسير أهل السراة ، فوصل الى أثناء الطريق ومرض من الجدرى ثم توفاه الله تعالى قبل وصوله الى السراة فمال الناس الى اقامة أخيه عبدالوهاب بن عامر ولم يرض عبدالوهاب إلا بما جاء من عبدالعزيز وحين بلغ الخبر إلى عبدالعزيز كتب ولاية لعبدالوهاب بن عامر على بلاد عسير وما والاها وامره باستفتاح تهامة ، وكتب الى أمراء تهامة في السمع والطاعة والنفران استنفرهم عبد الوهاب فوصل الشريف قاسم ابن أبى طالب الخواجى من الدرعية وقد كان نفذ رسولا اليها من عند الشريف منصور يستحث عبد العزيز على ارسال الجنود على (حمود) فوصل بجواب على منصور يتضمن الخبر بولاية عبد الوهاب بلاد عسير وأمره بقتال حمود وجمع الجنود ، ووصل صحبة الشريف قاسم خط من عبد الوهاب الى الشريف منصور يخبره بأنه وصل لأخذ أبى

---

(١) إن المؤلف رحمه الله لم يتتبع خطه سير الدعوة التدريجي وكيف بدأت فهو جعل وفادة محمد بن عامر الى الدرعية بعد وصول الدعوة الى عسير مباشرة ، وهذا في رأينا المتواضع يخالف سنة التطور وتدرج الامور فالدعوة كانت ومن بعد ذلك يتقدم لبيثها الدعاة والمرشدون فتنتشر بعد الله بمجهودهم في القبيلة فاذا أنتشرت واستقطبت جعل على القبيلة كمرشد أو موجه النجيب من المستجيبين ورفع إلى الدرعية بتزكيته والموافقة على قيامه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبعد ذلك يفد على الدرعية هو ومن أخلص للدعوة .

عريش وأمر منصور أن يستنفر الناس ولا يعذر الا من عذره الله عن الجهاد ، وكتب مثل ذلك الى عرار ومثله الى السيد أحمد الفلقى فوقع استنفار الناس من أعلى طور السراة الى تخوم تهامة وبلغ الخبر الى الشريف حمود وجاءت العيون .. والجواسيس يخبرونه بالأمر اليقين والخبر الذى لا يتصف بالتظنين فكتب الخطوط الى صنعاء والى يام يستحثهم على المبادرة ويحظهم على الوصول قبل حصول البادرة ، فوصل قوم من يام الى حرض أرسل اليهم الشريف حمود الشريف على بن حيدر يلتزم لهم بالمال ويطلب منهم الوصول للقتال فعرضوا له العبارة ومنوه بالإشارة ، وقالوا له حركات أهل نجد بطيئة ونحن نسير الى اليمن ننهب منه ما يقوينا على حرب العدو ونعود قبل وصول العدو ، فلم يجد الشريف على منهم مساعدة الا بالمواعيد ، ونفذ يام الى اليمن يفسدون في الأرض يستحلون في طول البسيطة والعرض ، وعاد الشريف على بن حيدر الى عمه الشريف حمود وأخبره بما وقع بينه وبين يام وانه لم يقف منهم على شيء وقد بذل المجهود ، وبعد وصوله في العشر الأوائل من رمضان تزايدت الأخبار بنزول عبد الوهاب بن عامر من طور السراة يقود الجيش الجرار وكل ما وصل مطرحا لقيه قوم من أهل تلك البقعة قد أدركهم الاستنفار البارح وتحقق الخبر عند الشريف ان قدر القوم عشرون ألفا أو تنيف وان فيهم من أهل المروءة الصناديد ومن رجال ألمع من يحوط الحوزة ويمنع ، وحين اتصل ببلاد عرار اجابة كل محتلم ، وسار بين يديه وهو يرى أنه لفضيلة الجهاد المغتنم ، ولما وصل الى بيش وصبيا وتلك المخالف ، لم يختلف منهم الا من لم يقع عليه خطاب التكليف ، وكان

وصوله في **اليوم الثانى عشر من رمضان ـ سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف** . وفي صحبته الأمراء الكبراء والرؤساء الذين عليهم في ذلك الجند المدار ، كاهل الحجاز الساحل المتصل بمخلاف عرار ، وكان من أهل الرأى في ذلك الجند الشيخ عرار بن شار والشيخ العلامة الفاضل محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظى والشيخ العلامة محمد ابن عبد الوهاب ابن الشيخ بكرى وهما عالما أهل الحجاز المتصل بطور السراة من جهة اليمن ، وكان الشيخ محمد بن احمد ووالده الشيخ العلامة الكبير أحمد بن عبد القادر ممن خالطت قلوبهم بشاشة الدعوة النجدية وناصروا دعاتها بأشعار الحماسة والأقوال في الرسائل الى أهل الرياسة ، ومما بلغ عن الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر أنه قال : أعظم حامل لى على مصاحبة الامير عبد الوهاب الى اليمن انما هو محبة السعي في سلامة اهل العلم من أهل اليمن لئلا يتبادر فيهم سوء من الأمير تقليدا لما بين يديه من رسائل النجديين وتعميم الشرك على كل من لم يدخل معهم في الدعوة ، وكان الامر كما قال فان سلامة أهل العلم واستقامة احوالهم انما كان السبب الأعظم فيما بعد الله سبحانه الشيخ محمد . نعم وحين استقر الأمير عبد الوهاب في جنوده التى تملأ الرحاب في وادى صبيا قبلى المدينة خرج اليه الشريف منصور واخبره بأنه قد جمع من قومه ما يحمل به الدستور [1] ، وارتحل الأمير عبد الوهاب

---

(١) لم نفهم ما يقصد به بكلمة « الدستور » . أما لمتعارف عليه « فالدستور » هو القاعدة التي يعمل بها ، والدفتر المحتوى على قوانين أو قانون الدولة الاساسي .

الى (الظَّبية) [1] ووافاه السيد أحمد بن حسين الفلقى في جموع من أهل مخلاف بيش والساحل ووافاه أيضا الشريف منصور في ذلك المخيم وكان منصور بعد وصوله الى حضرة الأمير عبدالوهاب هو المشار اليه في الخطاب ورأيه المقدم ، فارتحل من الظبية الى وادى ضمد ولقيه هناك الاشريف الأمجد يحيي بن محمد والشريف الغضنفر محمد بن حيدر وبايعاه على السمع والطاعة والعمل بما يعمل به الجماعة ، وكان قد أبدى للشريف يحيي بسبب تقدم عهده لحزام ولم يترتب على ذلك العهد انتظام ، وحضر القضية منصور فتكلم يكلام اذهب وحر الصدور ثم ارتحل الأمير بتلك الجنود التى يقصر عن حصرها قلم التعبير ، وطرح بمحل قبلى أبى عريش بينه وبين البلد نحو ميلين ولم يكن دون البلد ما يمنع رؤية العين ، فحين ضربت الخيام ، امتد مديدها الى تحت الجبل المشهور بالجرد ، بجيم مفتوحة وراء مهملة ساكنة وآخره دال مهملة جبل يتصل بأطراف أبى عريش من جهة الشرق ، وامتد سماط الخيام في الجانب الغربى حتى تعدى حد البلدة ، وكاد أن ينعطف عليها انعطاف الأم على الولد ، ثم أمر الأمير أن يصف الرماة للتعشيرة [2] ووجهوا بذلك الرمى الى أبى عريش

---

(١) « الظبية » على اسم أنثى الظبي : قرية معروفة قرب خط الاسفلت لطريق جازان ـ صبيا في تاريخنا الحاضر.

(٢) عشر يعشر تعشيراً ، تطلق مجازا أو اصطلاحا على صوت دوى طلقات البنادق إذا أطلقت مجموعة منها طلقات متتابعة ، وقد تطلق نادراً على طلقات الفرد المتتابعة . =

والديرة ، فأخبرنى من أثق بخبره ولا أتهمه في أثره أنه سمع التعشيرة وهو في الركعة الأولى من صلاة العصر يصلى خلف الامام فامتدت أصوات التعشيرة من ذلك الحين الى أن تمت الصلاة وما يتبعها من الدعاء حتى خرج المصلى الى أطراف البلدة من جهة الشام والصوت ممتد لم ينقطع ومثل هذا يكون من كثرة الجند تارة ومن حسن الصناع تارة ، وقد جمع أهل هذا الجند الأمرين ، وحين شاهد أهل أبى عريش تلك الخيام وامتدادها الى أن اتصلت بالآكام .. وسمعوا تلك التعشيرة ذهل منهم من ذهل وثبت من ثبته الله وفزع بعض منهم الى الليث الخادر والهزبر الزائر الشريف حمود في بيته فوصله بعض الجنود وقال له قد وصل الاقوام ونصبوا ما لم يوصف من الخيام وفي تعشيرتهم امارة الكثرة وبرهان الوفرة ، فقال : أما التعشيرة فلم أسمعها لانى كنت راقد [1] ، وأما الخيام فهى غنيمتنا غداً انشاء الله . فسكن قلب ذلك

= وحقيقة في اللغة وقبل أن تعرف الاسلحة النارية تطلق على صوت الحمار اذا تابع نهيقه عشر ، ووالى بين عشر ترجيعات قال عروة بن الورد :

وانى وان عشرت من خشية الردى نهاق حمير إننى لجزوع

لأنهم في الجاهلية يزعمون أن الرجل اذا ورد أرض وباء ، وضع يده خلف أذنيه فنهق عشر نهقات كنهيق الحمار ثم دخل آمناً من الوباء . وعَشَّر الغراب تعشيراً : نعق عشر نعقات من غير أن يشتق من العشرة .

(١) ان قول حمود يدل على الثبات ورباطة الجأش ، مما يستحق الاعجاب ، والاكبار ، ولا يستطيع كل شخص أن يتحكم في غريزة الخوف ولا غرو فهو الشخص الذى جمع بين كفاءة القيادة وحنكو السياسة بالنسبة لعصره ومحيطه .

وهذا ما يسمى في المصطلح الحديث (بالشجاعة الأدبية) ويروى أن نابليون =

المخبر ، ثم ركب الشريف من حينه وأمر أهل الخيل بالركوب وطاف المحلات المرتبة بالرحال المستعد أهلها للقتال وعبأ الصفوف في طرف البلد وجعل في ناحية الغرب رتبة لتمنع من أراد اغتيال الديرة وهى محلة الاشراف متصلة بأبى عريش ، والديرة [١] بكسر الدال المهملة

= كان في احدى المعارك قد احتاج وهو في مؤخرة الميدان ـ الى كاتب من كتابه يملى عليه بعض الملاحظات فلم يجد أحداً وبعد لأى عثر على الشاب طرى الاهاب غض الشباب من كتاب ديوانه المبتدئين فجيء به فاستصغره واستحقره والتفت اليه قائلا على تستطيع الكتابة في هذا الموقف ، فقال الفتى : مبتسماً ـ : سأحاول ، فأخذ نابليون يملى والفتى يكتب ، وفي تلك الاثناء سقطت قذيفة بين نابليون والفتى وأثارت القذيفة سحابة من الغبار وعجاجاً من من الرمال ، وبعد أن سكن الغبار التفت نابليون الى الفتى وقال له بإشفاق ، وقد رآه ماسكاً بالقلم والورقة بثبات ، عسى ما ارتعت يا بنى فأجابه الفتى وعلى ثغره ابتسامة : كفتنا القذيفة مئونة الاتراب ـ لانه في ذلك الوقت لم يكن يعرف النشاف انما تترب الكتابة ، وحالاً نزع نابليون وساماً من صدره ووضعه على صدر الفتى .

(١) الديرة : هى حى الأمراء آل خيرات أسسها جدهم (خيرات) الوافد من الحجاز في أواخر القرن الحادى عشر ، وعندما تولى حفيده محمد بن أحمد امارة المنطقة توسع عمران (الديرة) وأقام عليها سوراً وكان لا يسكنها أحد غير أسرته وموقعها من غرب المسجد الذى ابتدأ في عمارته حمود وأتم عمارته الحسين بن على والباقى الى هذا التاريخ والمعروف بالمسجد ذى القبب وتمتد شرقاً الى ما يوازى المستشفى الحالى وجنوبا الى ما وراء المستشفى بطول المسافة وشمالاً الى مقبرة أبى عريش التى وسط البلدة والى ما يقرب من أطراف المركز الأسفل ، وفهمت من الشيخ أحمد صعدى أن بيوت الأمير علي بن محمد كانت شمال غرب المستشفى الحالى ، وإلى ما قبل عشر سنوات كان يوجد بقايا حصن من حصونهم عمر في موقعه المدرسة التى جنوب المقبرة ، وفي رواية أن المسجد ذا القبب كان في وسط حى الديرة .

المشددة بعدها ياء مثناه تحتية بعدها راء مفتوحة وآخرها هاء السكتة وهى مؤنث دير واحد الديور جرى الاستعمال فيها على غير القياس ، ولما نظر الشريف الى الخيام التفت الى الناس وقال : لا يروعكم ما ترون من كثرة الخيام فانها لا تدل على كثرة الأقوام انما يريدون بهذا الارهاب واسترقاق قلب من لا يألف الطعن والضرب فهم لنا غنيمة وسيوفنا لهم منيمة وموعدنا غدا انشاء الله وفي أثناء قيامه خارج البلد بين الخيل وصل اليه جماعة من جنده بأسير قد أسروه من القوم فاستبشر بذلك ثم وصل اليه في تلك الحال السيد الهمام محمد بن على بن مهدى النعمى أحد فرسان السادة النعميين وفي صحبته خط من الأمير عبدالوهاب يعرض على الشريف الدخول في الطاعة ويحذره من القتال في تلك الساعة فقال الشريف للرسول : لولا انك الذى أعرف من القوم ولولا التحذير من قتل الرسل لما رجعت سالما . فقال له اسمع يا شريف أنا والله جئت ناصحا لك ومخبرك بالخبر اليقين جئتك من عند قوم يرون القتل غنيمة ، وفيهم كثرة ووفرة ، ان ظفروا بك ما ابقوا باقية وان ظفرت بهم عجز جندك عن حمل بنادقهم لكثرتها ، ولكن أخشى أن اليد لهم فيفعلون ما لا تحمد عاقبته ، فقال الشريف ، ما عندى جواب ارجع من حيث جئت فرجع الرسول يخبرهم بتصميم الشريف على القتال . والشريف ملأ المراتب التى في المدينة رجال من أهل أبى عريش ومن غيرهم من رجال همدان وأكثر رجال مراتب المدينة من أهلها وملأ مراتب (الديرة) رجالا من همدان ومن سحار ومن العبيد ومشى يطوف على الناس ويثبتهم ، وجعل الشريف على بن حيدر أميرا على الخيل مما يلى الديرة خشية أن يغول الديرة طائفة من القوم ، وكان

الأمير عبد الوهاب أراد أن يكون حملة القوم على الديرة وتوجه الحرب اليها لانها مسكن الأشراف واذا حصل الظفر بالديرة فأهل أبى عريش أطوع للتسليم ، وكان هذا الرأى أبرمه الأمير مشاورة الشيخ عرار بن شار لأنه كان بين عرار وبعض مشايخ أبى عريش مراسلة انهم لا يريدون الحرب وانهم باذلون الطاعة من دون محاربة ، وكان الشريف نمى اليه خبرهم فتلطف في قبضهم حتى قبضهم واودعهم الحبس وكانوا من أهل القول المسموع عند أهل أبى عريش وبعد القبض عليهم لم يتظاهر أحد من أهل أبى عريش بمخالفة الشريف ، فمن أجل هذا أشار عرار على عبد الوهاب بتوجيه الحرب على الديرة ، وتأخير حرب أبى عريش فبلغ الخبر منصور بن ناصر فحدب على قومه وفتل في الذروة والغارب عند عبد الوهاب حتى صرفه عن ذلك الرأى ووجه ابتداء الحرب على أبى عريش ، وكان فيما بلغ التزم له أنه ان ظفر بالمدينة فهو كافل له بوصول الشريف والأشراف اليه والدخول تحت طاعة ابن سعود ، وهكذا أبلغ والله أعلم . ثم ان الأمير عبد الوهاب عبأ الجنود وبند البنود وجعل جنده قلباً وميمنة وميسرة وجعل الخيل في مقابل خيل الشريف خشية من خيل الشريف لا تغول المطرح وجعل خلف كل صف رجالا تسوقهم الى الاقدام ويردون من أراد الانهزام ، وحين طلع الفجر أذن مؤذنهم جتى ملأ الأفق تأذينهم ثم صلوا جماعات واقبلوا يقصدون مدينة أبى عريش يجهرون بالتكبير وشعارهم ، يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين .. والشريف قد كان معه بعد تحصين المراتب طائفة من الجند أغلبهم من أهل أبى عريش فصفهم وجاءه العدو من قبلى المدينة مما يلى الشرق والتحم القتال وثبت جند الشريف ريثما غشيهم جند عبد الوهاب كأنهم السيل

الجرار فلجأ أصحاب الشريف الى الحصون وأهل السراة حملوا على الحصون فلقيوا دونها شراب المنون فكانوا لا يبالون بالقتل ويمشون فوق القتلى ودمائهم تسيل حتى استولوا على أول الحصون ، وثبت أهله ثباتاً حتى لم يبق منهم الا رجل أو رجلان ، وسال دم القتلى من الميازيب ، وما زالوا يفتحون حصنا بعد حصن ويأتون على من فيها قتلى وما سمع أنهم أسروا أحدا من الرجال الا من النساء والصبيان واستدام الحرب الى العصر من ذلك اليوم وهو يوم الجمعة **خامس عشر رمضان سنة سبعة عشر ومائتين بعد الألف** . وانحاز من نجا من أهل أبى عريش الى دير الاشراف ، والشريف حمود في هذا اليوم قاتل قتال من يطلب الموت ويتمنى الذهاب والفوت ، وانه لما انهزم قومه كان يركض بجواده في الأزقة ويحمل على صفوف أهل السراة حتى يخرج من عرض الصف يطعن بالرمح ويضرب بالسيف ، حتى تقصدت بكفه كم من قناة وفل بيده كم من سيف لما كل شباه . وأخبرنى من أثق بخبره عنه قال : ما مضى على يوم الموت أحب الى فيه من الحياة من يوم الجمعة يعنى ذلك اليوم المشهور - وازداد يقينى بالله لكثرة تعرضى للرصاص ودخولى بين الصفوف لا أطلب الا الموت فلم يصيبنى شيء قط وحين رأى الأشراف ما حل بأهل أبى عريش من الابادة واستيلاء جند السراة على الحصون أيقنوا بالهلاك وعلموا أن لا مفر من عبد الوهاب ولا فكاك وصل كبراهم يحضون على طلب الامان والدخول في الذى يطالبه عبد العزيز بن سعود فأبى الشريف أشد الاباء وعزم على مفارقة الديار وهجران الربى ، فقال الاشراف أن لنا حرما نخشى أن تهتك وأن صممنا معك على الحرب أصابنا ما أصاب أهل أبى عريش ، والآن قد برأت ذمتك مع الامام وعهده ، وانجلى عنك العار الذى

تحاذره وما بقى لك عذر عن الدخول ، فصمم على المنع وقال الجواب في غرار المشرفي ورؤوس النبع فلما آيس منه الأشراف طلبوا الأمان لنفوسهم ودورهم كالشريف على بن حيدر والشريف أبى طالب بن أحمد بن محمد ، وانضم اليهما جماعة من الأشراف فأرسل عبد الوهاب رجلا من قومه يسمى (جعثم) يكون في دار الشريف على بن حيدر ونادى كل من كان في الحصون من جند عبد الوهاب أنا (جعثم) ابن فلان أخبركم أن علي بن حيدر قد دخل مع المسلمين فكفوا الحرب عن داره ، وحين رأى الشريف انخزال الاشراف ، وربما توهم ان يلى الأمر على بن حيدر أو أحد اخوانه وينقلب الأمر الى غير زمانه راسل عبد الوهاب يطلب الامان فبذل له ذلك ووصل الى مخميه بعد يومين وكان دخوله على عبد الوهاب ليلة الأحد **سابع عشر من شهر رمضان** ولم يحفل به عبد الوهاب عند دخوله بناء على ما يعتقده من الكفر والاسلام ، وكان الشريف وجد في نفسه وعارضته الآنفة فهم بالرجوع وآب اليه من الحلم ما أرضاه بتلك الحالة ومد يده للمعاهدة على اتباع دين الاسلام والتبرى من كل دين سواه ، وعلى السمع والطاعة لعبد العزيز بن سعود وموالاة من والاه ومعاداة من عاداة والدعوة الى الله . ثم بعد ذلك أقبل اليه عبد الوهاب وبش في وجهه والآن له الحديث وانصرف الشريف من موقف عبد الوهاب ولم يحصل للامارة ذكر ولا علم الشريف ان سيكون الأمير هو أو غيره ، وكان الأشراف لا يدركون أيهم يعطاها ، وكل واحد منهم يمت بسبب . والأمير عبد الوهاب يتروى من أصحابه أخبار الاشراف ويستعرض صفاتهم ، وكان كل أهل حضرته فرقا مختلفة أراؤهم كل أحد منهم يميل الى أحد ، ولما بلغ الشريف منصور كان مشيرا بتأمير

الشريف .. الغضنفر محمد بن حيدر ، وما أخطأ الصواب ، ولو وافقه المقدور والسيد أحمد الفلقى وعرار بن شار يشيران بتأمير يحى بن محمد السابق عهده لحزام كما تقدم ذكره ولم يتم من ذلك الا ما قضاه العليم الحكيم من تقليد الامارة الشريف حمود ابن محمد على ذلك الاقليم ، نعم وكان الشريف بعد الحرب في اليوم الأول حين رأى استحرار القتل في أهل أبى عريش وانحياز الاشراف الرؤساء علم أنه اذا لم يطلب الأمان ويدخل في الطاعة ربما تمتد عليه يد الاجناد الوهابية فترجح له طلب الأمان كما قدمنا . ولكن عقد الرأى على ارسال السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمى الى حضرة الخليفة المنصور الى مدينة صنعاء ، وأصحبه خطوطا تتضمن حكاية الواقع وما أبلاه في تلك المعركة ، وآل الأمر الى أن دارت عليه رحى الغلبة فجنح الى المسالمة بظاهره وباطنه يتعلق بالامام بمناصرته ، ونظره موجه الى جهته وسمعه مفرغ لما يبرز من قضيته . وعهد الى العلامة أن يلقى الى مسامع الامام كلما وقع وما هو مترقب ويشرح قوة أهل السراة ، وكثرة جنود أهل الدعوة ، ويطلب من الامام المبادرة بارسال الجنود قبل أن يتأتل أهل الدعوة ، وتتملك بشاشة دعوتهم قلوب أهل المخلاف السليمانى فيتعذر حينئذ استنقاد ما قد استولوا عليه ، فنفذ السيد العلامة الحسن بن خالد الى حضرة الامام واتفق بالوزير الخطير الحسن بن حسن بن عثمان العلفي وقد تقدم نسبه عند ذكر والده في مبادىء هذه السطور ، فالقى اليه جميع الواقع وحذره وأنذره في المترقب ، وان الشريف حمود ان لم يبادر بالجنود الامامية فلا عذر له من التجرد مع أهل الدعوة النجدية وفاء بما عاهدوه عليه وشرطوه عليه ، وطلب السيد الحسن الاتفاق بالامام والقاء ما حاك من الكلام فأذن له الوزير

بالاتفاق وأخذ عليه أن لا يكلم الامام الا بما يطابق المقام ، فبقى في صنعاء قدر ستة أشهر ينتظر خروج الاجناد الى تهامة ونزول العساكر ، ووافى بعده الى صنعاء الشريف الماجد يحيي بن على فارس بن محمد الحسنى وكان من أمره ما سنذكره ان شاء الله ، في غضون هذه الورقات ، ولنعد الى خوض الأمير عبد الوهاب بن عامر قائد هذه الجحافل والعساكر ، فانه لما استتب له ملك أبى عريش بعد أن صير معاقله وحصونه ليس لها قوادم ولا ريش أزمع على الرحيل الى السراة والعود الى دياره وماؤه فجمع ماستولى عليه الجند من الخرثى والمتاع وعمل في تقسيمه على الغانمين قسمة الغنيمة من بعد أن تم اخراج الخمس . عاد المال على المشاع ، ثم قسم ما بقى على حسب الفريضة في الغنائم بعد أن نادى في المعسكر بذم الغال وذم الغلول ، وعمل بما يعمله أمراء السرايا في قتال الكفار بناء على ما يعتقده من أهل هذه الديار من انه قد عمهم الشرك ما بين عامل له وراضٍ .. به وساكت عن الانكار مع ما يعرفه أنه شرك وهم القليل ، وهذا باب لا يفتح الكلام فيه فقد أفضى (1) كل من الأمراء والمأمورين وأهل الدعوة

---

(١) ان قول المؤلف في الجملة الاعتراضية: (وهذا باب لا يفتح الكلام فيه فقد أفضى كل من الأمراء والمأمورين وأهل الدعوة بأسرهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر) يفهم منه كما يتبادر الى فهمى أنه كتب التاريخ بعد عام ١٢٣٣ لأنها هى السنة التى سقطت فيها الدرعية وأسر عبدالله بن سعود ونال أهل رؤساء الدعوة القتل والابعاد وتوفى حمود والقى القبض بعد ذلك على ابنه وأبعد الى مصر سنة ١٣٣٤ وبذلك يكون حمود قد توفي وامارته قد زالت .

والمؤلف عاش الى سنة ١٢٤٨ ولو أن قسماً من مدته الأخيرة كان قضاه ملازما =

الفراش لمرضه .

وفي حال أن مؤرخنا صاحب تكملة هذا الكتاب الشيخ حسن بن أحمد عاكش يشير في المقدمة ، أن المؤلف توقف في تاريخه الى سنة ١٢٢٥ وأنه أكمل ذلك التاريخ الى سنة ١٢٣٣ .

وانه كان بلغه أن شيخه عبد الرحمن بن أحمد بن حسن البهكلى ألف مؤلفاً في أيام الشريف حمود ولم يزل يبحث عنه ممن يظن أن عنده بذلك خبر فلم يقف لذلك الكتاب على أثر وانه قد ألف كتاباً في أخبار أعيان المخلاف السليمانى سماه (الديباج الخسروانى) سجل فيه أيام الشريف حمود ومن بعده ثم بعد ذلك عثر على المؤلف المذكور المسمى (نفح العود) فوجده بدون مقدمة ولا تمهيد وان المؤلف توقف فيه الى سنة ١٢٢٥ ، فأكمل الكتاب الى سنة ١٢٣٣ هـ .

ومع تقديرى لنزاهة الشيخ حسن بن أحمد وهو الثقة فيما يسجله من التاريخ الا أن الجملة الاعتراضية الموضحة بعاليه توجب الملاحظات الآتية :

١ ـ أن الكتاب كان مفقودا كما ذكر الشيخ حسن ثم عثر عليه .

٢ ـ أن الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله ألف كتابه الديباج الخسروانى وبعضهم يسميه الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك الحسين بن على بن حيدر تولى الامارة بعد أبيه في سنة ١٢٥٤ ـ ١٢٦٤ وتوقف فيه الى ١٢٧١ ، ويكون عثوره على كتاب نفح العود بعد سنة ١٢٧١ أى في سنة ١٢٧٢ ـ تقريبا ـ أى بعد وفاة مؤلف الكتاب الشيخ عبد الرحمن بـ ٢٤ سنة وبعد المدة التى توقف فيها مؤلف كتاب (نفح العود) سنة ١٢٢٥ بـ ٤٧ سنة .

٣ ـ ان ما يلفت النظر في الجملة أعلاه أن الشيخ عبد الرحمن البهكلى ألف كتاب نفح العود بعد عام ١٢٣٣ ، والا لما قال وقد أفضى كل من الأمراء والمأمورين .. الخ .

(أ) إما أنه استمر في التأليف الى عام ١٢٣٣ وفقد ذلك القسم منه المشتمل على الحوادث من عام ١٢٢٦ الى عام ١٢٣٣ فأكمله الحسن بن احمد عاكش .

(ب) أو أن مرضه العضال الذى ألم به وأقعده مدة وقف به من تأليف الكتاب الى سنة ١٢٢٥ هـ ، فرأينا من الواجب للتاريخ تسجيل هذه الملاحظة . ـ راجع ما كتبناه قبله تحت عنوان دراسة وتمهيد .

بأسرهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ثم توجه عبد الوهاب الى عقد الامارة ونصب الشارة لليث العرين المتلقى راية المجد باليمين الأسد الهصور الشريف حمود بن محمد المذكور فاستدعى به الى مخيمه وقد حضر من الأشراف أهل الحل والعقد عند الاختلاف كما استحضر أعيان دولته والأعوان من خدمه ، ومن الاشراف مثل الشريف يحيي بن محمد والشريف محمد بن حيدر وأخيه الشريف على بن حيدر والملك العادل منصور وأعيان كانوا في ذلك الوقت تناط بهم الأمور ، وحين اجتمع الناس استدنى الشريف حمود وعاهده على القيام بأمور التكليف وشرط أن هذه التولية موقوفة على اجازة أمير العامة عبد العزيز بن سعود صاحب نجد ، ومما شرطه الأمير عبد الوهاب على الشريف في صلب العهد قتال من وراه من أهل اليمن ومباينة امام صنعا ومحاربته ان وصلت منه جنود حرب ، وما وسع الشريف الا الالتزام بذلك ، وكان يظن أن الامام لا يترك بعث الجنود والذب عن ممالكه في السهول والنجود ، ولا سيما وقد نفذ الى حضرته العلامة الحسن بن خالد ـ كما قدمنا في ما قبل هذا ـ وقبل عقد الامارة طلب الأمير أعيان الناس من الأشراف والعلماء والأكياس وأمرهم بطاعة الشريف ، وأمر الشريف بحضورهم أنه لا يحكم فيهم الا بما اقتضاه الدين الحنيف والهدى المحمدى المنيف، وخاطب أهل العلم بأنهم لا يحكمون بغير الكتاب والسنة ولا يتخذون غيرهما عند المعضلات جُنه ، ثم نادى في الرعيل بالرحيل وفي تلك الخيام والخيلان أن ازمعوا بالرحيل وانقلبوا الى بلادكم بما معكم من الخف والثقيل ، فقوضت الخيام ورحل الناس فئام بعد فئام ، وكان ارتحاله يوم الخميس تاسع وعشرون من شهر رمضان أو ثامن وعشرين منه ، وخيم بوادى ضمد

وأظنه استهل شوال فيه ، ثم ارتحل الى وادى صبيا وقرر أحوال أهلها وجمع أمرهم الى الشريف منصور ، وأظهر لهم أنه عنده وعند أهل الدعوة مفوض في البوادى والحضور ، وأصلح بينه وبين الشريف أحمد بن حسين الفلقى بأن أقر يد الفلقى على مخلاف بيش الغربى كأهل (الاثلة) والاشراف الجعافرة ، وأمره بالانتماء الى منصور ، بأن يكون حكم المولى من عنده حتى تنتهى الى عبد العزيز الأمور ثم توجه من صبيا الى وادى بيش ، ثم منه الى (درب بنى شعبة) وأقر الشيخ عرار بن شار على ملك تلك الديار ، ثم توجه الى الحجاز ومنه الى السراة :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

والشريف بعد نفوذ عبد الوهاب نظر فيما بين يديه واذا مدينة أبى عريش قد استولى عليها الخراب وبواديها تلحق بالقفر اليباب ولم يبق عنده من الجنود من يقوم له بالمقصود لان الذين كانوا معه يوم حرب عسير قد تفرقوا شذرا ومذرا ونفروا الى كل حجر ومدر ، ورجال أبى عريش قد طحنتهم الوقعة وذهبوا تحت حنك السيف متعة : شعرا

ولم يبق الا ما حماها من الظبا لمى شفتيها والثدى النواهد

فترجح له أن يخرج من أبى عريش بمن بقى من خوافى ذلك الريش ويقصد بلاد بنى الحرث [1] ويدعوهم الى التوحيد ويمنعهم

(١) ـ راجع الفصل الخاص بقبائل المنطقة ، بعنوان قبائل المخلاف السليمانى ص ٨٣ جـ ١ وما بعدها من كتابنا المعروف ، المخلاف السليمانى .

عن التنديد ، رجاء أن يحصل له منهم رجالا يكونون معه فيما يقصده من الاقبال فخرج في نفر يسير ومعه من الخيل ما لا يبلغ الثلاثين وفي صحبته الشريف الغضنفر علي بن حيدر وهو أكبر الأشراف يومئذ بعد الشريف حمود لأن أخاه محمد بن حيدر اعتذر من الخروج والشريف يحى بن حيدر كان في الواعظات لم يحضر تلك الوقائع الماضيات والشريف يحيي بن على كان في جهة اليمن يطالب الثأر حتى اتصل بالامام ووقف على ما سنذكره ان شاء الله ، في بطون الأوراق فوصل الشريف حمود الى بلاد الحارثيين ودعاهم الى الدخول في الدين فأجابوا داعيه ولبوا مناديه على شروط كانوا ذكروها وأمور كانوا عمروها وقبل منهم الشريف ظاهر الطاعة كما قيل .

لقد أجلك من يرضيك ظاهره وقد عصاك الذى يرضيك مستترا

وكان وصول الشريف بلادهم بعد أن استدعى كبراهم ووصلوا اليه وأخذ منهم رهائن وأرسلهم الى أبى عريش ، وكانوا يزعمون أن الشريف استدعاهم بأمان وارتهنهم من غير رضا منهم والله أعلم بحقيقة الأمر ، وكان السفير بينه وبينهم السيد بن عقيل الحازمى أحد أعوان الشريف ، وبعد دخول الشريف بلاد الحارثيين ودخولهم في الطاعة كتب الى خولان الشام وهم أهل جبل الظاهر [(١)] وما والاه من الجبال كـ (طلان) و (حيدان) [(٢)] ، وكان كتاب الشريف يدعوهم الى

---

(١) « الظّاهر » جبل آهل بالسكان يتبع مركز ساقين ويبعد عنه بـ ٣٠ كيلا .

(٢) « حيدان » بلدة معروفة شرق جبل الظاهر وجنوب مركز « ساقين » الذى يبعد عن مدينة صعده بـ « ٣٠ » والجميع في اليمن الشقيق .

الدخول في الطاعة والتحلى بما يتحلى به الجماعة ، وخولان أهل عزة ومنعة وكثرة ، وهم ينتمون في الأوامر الى أهل (صعدة) من آل الامام القاسم رضوان الله عليه ، فكتب أهل خولان عند وصول كتاب الشريف كتابا الى السيد العلامة الفاضل محمد بن على بن القاسم بن على بن احمد بن الامام القاسم والى أخيه السيد الماجد الرئيس الحسين بن على بن قاسم وأخبروهما بما يطلب الشريف من أهل ذلك الجبل المنيف فتمالأ الى على بن قاسم على نفوذ السيد العلامة محمد ابن على في لقاء الشريف ويتعرف الأمر الذى يدعو اليه والمهيع الذى يدل عليه فكتب محمد بن على الى الشريف كتابا يطلب الاتفاق وعين محلا للوقفة في الحد ما بين الحرث وخولان ، فاتفق المذكوران هناك وفهم كل واحد منهما ما عند الآخر واصطلحا على أن الشريف يترك بلاد خولان وبلاد أهل صعدة ولا يتعرضهم بدعوة ولا يبعث لهم جندا ، وتعاهد هو والسيد محمد بن علي بن قاسم على المناصرة وان الشريف اذا دعته حاجة الى رجال من خولان أو سحار فعلى محمد بن على أن يمده بالذى يطلب ، والشريف التزم لمحمد بن على كذلك أى يناصره بما قدر عليه ، ثم توجه الشريف راجعا الى تهامة فوصل الى أطراف بلاد الحارثيين من اليمن جهة (دارس) [1] بصيغة اسم الفاعل من درس ، قبيلة يرجعون في موالاة بنى مروان ، وعزم من

(١) « بني دارس » في تاريخينا الحاضر ، يرجعون في وقتنا الحاضر الى بنى الحرث ـ راجع ص ٨٦ جـ ١ « المخلاف السليمانى » .

هناك على تجهيز الشريف على بن حيدر بن محمد الحسنى ابن أخيه وصحبته جماعة من أهل خيل الأشراف وغيرهم وعين معه جندا يسيرا وأمره أن يتوجه الى اليمن يدعو الناس الى طاعة الشريف فمن قبل أخذ منه العهد وأقره ومن أبى قاتله ، فنفذ الشريف على بن حيدر وصحبته ثلاثين من خيالة الاشراف وغيرهم فوصل الى حرض وكتب الى (بنى [1] مروان) يدعوهم الى الدخول في طاعة الشريف حمود والا يبعث عليهم الجنود فوصل كبراهم وعاهدوه على السمع والطاعة وقبول ما جاء في الأوامر الدينية ، فقبل منهم وأمر عليهم رجلا منهم يسمى أحمد بن على معوز وشرط عليهم في العهد الجهاد فيمن وراءهم متى يدخلوا فيما دخلوا فيه [2] ، فأقبلوا على ذلك ونفذ منهم رجالا صحبة الشريف على بن حيدر الى جهة اليمن فنزلوا في بلاد (بنى حسن) ودعاهم فأقبلوا اليه طائعين ونفذوا صحبته مجاهدين متى نزلوا بلاد (عبس الدنعى)فوجد كبراهم « آل ثواب » ضد عقاب وهم أهل رياسة فيهم فواجهوه وبذلوا له الطاعة وأمر عليهم (أحمد بن مقبول ثواب) ، ثم توجه الى الواعظات وهى آخر البلد التى حكم ولايتها أشراف أبى عريش

---

(١) بني مروان : من أقوى واعتى القبائل في ذلك التأريخ ـ راجع كتابنا الأدب الشعبي في الجنوب ص ٦٨ جـ ٢ .

(٢) وقد ترسم حمود « التكتيك » السعودي من ابتداء غزواته وبتلك الطريقة ، وبثلاثين فارس . أمكنه ان يتقدم الى الوعظان وقد كانت قبل ذلك تتبع امارتهم ، ثم انتفضت ، فَغَازاهم باسم الدولة التى دخل في طاعتها وعاهدها على جهاد من ورائه .

وما وراءها الى اليمن فولايتها الى أعمال (اللحية) و (الزيدية) من تحت خليفة صنعا ، فأقبل أهل الواعظات الى العهد ودخلوا في السلك من غير تعسر وقد كان من الواعظات الشريف يحى ابن حيدر الحسنى أخو الشريف على بن حيدر وابن أخى الشريف حمود ، وكان قد اجتمعت كلمته وكلمة الشريف يحيي بن على على موالاة الدولة الامامية ومباينة الشريف حمود وأهل الدعوة الشامية ، وكان الشريف يحيي بن على توجه الى أمير اللحية منظما اليه في المناصرة لما أحس باقبال الشريف على بن حيدر يسوق الناس بعصاه ، وبقى الشريف يحيي بن حيدر في جهة الواعظات حتى وصل أخوه فجنح الى المسالمة وانضم الى أخيه وأصلح شأنه مع الشريف وبقى من جملة الجند ، والشريف على بن حيدر لما استقر بالواعظات كتب الى أهل (الزعلية) والى (صليل) فأقبل مشائخ الزعلية كالفقها آل أبى حربة والمشائخ البلاسدة وعاهدوا الشريف على علي الدخول في الطاعة للشريف حمود ، وعند ذلك كتب الشريف على بن حيدر الى عامل (مور) وكان فيه اذ ذاك نائب يسمى (محبوب) من موالى (محمد بن فرحان) يأمره بتسليم البلد والدخول في الطاعة ويكون له الأمان ويرجع الى (اللحية) الى من ولاه وهو الأمير صالح بن عبد الملك ، وكتب الشريف علي كتابا الى أهل مدينة (مور) الشيخ والعُقَّال يأمرهم بالاقبال اليه والسلوك بين يديه فأجابوه بالسمع والطاعة وأما الأمير محبوب فطلب الأمان وسلم الحصون ونفذ الى اللحية بصفقة المغبون ، وأرسل أهل مور الى الشريف علي أن أقبل الينا فقد خرج الأمير من بين أظهرنا فدخل الشريف علي الى مور وصحبته الأعراب من أهل تلك الجهات وأكثرهم من الواعظات ،

وحين استقر في قلعة مور كاتب أمير اللحية صالح بن عبد الملك العلفى يطلب منه الدخول في طاعة الشريف حمود والعمل بما يعمل به أهل الدعوة دعوة بن سعود ويخلع طاعة الامام وينزع حلة الانعام ، ثم كتب الشريف على الى الشريف حمود وهو بمدينة (حرض) يخبره بما استفاض عليه من البلدان حتى انتهى به الشوط الى قلعة مور وقد صار يكاتب أمير اللحية في الدخول في الطاعة والخروج من البلدة وتسليمه قلاعه ، فأما الأمير صالح بن عبد الملك فكان حاله عند وصول الخطاب بالتخبط والاضطراب ، وطلب العساكر الذى بين يديه وحظهم على المقاتلة والدفاع وحفظ البندر حتى تأتى الغارة من صنعاء تملأ البقاع ، فلم يسعده أحد من الجند الى القتال بعد أن بذل لهم كثيرا من المال بل اصغوا الى أراجيف أهل الشام لا سيما وقد وصلت سواعى أهل الشقيق [1] ونصبت الحرب على أهل اللحية بالمدافع من البحر وانتهبوا الأموال التى في السواعى فامتلأت قلوب الناس رعبا من أهل الدعوة النجدية ، وكان غاية ما أشار به جند الامير صالح عليه أن يترك البلد ويتوجه الى صنعا أو يتراخى في الحديدة أو بيت الفقيه ريثما يصله الامداد فيعود لاستنقاد ما ترك من البلد ، وما نظر الى قول من قال :

(١) « الشقيق » كان اداريا يتبع « عرار بن شار الشعبي » لا لـ « حمود » وكلها يتبع ادارة « عبد الوهاب ، وانما اهل الدعوة يد واحدة على من خالفهم ، لا يعقل ان يكون لاهل الشقيق سفن مسلحة بالمدافع ، وإنما يتبادر الى الذهن أن هناك سفنا مسلحة سعودية ، راجع الدراسة في الافق الدولي في أول الكتاب بعنوان الشركة الشرقية الهندية الانجليزية (حرف ش) عن وصول اسطول سعودي الى عدن .

اذا ما أول الخطى أخطا فلا يرجى لآخره انتصار

ولما عزم على الخروج أقبل اليه وجوه الناس وأعيان الدولة يؤنبونه ويخوفونه العاقبة فلم يلتفت الى المقال ولا أَرْعَوى عما لعَلّه عزم عليه من الارتحال ، وكان الجند الذى بين يديه قد عادت اليهم هممهم أن يثبتوا في البندر ويمنعوا حوزته حتى يأتيهم الغوث من حضرة الامام أو من البنادر الأخرى كالحديدة ، وبيت الفقيه وزبيد فوصلوا الى صالح وعرضوا عليه البقاء فلم يلتفت ، فطلبوا منه خط أنهم بذلوا له القتال ولم يرض ، ولما أزمع على الخروج وبقى الناس لا يدرون على ما يقعون فيه فتمالأ كبراء البلد على ارسال السيد العظيم حسن بن محمد النعمى الى الشريف حمود بالبيعة ويخبره بخروج صالح بن عبد الملك وتخليه البلد وأهلها ، فصالح نفذ الى جهة اليمن وبين يديه من الجنود من حاشد زهاء ثمانمائة نفر ونفذ معه الشريف الماجد الغضنفر يحيي بن على فارس ابن محمد الحسنى ووالده الشريف الكبير الكريم على فارس بن محمد الحسنى وجماعة من أولاده واحفاده يقصدون حضرة الخليفة المنصور ليشرحوا ما حل بهم من عظيم الأمور ، وأما الشريف حمود فكان لما وصل خط علي بن حيدر بملك (مور) أردفه بالشريف محمد بن على فارس في جماعة من العسكر فوصل الى مور في اليوم الذى خرج فيه صالح بن عبد الملك من اللحية ، وكان قد كتب الأمير محمد بن قيراط رجل من موالى فرحان كان يتولى أمر اللحية من تحت نظر الامام في بعض أيام ، وهو والأمير على بن يحيي سرور من بقايا أمراء الدولة في اللحية ، فكتب ابن قيراط الى علي بن حيدر يخبره بخروج صالح ويستدعيه للدخول فبادر الشريف علي بن حيدر بدخول اللحية ومعه الشريف محمد بن علي وكل يعد نفسه هو الأحق بامارتها والنظر في

أحوالها فاستقرا فيها ثلاثة أيام حتى وصل الشريف حمود وكان من أمره أنه لما وصل اليه السيد حسن بن محسن النعمى ببيعه اللحية وأخبره بخروج صالح منها لا يلوي على شيء نهض في حينه الى اللحية فدخلها واستقر في دار الامارة وبذل الامان لأهلها وأمرهم بأوامر الله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وطلب من التجار مالاً كثيراً انه يدفع به عنهم أهل الشام ، ويسد به ثغور الأقوام فقبض منهم عشرة آلاف وأقام أسبوعاً ثم ارتحل الى (مور) وخيم بظاهره الى جهة القبلة وجعل محمد بن قيراط أميراً على أهل اللحية والنظر في بيوت الأموال وحفظ الادراك الى السيد حسن بن محسن النعمى فبقى مور في يده ، وفي تلك المدة بعث الشريف يحيي بن حيدر غازياً الى (الحديدة) وكان ذلك في **شهر الحجة سنة سبعة عشر بعد المائتين والألف** . لأن دخول اللحية كان في هلال الحجة وتجهيز علي بن حيدر الى اليمن في ذى القعدة [1] وكان في أيام بقائه بظاهر مور وصل اليه الكلفود شيخ (صليل) ومشائخ بلاد (الزيدية) وشيخ (الجرابح) وسلم أهل الزيدية القلعة طوعاً ، فأمَّر الشريف على بلدة (الزيدية) وأهلها السيد حسن علوى من السادة الحضارم مسكنه الزيدية ، ووصل اليه عهد (على حميدة) شيخ (القحرى) من أعمال بيت الفقيه بن عجيل ووصل إليه السيد عبدالبارى ابن محمد الأهدل صاحب المراوعة من أعمال بيت الفقيه ، وكل من وصل اليه يعاهده على السمع والطاعة وقتال من وراه من

---

(١) في خلال شهرين استولى حمود على منطقة من تهامة اليمن تمتد من « حرض » الى قرب « مدينة الحديدة » .

الناس ، والذى جر الشريف على ارسال يحيي بن حيدر غازيا الى الحديدة وصول العهد من على حميده ووصول السيد عبد البارى من (سهام) وظهر أنه سيتم للشريف يحيي بن حيدر ما تم للشريف على ابن حيدر في بلاد اللحية من انقياد الناس الى الاجابة من دون طعنة ولا ضربة ، وليس كل بيضاء شحمة ، فوصل الشريف يحيي بن حيدر الى الحديدة في عصابة من أهل الشام [1] وأكثرهم من (عبس) والواعظات ومعه كردوس من أهل الخيل وخيم قبلى الحديدة بالقرب منها ولبث نحو ثلاثة أيام وخرج اليه أمير الحديدة الفقيه (صالح بن يحيي العلفى) ومعه من عسكر الحديدة الرتبة ، فحين تراءى الجمعان فر أصحاب الشريف الى الشام ولم يلووا على شيء ووصل أصحاب الفقيه صالح الى مخيمهم وأخذوا ما فيه من الزاد ولم يكن فيه طائل وانصرف أصحاب يحيي بن حيدر الى (الجبانة) قرية قبلى (الحديدة) من أعمال (القحرى) وكان الشريف يحيي قد كتب الى على حميدة والى محمد جماعى شيخ العبوس والى أهل سهام و (الرماة) انهم يرسلون اليه طعاما للجند وعلفا للدواب ، وقد أقبلوا اليه فبعضهم وصل بما طولب به والآخر في الطريق فبلغهم انهزام قومه فعادوا الى محلاتهم ، والشريف يحيي نفذ بعسكره الى الضحى فوافاه هناك الشريف محمد بن على فارس وقد أرسله الشريف حمود رديفا للشريف يحيي وأرسل معه عصابة من الخيل ، ولما وصل والشريف يحيي منهزما بطلت بقية الردف واجتمع رأى الشريفين على العود الى

---

(١) يقصد بأهل الشام غزو عسير ومن ورائهم .

الشريف حمود الى مور فوصل الشريفان ومن معهما الى الشريف فقبل منهم المعاذير وراجع الأمر الى المقادير ، وكان الشريف بعد خروجه من أبى عريش الى اليمن تراجع له أن يرسل رسولا من عنده الى الدرعية الى عبد العزيز بن سعود القائم بدعوة ابن عبد الوهاب وأراد الشريف أن يتعرف له الأحوال أحوال القوم وعقائدهم وما هم عليه ويريد أن يكون اعتزاه اليهم من غير واسطة عبد الوهاب بن عامر صاحب السراة فأجمع رأيه على ارسال الشريف الفاضل ناصر السنة الحسن بن بشير بن امبارك بن محمد الحسنى وكتب معه كتابا ذكر فيه صحة المعاهدة لهم والتعرف بهم وأظهر لهم استحسان ما هم عليه وان الله سبحانه وتعالى قد شرح صدره لقبول ما هم عليه وما جاؤا به وظهر له أنه الحق الى غير ذلك ، فنفذ الشريف الحسن بن بشير الى تلك الديار ووصل عقوة الدار واتفق بعبد العزيز وأولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم حسين بن محمد وعبدالله بن محمد وعلى بن محمد وكان كبيرهم اذ ذاك حسين بن محمد ووصف لهم من حال الشريف ما طابت نفوسهم عليه واطمأنت من أجله خواطرهم اليه ، فأجاب عليه (عبد العزيز بن محمد بن سعود) بجوابات شفت للشريف الغليل واشتم منها نسيم الاقبال العليل فركن الشريف الى أهل نجد وأظهر النصح في اظهار دعوتهم والجهد ، نعم عدنا الى ذكر صالح بن عبد الملك أمير اللحية في خروجه منها فانه نفذ الى الحديدة ومنعه أميرها لا يدخل اليها فخيم خارج البلد والشريف يحيي بن على في صحبته فأقام يومين ثم ارتحل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، وحين وصل طرف البلدة منعه أميرها الدخول اليها واذن لنسائه وحرمه أن يدخلوا فبقى صالح غربى بيت الفقيه في تربة بن

عجيل هو ومن معه من الجند ، وكان أمير بيت الفقيه اذ ذاك (فتح ابن سعيد) من موالى المجربيين ، والمجربيون موالى أيضا لبعض آل الامام وهؤلاء بنو المجربى العبيد لهم رياسة مع الأئمة يتولون البلدان ويباشرون الأعمال الكبار ثم جاءت تمشية الغدير يوم ثانى عشر الحجة ، خرج الأمير فتح للتمشية على عادتهم في قانون الدولة ، وأرسل للأمير صالح والشريف يحيي بن على يركبان في خيلهما وعزم عليهما في دار الضيافة ذلك اليوم واتما يومهما لديه وانصرفا الى مخيمهما آخر النهار ، وفي صبيحة ذلك اليوم عادت الجوابات من الامام المنصور على الشريف يحيي بن على والأمير صالح وكان قد كتبا عند خروجهما من اللحية بالواقع من أسباب الخروج والمضيات فعادت الجوابات بأن الأمير صالح يبقى في بيت الفقيه والأمير فتح يجرى له الكفايات التامة مما يحتاج اليه والشريف يحيي بن على يتوجه الى الحضرة الشريفة والأعتاب المنيفة ، ويكون الأمير صالح منتظر عود الشريف يحيي بالاجناد من المقرات العالية أو يأتيه جند مستقل والشريف يحيي يأتى من طريق آخر فنفذ الشريف يحيي بن على الى صنعاء وترك أولاده ثلاثة نفر دون التكليف في بيت الفقيه وأجرى لهم الأمير فتح الكفاية ومعهم عمهم الشريف حمود بن على فارس ، وكانت طريق الشريف يحيي بن على على (ريمه) لأن الاعراب الذين في طريق صنعاء قد وصلتهم دعوة يحيي [1] بن حيدر وأجابوا داعية وربما هموا بمن طلع الى صنعاء أو نزل منها ، وهم لا يقدرون في رد الجند الا أن

---

(١) كان دُعَاة الدَّعوة يتقدمون لدعوة الناس فاستجاب لهم أهل جبل (ريمه » من جبال اليمن وكذا من حول « ريمه » .

يكون الواحد والاثنين ، ولكن الشريف يحيي [1] أخذ الحذر كل الحذر وعمل بالحزم ونالته مشقة في سلوك طريق (ريمه) وذهبت بعض مراكيبه ، ولكنه لما اتصل بالخليفة المنصور أقبل عليه بالانعام وأوصل اليه صنوف الاكرام واستدناه اليه وسمع منه ما قال ، وكان الوزير اذ ذاك الفقيه الرئيس الحسن ابن الحسن ابن عثمان العلفى القرشي ، ولد الفقيه حسن بن عثمان ـ السابق ذكره في هذه الورقات وهو من نجباء الأبناء اقتعد دست الوزارة وهو بعد العشرين السنة **سنة أو سنتين** وكمل فيما قام به ولكنه وافق دولة الوهابية وأيام الأسد الريبال حمود ، وكان غالب ما يصدر من الوزير لا يتم له نفوذ فمن هنا نقصت كفايته لا من حيث كمالاته والأمر كله لله . نعم واجتمع الشريف يحيي بن على بالسيد العلامة الحسن بن خالد وقد كان قد بعثه الشريف حمود رسولا الى الامام يستنهضه ويستحثه على القيام ويجند الجنود لقتال النجود ، وكان في هم الشريف حمود أن وقع من الامام قيام وبعث الأجناد ونشر رايات الجهاد على وجه يرجح معه الانتصار على أهل نجد أن يعود الى الطاعة للامام ويتولى قتال أهل الشام ، ومن أجل هذا اتفقت كلمة الحسن بن خالد والشريف يحيي بن على على أن المطلب من الامام واحد ، فأقام نحو ستة أشهر ولم يتهيأ للامام التجنيد على ما يطلب الشريفان ، فالشريف يحيي بن على جمعت الدولة بينه

(١) يحيي بن على فارس بن محمد بن احمد بن خيرات باين عَمَّهُ حمود وتوجه هو وابوه الى صنعا .

وبين على بن منصر أحمر الشعر من ذو محمد بطن من يكيل يقال لهم ذو محمد آل صلاح بن كولا وضموا اليه عبدالله بن حسين بن نصيب اليامى من رؤساء يام يزعم أن نسبه يرجع الى الحارث بن كعب ذو العصم أحد جمرات العرب والله أعلم ، وفي مدة بقاء الشريف يحيي ابن على بصنعا كان والده الشريف على فارس بن محمد قد طلع الى حضرة الخليفة قبل ولده وسلك طريق اليمن فوصل الى صنعا وتلقاه الخليفة بأحسن التلقى وجعل له رأيا في الاقامة ببيت الفقيه وأجرى عليه أحسن الأنعام فعاد من صنعا سالكا طريق اليمن فمرض في أثناء الطريق ثم توفاه الله تعالى في بلاد (العدين) بقرية تسمى وحقات وكان في صحبته الشريف الماجد الحسين بن ناصر بن حسن الحسنى فتولى تجهيزه ووالاه أحسن الموالاة وكان الشريف على فارس بن محمد شريفا سريا ماجدا شهما أبيا كريما على الاطلاق وحسن المكارم والاخلاق صاحب معروف ومروة وكرم طباع تلقاها عن ورثة النبوة ، كان في الكرم آية بينة وفي السيادة والرياسة رفيع الامكنة ، ولى الأعمال العريشية من تحت الامام المنصور مراراً متعددة ولبس من ملابس الملك أثوابه المتجددة ، وكان معظما في قومه معروفا بالبأس للعدو والمعروف للصديق في أمسه ويومه ، وخلف أولادا أنجاب أجلهم قدرا الشريف العماد المذكور في هذا الخطاب ، ورتبت الدولة على أن الشريف يحيي بن على الأمير على الجند وعلى بن منصر يقود رجال بكيل وعبدالله بن نصيب يقود رجال يام وينفذون الى تهامة ، وخرج الشريف يحيي من صنعا الى (برط) الى عند على بن منصر ثم منه الى بر نجران ، فوصل الى أطراف نجران في بلاد وائلة وقَدِم في بعض بيوت أكابرهم وقد وجد رؤساء يام في نفوسهم على الشريف

يحيي حيث لم يختر منهم الا عبدالله بن نصيب فتجنوا له أسباب الخلاف حتى تسلطوا على نهب خيله وما أجلب به وما خرج الا مرفقاً واختل عليه النظام الذى خرج به من صنعا وتعذر عليه العودة اليها فكاتب الى عمه الشريف حمود يطلب منه العفو والمسامحة فأجاب عليه بالاسعاد وفرح بقدومه اليه لأنه من الأعضاد ، وأما الشريف العلامة الحسن بن خالد فخرج من صنعا الى صعدة ينتظر ما يكون من خبر الشريف يحيي وما كان بقاؤه في صنعا الا ظاناً فائدة ذلك فحين أخفق مسعى الشريف العماد عاد السيد الحسن الى البلاد فسر الشريف بقدومه واتخذه خليله وجليسه يستضيء بنور علمه ، وأما الأمير صالح بن عبد الملك فأقام ببيت الفقيه مدة ينتظر قدوم الامداد فلم يقف على غير الارجاء والاستعداد ، ورجح رأى الخليفة طلوعه الى حضرته الشريفة فوصل هناك وأقام نحو أسبوع وشرعت فيه علة الحمام وانطوى في خبر الاعدام وحل بطن الارماس والارجام ، ثم دخلت **سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف** في المحرم عاد الشريف حمود الى أبى عريش وقد امتدت يده على (الزيدية) و (الضحى) و (اللحية) و (مور) و (بَوَادِي بيت الفقيه) ونفذ من عامل الحديدة صالح بن يحيي الرفع الى صنعا بانتصاره على الشريف يحيي بن حيدر ، والرفع من عامل بيت الفقيه بخروج الرعايا البرية [1] عن الطاعة واختيارهم متابعة الشريف يحيي بن حيدر فترجح للامام المنصور أن يرسل عصابة من

---

(١) الرعايا البَرِّية : من البر ضد البحر : يعنى أهل البادية .

الخيل من توابع صنعا وأهل الخيل من العبيد عبيد الامام الى بيت الفقيه ، ويأمر الأمير فتح سعيد أن يخرج بهم الى « البر » لاسترجاع طاعتهم وتأديبهم على المخالفة ، وبعث جنداً ثانيا كثيرا أمر عليهم النقيب يحيي بن هادى الشايف من رؤساء ذو حسين من بكيل والتزم يحيي بن هادى بأخذ « علي حميدة » [1] ثم يتوجه بعده الى بلاد الشام ، وكاد يتم للأمير (فتح) صلاح البرارى لو ثبت دعوى يحيي بن هادى ولكن لا يتم الا مراد الله ، فجمع الأمير (فتح) الزانة وركب غير أَبِه وخرج بمن تحت يده من الأجناد وقد وافاه الخبر بنزول (الشايف) لتأمين الخائف فوصل (شُجَيْنَه) تصغير شجنة مأخوذ من شجن العود ، وهى قرية في بلاد الرامية منسوبة الى شُجَيْنَة أم الشيخ البجلى [2] المقبورة فيها ، هكذا قيل والله أعلم ، وهو قدوم الشايف على (على حميدة) حتى يكون له حكم الردء ، ويتم له نفاذ الأوامر على مخلاف بيت الفقيه كما يريد ، فما راعه الا وصول خط من الشايف يخبره أنه طارح على حصن (على حميدة) وانه وقع بينهم الحرب ويستدعى الأمير فتح الى (الغنمية) قرية في بلاد العبسيين مما يحاد بلاد القحرى بفتح الغين المعجمة بعدها نون ساكنة بعدها ميم بعدها ياء النسبة وهاء التأنيث منسوبة الى غنم بن سملقة ابن الحباب من عك : هكذا في كثير من كتب التاريخ : فنفذ (الأمير فتح) من حينه واستقر « بالغنمية » ، وبين

---

(١) علي حميدة « رئيس قبيلة القحرى » .

(٢) راجع اخبار الشيخ محمد بن الحسين البجلي ص ٥٥ في كتابنا التصوف في تهامة .

شجينة والغنيمة نحو ثلاثة فراسخ فاستقر « فتح » في الغنيمة وأرسل من يتعرف له أخبار « يحيي بن هادى » وأهل حسن على حميدة لأن على حميدة لما قرب الشايف ترك الحصن وخرج منه الى الهيجة هيجة الجرابح وترك في الحصن رجالا ثباتا لهم دربة بالقتال ودراية بأمور الحرب وثباتا في القتال فقاتلوا جند الشايف قتالا شديدا حتى أيس الشايف من قبض الحصن ودس اليه على حميدة من يرجفه بالأخبار وان الشام قد ألقى اليه أفلاذ كبده بجيوش لا قبل لك بها وان الأولى تقبل من على حميدة (عقائر) [1] البقر ، وترحل عن (باجل) وهى قرية على حميدة وباجل بالباء الموحدة بعدها ألف يليها جيم مكسورة وآخرها لام ، فقبل الشايف « العقائر » من على حميدة وهى عنوان الطاعة ، وان (على حميدة) سيلحق الى الغنمية للمواجهة والتسليم فبادر يحيي بن هادى النقلة ولحق بالأمير فتح وأخبره الخبر فقال به فتح لقد خدعك على حميدة وهذه هى من أراجيفه ، فبينما هما في هذا الكلام اذ فاجأتهم نواصى الخيل من جهة الشام [2] تميل الى الغرب نحو سبعة خياله أغاروا في طرف المطرح [3] وساقوا جمالا فركب رجال من بكيل ولحقوا بعد الجمال حتى اتصلوا بالطليعة

---

(١) العقائر: جمع عقيرة ، : تذبح من البقر كترضية في جهة اليمن الشقيق ، الى هذا التاريخ . وهي بدون شك من رواسب العهود البائدة ، وهي مما يذبح لغير الله .
(٢) من جهة الشام : اي خيل نجد والعجمان وبيشه وعسير واهل المخلاف السليمانى .
(٣) « المطرح » : المعسكر .

وأصيب رجل من بكيل وعادت خيل بكيل الى المطرح ، وريثما نزلوا عن خيلهم اذ أقبل جماعة يدعون حي بكيل ويطلبون منهم الاتفاق بهم فوصل منهم رجلان بأمان الى مطرح بكيل ومنعوا أن لا يأكلوا ذبائح بكيل لئن معتقدهم أن من خالفهم فهو مشرك ، وعظم ذلك على بكيل وسار معهم رعب ، ثم ساروا بكيل باناس أخبروهم انهم من العجمان وقالولهم أن بيننا وبينكم اتصال في البلاد ولا نريد يحصل فيكم قتل أو سلب فان وراءنا جنود لا تحصى وخلائق لا تستقصى وعدد كثير من الأمراء كالشريف حمود وعبد الوهاب بن عامر وسالم بن شكبان [1] وغيرهم من الأمراء الذين امتلأت الأرض بصيتهم ووقائعهم فركن بكيل الى أقوالهم وعزموا من (الغنمية) وصحبتهم الأمير فتح وجنده وجملة من جند الشايف ، وجند « فتح » يقارب ألفين والخيل تنيف على الخمسين ، فارتحل الاقوام من الغنمية وقت الإشراق يوم **رابع عشر من شهر صفر سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف** وحين سلكوا الطريق الى اليمن لحقت بعدهم خيل العجمان تأخذ ما تأخر في الساقة وبقى من فيه ثبات من أهل خيل الدولة يكافح عن المشاة جهده . ولم يزال الأمر كذلك واليوم صائف والشمس في

---

(١) سالم بن محمد بن شكبان الرميثين من قبيلة شهران من أهل بيشه من قرية « الدحو » اسندت اليه امارة جهته من قبل الدرعية سنة ١٢١٣ ـ الى ان توفي سنة ١٢٣٩ في وطنه كان من ابرز قادة الدولة السعودية واشترك في الغزوات في الشمال والجنوب وخلفه على رياسة قومه ابنه فهاد بن سالم .

كبد السماء في أيام حزيران فهلك بحر الشمس والسموم عالم من الجند ، وأهل الخيل والمشاة لم تفارقها طلائع نجد الى قرية شجينة ، وأمسوا في شجينة ليلة ثم توجهوا الى بيت الفقيه فأصابهم حر الشمس ولكن لم تلحقهم الخيل لأن أهل الخيل رجعوا الى أصحاب لهم في أطراف (باجل) وأخبروهم الخبر فتوجهوا الى جهة اليمن غزاة فصبحوا قرية (القُطيع) بقاف مضمومة وطاء مهملة مفتوحة ومثناه تحتية ساكنة بعدها عين مهملة تصغير قطع ، وهي قرية في خبت (سهام) يسكنها السادة الأعلام آل الهَجَّام (من الأهدليين) والأهدليون أهل علم وشرف ورياسة وصلاح فقصدتهم الغازية وهي من العجمان من قبائل نجد (عددها) زهاء ثلاثمائة ما بين فارس وصاحب مطية ، فانحاز أهل القطيع الى حسن السادة آل الهجام ولكنه لم يكمل بناؤه وبقى فيه ما يتم للعدوا معه الدخول ولكن فيه جماعة أهل بنادق حموا عنه جهدهم ، فاستولت الغازية على القرية وقتلوا من أحاط بالحصن وبلغ عدد القتلى من الرجال والصبيان قريب المائة ، ومات بالعطش مثلهم ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولم ينصرفوا الا بشيء من المال سلمه أهل الحصن مفاده ، ثم انصرفوا وأما (فتح) فعاد الى محل ولايته (بيت الفقيه) وفرق جنده في أرباع البلد .

وأما (الشايف) فدخل (بيت الفقيه) وملأ المساجد والبيوت بجنده واستقر نحو أسبوع وجنده يذهبون ارسالا على رؤوسهم الى جهة اليمن وهو رفع قضيته الى الامام المنصور فعاد الجواب بأن يطلع الى الحضرة فلا بعد الفرة من كره فطلع الى حضرة الامام ولم يقض من ذلك التجهيز المرام ، وذهبت الأموال المنفقة في حيز الذهاب

والبذرقة[1]، عدنا الى ذكر الشريف حمود ونفوذه من مور الى جهة الشام فانه وصل (الجنة) [2] قرية من قرى وادى خلب ، باسم دار القرار ، كان اختطها عمه الشريف حسن بن أحمد الحسنى وسكنها معه الشريف حمود وبنا فيها **معقل مشايخ الذرى حاميا لتلك القرى** ، وخلب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة واد بين حرض وأبى عريش ، فبينما الشريف مستقر هناك اذ ورد عليه غزاة من طوائف نجد من قحطان ومن الدواسر ومن شهران والعجمان قوم كثير ، معهم من الخيل والركاب ما يملأ الرحاب ، فلما وصلوا الى الشريف أخبروه أنهم لا نفوذ لهم الى اليمن الا به أو باذن منه أو يصحبهم أحد أصحابه فاستكثر تلك العصابة وامتلأ بهم وطابه وعزم على الغزو بنفسه فنادى في رجاله وعزم على من في حباله وتوجه أميراً على تلك الجنود وهو يقصد اليمن وجل مقصده منه (الحديدة) لما صدر منهم في أصحاب يحيي بن حيدر ، وما زال يتابع السفر حتى أناخ بظاهر (الحديدة) وكتب كتاباً الى قاضيها وعاملها وكان القاضى يومئذ العلامة الكبير المجتهد النحرير محمد بن أحمد بن محمد مشحم من علماء السنة ومفاخر اليمن ، وقد استوفيت ترجمته في كتاب الوفيات

---

(١) البذرقة : الجماعة تتقدم القافلة للحراسة ، قيل معرب وقيل مولد . « المصباح المنير ، وجاء في كتاب الاغانى جـ ١٦ ص ٣١٤ بالمعنى نفسه .

(٢) أَلْجَنَّةُ : على الجنة التى وُعد بها المتقون في قرية كانت قرب قرية « المرابي » وقد دثرت ولا تزال بئرها معروفة الى الآن وكان عندها حصن لحماية مزارعها دثر هو ايضا ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافي حرف الميم الطبعة الثانية .

لأنه رقم هذه الوريقات قد درج الى دار السلام أسكنه الله تعالى دار الرضى والانعام وكان العامل الفقيه صالح بن يحيي العلفى القرشى ، ومضمون ذلك الكتاب دعوتهم الى طاعته ودخولهم في جماعته والا فقد أعذر من أنذر ، فتمالأ أهل الحديدة على عدم الجواب وعود الرسول عارى الإهاب ، وكان في آخر ذلك اليوم تقدم أصحاب الشريف على أهل الحديدة وخرج اليهم ناس من التوابع وغوغاء من الصومال وأهل البلد وحين رأوا اقبال الأقوام لبسوا ثياب الانهزام وبلغ هاربهم الى البحر وانحاز الفقيه صالح بن يحيي الى قلعة الصديقية وهى من أعظم معاقل الحديدة معمورة بالمدافع وآلات الحرب وضربت المدافع من جميع النوب وتقدم أصحاب الشريف الى أن دخل كثير منهم البلد فبادر الفقيه صالح باحراق البيوت الخوص فاضطرمت النار في تلك البيوت الكبار حتى كانت ترى على مرحلتين ولله در القائل :

تنورتها من أذرعات ودارها بيثرب أدنى دارها نظر عالى

ومع اضطرام النار خرج أصحاب الشريف من البلد وخرجوا الى مخيمهم ورصاص المدافع قد أزعج أهل المخيم وأصيب الشريف حمود بمسمار وقع في عرض رقبته ، ولم يؤثر فيه ضرا لأنه وصل فيه بارد ، وأمراء أهل الحديدة يحرقون بلدهم ويرمون بالبنادق والمدافع ، والشريف في خيمه يعمل الافكار في القدوم على البلد وأهل الحديدة تلك الليلة قد أجمع رأيهم على تسليم مال الشريف على أن يرتحل وفي همهم أن يبعثوا اليه في الصباح من يتوسط بتسليم المال ، فما راع الشريف الا وصول رؤساء الغزو من الدواسر وقحطان وهم يقولون :

القول يا شريف ما بقى لنا مطمع في هذه البلدة ما فيها الا بندق ومدفع ونحن نريد الطرش من الابل والماشية فتحداهم على البقاء ولو ذلك اليوم لعله ينقضى له المرام فلم يسعدوه وهم الكثرة والوفرة فما وسعه الا الشداد والارتحال من الحديدة ، فارتاح أهلها من أذى الحصار ومما كانوا هموا بتسليمه من النضار ، والشريف توجه بتلك الغازية على الساحل فجاء على (غلافقة) ثم (الجاح) ثم (المجليس) حتى انتهى الى (التحيتا)[1] تصغير تحتى ، وهى بالتاء المثناة الفوقية وفتح الحاء المهملة بعدها ياء تحتية فمثناة فوقية وألف مقصورة ، قرية من قرى زبيد يسكنها بنو المزجاجى وبنو حسان واخلاط معهم ، فدخلها القوم وانتهبوا ما فيها ، والشريف استقر فيها ريثما غزا بعض البدو الى اليمن وحصلوا من المواشى ما فيه مرادهم ثم نفذ الشريف راجعا الى الشام وجاء طريقا أعلى من الطريق التى ذهب فيها وخرج على قرية (المراوعة) في وادى (سهام) يسكنها السادة بنو عبدالبارى الأهدليون أهل سمت وصلاح واطعام للطعام ، والمراوعة بصيغة منتهى الجموع بفتح الميم والراء بعدها ألف وبعدها واو مكسورة فعين مهملة مفتوحة فهاء السكتة على زنة جحاجة ثُم منها الى بلاد الحضريين من القحرى واجتمع به هناك من مشايخ اليمن من قد والاه وأكد عليهم العهود وواعدهم بالغوث ان جاءت عليهم الجنود

---

(١) بلدة التحيتا وهى البلدة التى وصلت اليها القوات السعودية بقيادة سمو الأمير فيصل ابن عبد العزيز في سنة ١٣٥١ اثناء الخلاف الواقع بيننا وبين اليمن الشقيق .

وتوجه الى الشام ، وفي بلاد صليل اجتمع به ابراهيم بن علي الكلفود وأكد معه العهد واغتبط بطاعة الشريف ، ووصل الشريف الى وادى (مور) وأرسل الشريف الماجد يحيي بن حيدر بن محمد ابن أخيه واليا على اللحية وجعل اليه أعمال تلك الجهة ، واستقر الشريف بمور أياما ثم نفذ الى الشام .

في شهر المحرم من هذه السنة توفى الشريف الكريم حسنة الاقليم سيد الطالبين في الخلق والخلق وبدر المؤمنين الذى يستضيء به كل افق وأحد الكرام رئيس الشم الفخام زعيم القادة الأشراف وأجل من امتطى صهوات العتاق في عصره من ولد عبد مناف أبو أحمد محمد بن حيدر بن محمد الحسنى وكان سبب موته مرض البحران ، وكان موته في البيض ، القرية التى اختطها جده الشريف محمد بن أحمد بأعلا جازان من أعمال أبى عريش وبينها وبين أبى عريش نحو الفرسخين تزيد قليلا وحمل على أعناق الرجال الى أبى عريش ودفن في مقبرة الديرة : شعرا :

أرضوى اذا طاشت حلوم أولى النهى وهو الهزبر اذا تشاجرت القنا

رحمه الله رحمة الأبرار وبرد مضجعه ، وقد استوفيت ترجمته وفضائله في وفيات أعيان القرن الثالث عشر ، وبعد استقرار الشريف ما زالت الأوامر ترد عليه من الأمير عبد الوهاب بن عامر والرسل من قومه من أهل السراة ويخاطبون الشريف بما لم يألفه من خطابات العامة ولا يحترمون لمجلسه حرمة ، والرجل من الملوك قد ألفت نفسه وروحه

الجلال وعرف مقامه بالاجلال ، وكان أهل السراة عن آخرهم عند أهل تهامة بمنزلة الخدم فلا يحتشموهم في شيء ولا يرون لهم ما يرونه لغيرهم من الحق ، فلما استجابوا لدعوة ابن عبد الوهاب عظمت هيبتهم ووقع من فتكاتهم ما ارتاع منه الجمهور ، وكان الشريف لا يرى الاحتمال لما يقول ويفعله أهل السراة ، والرد لا تطيقه نفسه لما يأتي منهم يثير الحفائظ ويأتي بالنقائض فرأى من سديد الرأى أن يجتمع هو وابن أخيه الملك العادل الشريف منصور بن ناصر ، وربما استعان برأى من له رأى ثاقب من الاشراف كالشريف العظيم ابو منصور ناصر بن محمد وهو أخو حمود ووالد منصور وكان في قومه كالاحنف في رهطه وهو أجل وأعلى من الأحنف ، وما أدرى هل استشار الشريف يحيي بن محمد أم لا فقد بعد عن ذهنى القضية ، واجتمع رأيهم على أن يرسل الشريف من طرفه العلامة الحسن بن خالد وابن أخيه الماجد أحمد بن حيدر الحسنى يوجهها الى (الدرعية) الى عند سعود بن عبد العزيز بن سعود ، والملك العادل والشريف الباسل منصور بن ناصر ينفذ عن نفسه فيما يتعلق ببلد ولايته صبيا وبيش ومعينا لعمه الشريف حمود لأنه صاحب رأى صادق ولسان ناطق وله عند أهل نجد فضيلة السبق بالاجابة وهذا بعد أن بلغت الأخبار بوفاة أمير نجد القائم بدعوة ابن عبد الوهاب والضارب عليها الهامات والرقاب ، عبد العزيز [1] بن محمد بن سعود التميمى فيما

---

(١) لقد أورد صاحب كتاب (عنوان المجد) نسب آل سعود على الوجه الآتى بقوله :
(وفيها أى في سنة ١١٧٩ الامام الرئيس المجاهد الدينى بالعرمر الخميس : =

أخبرنى به ولده عبد الرحمن بن عبد العزيز بمكة المشرفة ، والمرادى كما أخبرنى به العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، وكان سبب وفاته أن بعض الرافضة من أهل العراق طعنه بسكين وهو في الثانية أو الثالثة من صلاة العصر ، ووقع ما وقع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمل من المسجد الى البيت وعاش قليلا

=

١ ـ محمد
٢ ـ سعود
٣ ـ مقرن
٤ ـ مرخان
٥ ـ ربيعة
٦ ـ ابراهيم
٧ ـ ربيعة للمرة الثانية
٨ ـ مانـع

ووقف المؤلف على ما فوق مانع .

وجاء في شرح المحقق على الكتاب وهو الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ : ووقف المؤلف على ما فوق مانع ثم استطرد قائلا : (هو الامام محمد)

٢ ـ سعود
٣ ـ محمد
٤ ـ مقرن
٥ ـ مرخان
٦ ـ ابراهيم
٧ ـ موسى
٨ ـ ربيعة
٩ ـ مانع
١٠ ـ ربيعة للمرة الثانية
١١ ـ مريد (من رؤساء قبيلة عنزة)
١٢ ـ أسد
١٣ ـ ربيعة
١٤ ـ نزار
١٥ ـ معد

وهذا ما يتفق عليه مؤرخو نجد كابن بشر وابن غنام ومن تلاهما لا يختلف فيه اثنان وما اعتمد في كل كتب التاريخ .

ريثما أوصى ثم انتقلت روحه وصلى عليه الناس في الدرعية أفواجا واتصل خبره بجميع الأقطار فصلى عليه كل من بلغت اليه دعوته ودخل في اجابته وقام بالأمر من بعده ولده سعود بن عبد العزيز وبايعه الحاضرون ، وكاتبه بالبيعة الناؤون ، ولم يتخلف عن بيعته أحد ، فمع ذلك أراد الشريف ارسال من يثق به لتأكيد بيعة سعود وأخذ العهد منه والوثيقة والتعرف بأحواله ، فأرسل اليه السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمى وفوض اليه جميع ما في ضميره من المقاصد من سعود على بن أخيه الملك العادل منصور بن ناصر بن محمد الحسنى صاحب صبيا وبيش وتلك الجهات في التوجه صحبة الحسن بن خالد كما قدمنا قريبا ، وفي صحبتها الشريف أحمد بن حيدر بن محمد الحسنى من قبل عمه الشريف حمود ، وأصحبهم الشريف من المال والهدايا الممتعة من النفائس والغرائب ، وجعل من الزاد والرواحل ما يحملهم ويحمل متاعهم ، وكانوا ركبا كثيرا ومن جملة ما تحراهم فيه الشريف فصل امارة عبد الوهاب ابن عامر عنه ، وأن يكون أميرا مستندا الى سعود من غير واسطة والتزم بجهاد اليمن وفتح ما أمكن فتحه ودفع الخراج لسعود ، فنفذ المذكورون على اسم الله من أبى عريش الى صبيا ومنها الى بيش ثم الى درب بنى شعبة ثم الى العقبة ، وقد كتب الشريف الى عبد الوهاب يخبره بأنه سيرسل من طرفه من ينفذ الى الدرعية لأجل العزا في عبد العزيز وتأكيد البيعة وأوهمه أنه ما تعرض لشيء من خوض الامارة ، ولما وصل الركب الى طور السراة عبروا في بلاد عبد الوهاب وهم آمنون ، وانفصلوا من السراة الى بلاد شهران ثم الى بيشة ثم الى بلاد قحطان وقطعوها في نحو خمسة أيام حتى وصلوا الى وادى الدواسر وأقاموا فيه ريثما ذهب تعب الرواحل ، وقام

بأمرهم أمير الدواسر بالضيافة ، وكذلك كل أمير يعبرون بلده ، ثم سافروا من بلاد الدواسر الى الدرعية في قدر ثمانية أيام من حين خرجوا من بلاد الدواسر الى الدرعية ، ولما وصلوا الى الدرعية الى سعود تلقاهم بما يتلقى به عظماء الوفود ، وأنزلهم في بيت يجمعهم وأجرى عليهم الكفايات واستحضرهم في مجالس العامة ، واختص بهم في أوقات خاصة بهم ، وتأكد منهم العهود وتأكدوا منه في شروط الشريف حمود ، وواصلوا أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم حسين بن محمد وعبدالله بن محمد وعلى بن محمد وأبلغوا مكاتيب من الشريف تتضمن كل لفظ لطيف ، ووصلهم الشريف بشيء من الصلات فاستتب الأمر على ما يريده الأشراف وأسعفهم سعود الى مطالبهم أعم الاسعاف وفصل امارة الشريف عن عبد الوهاب ، وجعل نظر اليمن الى الشريف يدخل فيه من أى باب ، وفصل أعمال بيش وصبيا عن نظر عبد الوهاب بن عامر ، وجعل جل أمورها وعقدها بنظر أميرها منصور ، ورسم للشريف ولمنصور بالاستقلال والخط المزبور الا أنه استثنى على منصور الاستنفار عند البعوث الكبار بأن يكون منقادا مجيبا اذا استنفره عبد الوهاب ، وكان منصور يود أن يكون جهاده مع عمه ليتم له من الاستقلال مراده ، وبعد تمام الأمور أقبل الركب المذكور وقد انشرحت منهم الصدور وابتسمت منهم الثغور بالاستقلال بالمعاقب والثغور وأقبلوا يطون البيد ويستقربون البعيد فرحا بالعود من تلك المهامة الفيح ، وسروا بما نجحت لهم تلك السفرة من المتجر الربيح ، ولما وصلوا الى الشريف وأخبروه بما وقفوا عليه من ذلك الجناب المنيف حمد مسعاهم وأخصب مرعاهم وتمثل بقول من قال حين وفق الى بلوغ المراد :

اذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

وكان هؤلاء الثلاثة النفر الذين نفذوا هم كفاة الدولة ودعاة الصولة في مملكة الشريف واستعجب أهل نجد من فصاحة الشريف منصور وسرعة خطابة وكثرة صوابه ، ورأوه فوق ما هو فيه من الممالك ، ولما هو عليه من الكمال الذى هو لكل فضيلة مالك واشتغلت خواطر الأعيان منهم بما سمعوه من العلامة الحسن بن خالد في حفظه العلوم وذلاقة اللسان عند النطق بالملعوم ، وعرضوا ما عندهم من الكتب العلمية فأخبرني أنه مما عرض عليه كتاب بن فهيد في الرجال في مجلدات ، وهو الذى اختصره (العزى) وسماه تهذيب الكمال ، ومما عرضوه عليه المحلى وشرح المحلى لأبى محمد بن حزم الظاهرى ، وكتاب (التمهيد) لابن عبد البر غير كامل ، والتفسير الكبير للامام محمد بن جرير وغيرها من الكتب التى يمكن وجودها عند غيرهم ، ومما أخبرني عنهم : أنهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل الا أنهم يقدمون العمل بالنص على العمل (١) بقوله وحين تم للشريف المراد بانفصاله من عبد الوهاب لذّله المشرب وطاب وقام بالأمر الذى عهد اليه وعمل عمل المستقل ان أحسن فله وان اساء فعليه ولما تقرر لعبد الوهاب بن عامر انفصال الشريف عنه واعتزازه الى سعود من غير واسطة منه وكذلك أيضا انفصال منصور فيما يعنيه من الأمور وجد في نفسه على الأشراف وبقى يتتبع ما يصدر منهم من التقصير ونسبه اليهم

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ على ص ١٠١ .

من الخلاف ، ولقى الوشاة المجال وما زالوا يوحشون قلب الشريف بأكاليم يلقونها عن عبد الوهاب وقعها أعظم من وقع النبال ، وكذلك عبد الوهاب يلقون اليه ما يكدر خاطره وينفر قلبه وما زالت البغضاء تروغ في مجال الفريقين والشريف مجامل لعبد الوهاب معتذر عن كل ما ينقل عنه من الخطاب وعبد الوهاب يقول ولا يتلعثم ويجهر ولا يتكتم ، حتى أدى الأمر الى الاتصال بمسامع سعود وكان يميل الى قول عبد الوهاب ويكتب الى الشريف يوبخه ويلومه فيما يشكوه عبد الوهاب فلا يجد من الشريف جفوة في خطاب ولا زلة في كتاب وفي **شهر رمضان سنة ثمانية عشر بعد المائتين والألف** بعث الشريف بعثا أمر عليه على بن حيدر واستنفر من صبيا الشريف منصور بن ناصر فبعث جندا من أهالى صبيا والمخلاف وجعل أميرهم أخاه على بن ناصر واجتمع الجندان باعلا وادى جازان وغزوا القبيلة المسماة (بنى حريص) على زنة الصفة المشبهة مشتقة من الحرص الذى هو المنع على اخراج الحق من المال ، وهم قبيلة أهل منعة فناوشوهم الحرب وقتل من جند الشريف القليل ومنهم الكثير ووصل عرفاؤهم الى أمير الغزو للعهد والدخول في الطاعة ثم عاد الغزو وتفرق كل قوم الى بلدهم ، وفيها بلغ الى مسامع الشريف استيلاء صالح بن يحيي القرشى الأموى أمير الحديدة على قلعة (الزيدية) وارساله ابن أخيه حسن بن حسين بن يحيي في عصابة من العسكر لقبض القلعة فناوشهم العسكر الذى فيها وهم من أهل البلد الحرب قليلا ثم نادوا بالصلح على شرط الأمان ، وقد كان الكلام مختوما ما بين الفقيه صالح والعسكر الذى في القلعة على أن يسلم لهم شيئا من المال ويظهرون المناوأة ساعة من نهار ثم يسلمون القلعة فحين بلغ الشريف ذلك بعث الشريف على بن حيدر

في عصابة من الخيل والرجال وأمره يستنفر من أمامه من أهل اليمن كاهل الواعظات ووادى مور وبلاد صليل فنقى من كل قوم طائفة حتى اجتمع عصابة من الجند وتوجه الى الزيدية وخيم في طرفها القبلى مما يلى الشرق وصبح من فيها وساهم بالحرب ولكنهم تعلقوا بالقلعة وعمروا معاقل على البيوت التى تقرب منها فتعذر استنفاذها فبقى الحرب نحو من شهر ثم رجع الى مدينة مور فوجد الشريف قد رجع من أبى عريش اليها ، وكان هذا الأمر الصادر من الفقيه صالح أمير الحديدة وهو بتأمير من الخليفة المنصور أمام صنعاء وقد كان وجه هذا الأمر والقيام بأعبائه الى الأمير فتح سعيد المجربى عامل بيت الفقيه ابن عجيل فاعتذر عن تحمل الأعباء لكون الأمر يحتاج الى بذل الأموال ليس عنده ما يقوم بذلك ، وحين تأبى عن هذه (المهمة) القوها الى الفقيه صالح فأقبل الى ذلك وبلغ فيما هنالك ، وحين افتتح قلعة الزيدية رفع الى الامام المنصور وأخبره بما افتتحه من الثغور فعظم ذلك عند الامام وزاد في قبول ما يطلبه من المرام ، ورأى أنه عرابة [١] الراية فيما طلب منه وندب اليه ، وحين ضعف جند الشريف عن استنقاذ (الزيدية) رغب صالح في استنفاذ ما وراءها من مور واللحية فاستدعى الجند من بكيل وعول على الخليفة بأن يصحبهم طائفة من الخيل وطلب أنهم يمرون على عامل بيت الفقيه يخرج بمن عنده من الأقوام ويطرح في أطراف بلاده من جهة الشام ليكون حكم الردء للفقيه صالح المذكور ، فنفذ عامل بيت الفقيه حتى طرح بالغانمية ،

(١) راجع الحاشية على ص ١٠٨ حول (العرابة الأوس) .

والفقيه صالح أعد للخروج عدة لم يعهد مثلها في قريب الأيام وخرج في صحبته أهل الصناعات من الحدادين والنجارين والخياطين وجهز المدافع على العجلان والبكرات واستصحب الطنابشة المشهورين في رمى المدافع بالاصابات واستعد من الأطعمة والأقوات ما يكفى الأقوام من أهل الحاجات ، وخرج من الحديدة الى الضحى والجند البكيلى أقبل من صنعا طريق البحيح ثم منه الى الضحى ووصلوا اليه قبل قدوم الفقيه صالح فاستقروا بالضحى ينتظرون قدوم الفقيه صالح ، وقد كان خرج اليهم ابن أخيه الفقيه حسن بن حسين من الزيدية ، وكان خروجه اليهم من الحديدة **في أوائل شهر محرم الحرام سنة ١٢١٩ هـ** ووصل الى الضحى وأقام نحو ثلاثة أيام وأكثر ، وكان قد حصلت غازية من خيل الشريف على بكيل الذين في الضحى فأغاروا على الغازية وأسروا رجلا من الأشراف ممن يعز على الشريف حمود فقبضه الفقيه صالح والتزم لهم بالمال فقابل قبضه وارسله الى قلعة الزيدية ، ثم عزم على الارتحال الى الشام لافتتاح ما قد تملكه الشريف من القلاع وبندر اللحية ، وكان الشريف حمود حين بلغه عجز أجناده عن استنقاذ الزيدية وبلغه أيضا جمع الفقيه صالح الجنود وتهيؤه للقدوم الى الشام خرج من (أبى عريش) **في اثنى عشر من شهر القعدة** وأقام بقلعة مور واستنفر من كان تحت يده من رجال تهامة واستدعى بعضا من رجال همدان من بكيل ، ولما وصل الى مور وتحقق الخبر بحركات صالح ووصول خط من على حميدة شيخ (باجل) يطلب منه ارسال رجال يحفظون له قلعته ورجال من أهل الخيل يحمون حوزته فبادر الشريف بارسال جماعة من أهل الخيل أميرهم ابن

أخيه الشريف حيدر بن ظافر ، فوصلوا الى « علي حميدة » ولكن سبقتهم رسائل العمال اليه وأرسل اليه الفقيه صالح أنه ان توسع لاصحاب الشريف ليسلطن عليه بكيل النازلين من صنعا فخاف ومال الى الأمير فتح سعيد عامل بيت الفقيه وطلب منه الأمان وضمانة النقيب هادى بن ناجى بن حشيش ولما استوثق لنفسه اعتذر من أصحاب الشريف وأرجعهم الى الشريف وكتب صحبتهم الى الشريف كتابا يخبره فيه بكثرة أقوام أهل اليمن واحاطتهم به من جميع الجهات ، ولما وصل حيدر بن ظافر ومن معه علم حمود أن قلعة « على حميدة » قد صارت في حوزة عمال الامام والحقت بالزيدية والضحى فنادى في جنده بالرحيل وخرج من مور الى الزعلية ومنها الى بعض الديور في بلاد صليل فاستقر هناك والفقيه صالح بن يحيي ارتحل من الضحى الى « دير علي » قرية شرقي الزيدية وأقام هناك في ذلك الدير هو وحاشيته وجنده الا بكيل الواصلين من صنعا فانهم خيموا في (دير عطا) قرية قبلى « دير علي » والمسافة بينهما قدر ميلين ، وحين علم الشريف ذلك زحف الى أن طرح قبلى دير على بميل جهة الغرب وكان يوم ثامن أو سابع من شهر صفر حصلت المعركة بين جند الشريف وجند الفقيه صالح وهى المسماة معركة (دير علي) وسبب ذلك أن بعض أهل الخيل من جند الشريف اعترضوا السياق الواصل للفقيه صالح من الحديدة فشعر بهم جند الفقيه صالح فخرج منهم جماعة من أهل البندق ورَامُوهُم من بعد الشروق حتى انتصف النهار فأغار أصحاب الشريف في يوم صائف قد اشتد حره وهم أهل جلد وخشونة وجند الفقيه صالح أهل جبال لا يطيقون البلاد الحارة لا سيما القفار كثيرة الرمل معدومة المياه فما كان أسرع من انهزام أصحاب

الفقيه صالح وكانت هزيمتهم الى مخيمهم بدير علي فلحقهم جند الشريف وخالطوهم في المطرح فثبت جماعة من توابع صنعا وقاتلوا قتالاً يليق بمثلهم وثبت الفقيه صالح في أهل الخيل وحينما خالطهم أصحاب الشريف في مخيمهم خرجوا منه الى « دير عطا » حيث رجال بكيل ووصل من رجال بكيل جماعة غايرين على مخيم (دير علي) ولكن لم يصلوه الا وقد غشيه أصحاب الشريف ، وكان في المطرح جبخانة بارود فأحرقها بعض أصحاب صالح لما دخل عليهم العدو فأهلكت كثيرا من أصحاب الشريف ومن أصحاب صالح ، ثم أقبل مخيم الشريف بقضة وقضيضة وتولى على جميع ما في المخيم حق صالح من الخيام والامتعة وكلما كان أجلبوا من مال وآلة حرب ، وانجلت المعركة عن زهاء ثمانين ما بين قتيل وأسير ، ولم يهلك من أصحاب الشريف الا من أحرقه البارود ، وأمسى الفقيه صالح ومن نجا من قومه بدير عطا الى نصف الليل ثم ارتحل هو ومن كان معه من بكيل وغيرهم الى الزيدية وكانت طريقهم شرقي (دير علي) وركبوا سجوف الظلام حتى دخلوا قلعة الزيدية في آخر تلك الليلة ، وأقام الفقيه صالح نحو أسبوع محصورا في القلعة حتى توسط السعاة بينه وبين الشريف على هدنة تكون سنة كاملة يترك فيها الحرب وبعد انقضاء السنة يعود الحرب كما كان وعلى أن يسلم قلعة الزيدية وجميع البلاد التى كانت في عهد الشريف من وادى سهام وما وراه الى الشام ودخل في ذلك العبوس والقحرى وما والاهم فقبل الفقيه صالح هذه الشروط وسلم قلعة الزيدية وما وراءها الى جهة اليمن الى حدود سهام وانصرف من الزيدية راجعا الى الحديدة وارتحل معه من أهل الزيدية كل من خشى المعاقبة من رؤساء البلد ، ولم يبق فيها الا المستضعفين من أهلها الذى لا

يستطيع الحركة ، والشريف بعد عزم صالح انتقل من مطرح دير على الى الضحى وقد كان جنده الذين باشروا الوقعة قد تأثلوا بما وجدوه في مطرح الفقيه صالح فانهم وجدوا فيه من الغنائم ما لم يكن لهم في حساب ، وكان كلهم من رعايا أهل الجهات الشامية ، ما يمكن أكثرهم اكتساب ما غنمه من البنادق الغالية الأثمان والسيوف المحلاة بالفضة وجميع أنواع السلاح والثياب فازداد رغبتهم في القتال بما وجدوه من المال ، وأما النقد الموجود في المطرح فبلغ أنه اختص به الشريف والله أعلم بالحقيقة ، وحين سمع أهل الشام بهذه الوقعة وظهور الشريف على الفقيه صالح أقبلوا يهرعون اليه من كل فج ، ولما اجتمع عنده من الجند ما قرت عينه عزم على غزو (الجرابح) القبيلة المعروفة ، وقد كانوا ممن دخل في عهد الشريف في بادىء الرأى ، ولما قبض الفقيه قلعة الزيدية دخل معه (الجرابح) وخلعوا طاعة الشريف ، وبعد انفصال الأمر بينه وبين صالح راسلهم للعودة الى طاعته فلم يرفعوا لذلك رأسا وانحازوا الى الهيجة المعروفة هناك وهى موضع ذو أشجار كثيرة يتعسر دخول الناس اليه لأنه لم يكن لها الا طرق معروفة لا يدركها الا أهلها المختصون بها ، فأما الخيل فدخولها فيها متعذر وللمشاة متعسر ولما آيس الشريف من إقبالهم غزاهم بذلك الجيش وتوصل إلى معرفة الطريق برجال من محادديهم من قبيلة صليلة (يقال لهم) بنى البرة (على اسم البرة .. الواحدة ينسب اليها طائفة من صليل أهل بأس شديد يحاددون (الجرابح) وكانت العداوة بين الجرابح وصليل قديمة فبذلوا النصح مع الشريف نكاية في الجرابح ، ودلوه على عوراتهم ، فبلغ جند الشريف المواضع التى انحازوا فيها الجرابح

واودعوا فيها كل نفيس من أموالهم وذراريهم ، ولما بلغ الشريف الى تلك الجهات ارتاعوا من صولة الأسد الرئبال وتعسر عليهم معه القتال فكانوا الغنيمة الباردة لتلك الأسود الواردة فاستأصل الشريف الشافة ، ولله در القائل :

ولم يبق الا من حمى عن سوارها واحجالها عذب الشنيب المبرد

وأسر الشريف رجالا من كبراهم ومَنَّ عليهم باطلاق الذرية والنساء وحصل الجند على شيء كثير من الأموال لا سيما المواشي ، وخرب البيوت ، وبعد ذلك عادوا الى الطاعة ونكلهم الحلقة والكراع مما فات على الجند . وبلغت هذه الغزوة الى هيجة الجرابح مبلغا عظيما في صدور الناس وزادت هيبته عندهم ، وأرسل غازية من أهل الخيل الى جهة (العبوس) ليعلم طاعتهم فوجدهم في طاعته راضين سالكين في جماعته ، ثم عاد الغزاة الى الشريف وبعد أن ثبت الصلح والمهادنة بينه وبين الفقيه صالح عاد الى الشام [1] واستقر بمور أياماً ثم نفذ الى أبـي عريش وعند عودة من هذه الغزوة سررا بما قد وفق اليه الشريف محسن بن على الحازمى من (نجران) بخط من الشريف يحيي بن علي فارس يطلب فيه الأمان ويشكو فيه ما حصل عليه من خذلان رجال يام وتقاعدهم عن القيام بما خرج به من حضرة الامام المنصور من

(١) هنا يشير أن حموداً عاد الى الشام . ويفسره بـ « مور » اي وادي مور . وفي موضع سابق عندما أشار الى عودة عبدالوهاب من جهة « يلملم » قال وعاد عبدالوهاب الى اليمن وهو يقصد عسيراً . .

صنعا انهم ينفذون بين يديه جند لحرب أهل تهامة واخراجها من يد الشريف حمود ، واستعطف بما قدر عليه من الاستعطاف فكان من الشريف الجواب الكافى الشافي وقبول المعذرة والاسعاف ، فوصل عقيب وصول الجواب اليه ، فتلقاه الشريف وأدار أخلاف الاحسان عليه ، ولازم حضرة الشريف سفرا وحضرا وكان يستشيره في مهماته ويرجع الى رأيه في مهماته ونعم واستقر الحال بين الشريف وصالح على هذه ، وبعد استقرار الشريف في أبى عريش وصل اليه شيخ من أهل (حجة) [1] وهى مخلاف من مخاليف اليمن العالى فيما يحادد بلاد الشريف وبلاد كوكبان ، وهى تحت وطأة الخليفة المنصور وعماله يتداولون عليها عاملٌ بعد عامل ، وهى داخلة في حوزة الجبال وبينها وبين صنعا ثلاثة أيام ومن أعمالها حصن الظفير المقبور فيه الامام أحمد ابن يحيي المرتضى وحفيده الامام شرف الدين ، وهى مخلاف واسع أغلب أوقاته الخصب ، وأكثر مزارع أهلها (البن) ، وكان حصل عليها جور من عمال الامام ورفعوا شكواهم فلم يلتفت الامام اليها بالنظر فيما شكوه ، فوصل شيخ منهم يسمى الجيشى بجيم بعدها مثناه تحتية بعدها شين معجمة وآخرها ياء النسبة وصحبته مشائخ آخرون يطلبون من الشريف أن يرسل معهم عاملاً وجندا وهم يملكونه (حجة) وقاعدة ملكها حصن يسمى الحراق وحصن يسمى نعمان والسوق بين الحصنين وسهلوا القضية للشريف ، وقالوا له ليس عليك الا ارسال

(١) فقد دخلت حجه وقبائلها في الدعوة السلفية وطاعة الامام سعود الى سنة ١٢٢٠ فاستعادها أمام صنعاء.

الرئيس وشرذمة من الجند فوافقهم على ذلك وأرسل رجلا من الأشراف : على ذهنى أنه الشريف محمد بن سعود ابن مبارك ، ووافق طلوعهم الى (حجة) غفلة عامل الامام وعدم تيقظ الدولة ان الشريف يتمادى الى الجبال فقبض عامل الشريف على الحصنين وأقبل اليه أهل البلد الا جماعة يسيرة من أهل العزم تمنعوا وتحصنوا واتصل الخبر بالامام فعظم عليه الأمر ولكن عز عليه المرام وكان في حضرته من يقوم بهذا الأمر ولكن تكاسل الأمراء والوزراء عن انفاق الأموال في مثل هذه الأمور فيرجع الرئيس مرأوساً وينقلب الأمر معكوسا وكان فيها قبل أن يتملكها الشريف بعامين أو ثلاثة القاضى العلامة المصقع اللوذعى عبد الرحمن بن يحيي الآنسى قاضيا يحكم بين الناس بالشريعة المحمدية ، والعامل رجل غيره ، ولكن تكون الصُّولة والدولة للقاضى عبد الرحمن لأنه بمحل الكفاية ، فأيام يكون قاضيا بحجة يفوض اليه الامام أمر العمال والرعايا فيحميها حمى الاسد لعرينه ويأخذ راية الحزم بيمينه ، ولما عزله الامام عن أعمالها وطال الأمد على عمالها اختل نظام الحزم فيها فوجد الشريف الفرصة بواسطة (الحبيشى) ومن على جيله ، فتوجه وزير الامام للتجهيز مرة أو مرتين ويعود المقدمون بخفى حنين واستمرت يد الشريف عليها الى أواسط سَنَة عشرين ، وبلغته الأخبار بما فيه عامله من ضيق الحصار فأرسل اليه السيد الباسل محسن بن على الحازمى عونا ، وأمره بأن يبقى هناك ومحمد بن سعود يصل الى الشريف وبعد استقرار السيد محسن بحصن الحراق كادت أن تصفوا له البلاد وتجبى اليه الأموال فلم يرعه الا وصول الغارات من الامام بجنود لا قبل له بها يقدمهم الفقيه الماجد

(حجة) على حرب جند الشريف فحصل الحرب وانحاز اليه الحسام في الحصن وعنده جماعة من أهل الشام من رجال تهامة وانتهى الأمر على المصالحة وخروج السيد محسن بن على سالما هو وجنده بعد أن وصل الشريف غائرا الى بلاد (الريغة) ووصل الشريف يحيي بن على الى بلاد الصلية ولم يبق بينه وبين حجة الا يوم واحد وقد استوفينا القضية سنة ١٢١٩ وكان حقها أن نذكر غارة الشريف وخروج محسن من حجة في سنة عشرين على حسب الواقع ولكن ارتبط الكلام بعضه ببعض .

نعم وفى هذه السنة وصل من سعود كتاب يستحث الشريف منصور على النفير الى مكة صحبة الأمير عبد الوهاب ولم يسعه الا الامتثال فجهز جيشا من رعيته وأمر عليهم أميرا من جلدته ولحقوا بعبد الوهاب وقد جاوز (حلي بن يعقوب) ومثل الشريف (عرار بن شار) وصله الأمر الجازم بالنفير صحبة عبد الوهاب ، وقد كان فيما أظن فصله سعود برأى مستقل عن ولايته مستفادة من سعود وليس لعبد الوهاب عليه امارة في غير النفير فأرسل أخاه عيسى بن شار وأصحبه كماة من بنى شعبة حماة الدمار فوافق عبد الوهاب بأطراف الليث ، فوبخهم على التراخى وعاقبهم بأخذ الخيل والحلقة ثم ارجعها لهم يقاتلون عليها العدو وله بعد ذلك حكمة فاستقر بجبال يلملم في ميقات الاحرام لليمانى نحو ثلاثة أشهر ووقع بينه وبين الشريف غالب شريف (مكة) معركة عظيمة انجلت عن قتلى من الفريقين نحو من ألفين أو ثلاثة ، وكانت اليد لعبد الوهاب فعاد الى اليمن ظافراً بأخذ الاتراك مسرورا بأجل الادراك وحين وصل الى (حلي) أخذ الخيل على بنى

شعبة ولم يقبل فيها شفاعة من أحد وكان بلغ عرار هذه الفعال قبل وصول أخيه فاعمل الحيلة في استمالة رجال ألمع أهل حجاز السراة وهم أكثر جند عبد الوهاب وقد أنف كبراهم من ولاية عبد الوهاب عليهم ولكن سلطان سعود أوجب عليهم الوفى بالعقود ، فحين خاطبهم وكاتبهم بأن يجتمع هو وهم على كلمة واحدة ولا ينزعون الطاعة عن سعود انما يحاربون عبد الوهاب حتى يتصل الأمر بسعود فيرسل من ينظر الأمر ويحكم بينهم بالحق ، هذه علتهم التى دعوا اليها ، ثم ترجح لعرار أن يكاتب الشريف حمود بمثل هذا ويجعل الأمر بواسط الشريف منصور وكأن الشريفين أعجبهما صنع عرار ولكنهما بقيا مؤملان العاقبة من عبد الوهاب ، ولما اتصل الخبر بالأمير عبد الوهاب واتضح عنده الأمر من غير شك ولا ارتياب ألب على من والى عرار من رجال ألمع وجهز عليهم صناديد السراة ـ فاستغاث أهل رجال ألمع بعرار فأمدهم بنفسه ومن أطاعه من قومه وكتب الى الشريف يستمده ، وهذا بعد أن وصل بنفسه الى الشريف وتعاهدوا هو واياه على مباينة عبد الوهاب ، ثم عاد الى الدرب ، ولم يستقر حتى طلب رجال ألمع وصوله اليهم وأخبروه بتجهيز عبد الوهاب عليهم وقصده الى ديارهم ، فسار بنفسه وبمن أطاعه وكتب الى الشريف يستمد منه الغارة وارسال الجند على حسب ما بينهما من العهود وكتب الى الشريف منصور أيضا ، فالشريف حمود جهز الشريف يحيي بن على وأرسل اليه جنداً يسيرا ، وأما الشريف منصور فتقاعد ، ووصل الشريف يحيي بن على الى (عتود) وكان عبد الوهاب في بادىء الأمر كتب الى سعود يخبره بصنع عرار وتماليه هو ورجال ألمع على خلع طاعة عبد الوهاب وبما كان بينه وبين الشريفين حمود ومنصور ، وعرار

كتب أيضا الى سعود يخبره بما صدر من عبد الوهاب ، وبما كان بينهم ، وكان يظن أنه يستطيع مقاومة عبد الوهاب حتى يعود من عند سعود الجواب ، ثم وصل عرار الى قرية رجال بضم الراء بعدها جيم وآخرها لام كغراب ومنه الى محل يسمى الشعبين مثنى شعب ولم يصل الا وجنود عبد الوهاب قد أثخنت الوقائع في تلك الجبال ، وقد داخل الرعب أكثرهم وقد تظاهر من لم ينضم في عقد عرار بالمباينة لأصحابه وأظهر الطاعة لعبد الوهاب ، وخطب الفقهاء في الأسواق بحفظ عهد عبد الوهاب والصراحة ببغي عرار وانه ممن يسعى في الأرض بالفساد فهرب عرار ومن اجتمع معه نحو خمسمائة من رجال ألمع ورجع الى محلة (الدرب) وباقى رجال ألمع أقبلوا على طاعة عبد الوهاب وبعضهم أخذ منه عبد الوهاب الحلقة وبعضهم عفا عنه وحين اجتمع رجال ألمع على طاعة عبد الوهاب وصار بعضهم يقتل بعض وتيقن فرار عرار جمع من جنود السراة نحو عشرة آلاف وأقبل بهم على طريق مناظر وهو الجبل المتصل بالعقبة الكبيرة المسمى عقبة مناظر التى نزل منها جنود السراة وغزاة نجد الى تهامة ، فسلك عبد الوهاب تلك العقبة حتى انتهى الى وادى عتود ومشى في الوادى حتى وصل الى محل يسمى (الجنبين) تثنية جنب وجعل عكاد [1] وعكوتين على

---

(١) عكاد وبعضهم يسميه - في وقتنا الحاضر - العكادين ، بالتثنية : جبلان صغيران غرب خط الاسفلت ، شاهدتها بنفسى ، وليس قربها أو حولها جبل يسمى عكوتين . والعكوتين التي عند قرية «جخيرة» تبعد عن «العكاد» بمسافة ٧٥ كيلاً - راجع كتابنا المعجم الجغرافي الطبعة الثانية مادة العين وعن « العكوتين في جبل مصيدة ببلاد بنى الغازى من مطقة جازان » .

يساره وهما الجبلان اللذان يقول فيهما عمارة :

اذا رأيت جـــبلى عـــكـــاد وعـــكوتين من مـــكـــان بـــادى
فاستبشرى يـــا عـــين بالرقـــاد

وطرح في الجنبين وحين بلغ عرار مسير عبد الوهاب بالجنود التى تملأ الرحاب جمع أهله وخيله وحشمه وعبيده وحمل ما قدر على تحميله وخرج من الدرب يقصد حضرة الشريف وصحبته نحو خمسمائة نفر أو أقل من رجال ألمع اشتد بهم الخوف عن الاقبال على عبد الوهاب ، ولما تحقق لعبد الوهاب خلو الدرب وكان يظن ظن عرار سيشب فيه نار الحرب فأرسل الأمير عبد الوهاب من يأتيه بخبر الدرب فعاد اليه رواده يخبرونه : شعرا :

أمســت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

فأصبح في الصباح تقدم بتلك الجنود على الدرب وهدم الحصون وحرق البيوت واستولى على ما تركه عرار من الأمتعة ، وقد كان أميرا على أهل الحجاز السافل بلاد آل موسى وأهل قنا ومن على جيلهم من بدو الزيديين وغيرهم وجاءت طريقهم على الشقيق فأحرقوه ونهبوه ، وبعد استقراره في الدرب أقبل من بقى من بنى شعبة وأهل الشقيق وعتود فسلموا اليه الحلقة وأمنهم على نفوسهم وأمر عليهم أميرا وهم بالارتحال الى اليمن لقتال الشريف واستئصال عرار من المعقل المنيف وجهز السواعى في البحر وأمرهم بغزو بندر اللحية فنفذت السواعى حتى رست في مرسى اللحية ، وكان بها الشريف يحيي بن حيدر الحسنى عاملا من قبل عمه الشريف حمود وخشى أن يكون في

السواعى رجال يدخلون البندر فاستلحق الغارة من عند الشريف فأرسل الشريف يحيي بن على وجماعة من أهل الخيل غوثا لأهل اللحية والشريف لما بلغه اقبال عبد الوهاب اضطرب حاله أشد الاضطراب وأراد نصب المعاذير ولكن علم أن ليس لها نفاق ولا يجدى غير أطراف العوالى والسيوف الرقاق ، فصمم على الدفاع وبذل المستطاع لاسيما وعرار قد صار جاره وأسكنه داره والتزم أن يحمى له ذماره ، وعبد الوهاب تريث في المسير عالما أن دون مطلبه الأسد الخادر والليث الهاصر وبينما هو في أثناء هذا التردد وافاه جماعة من أهل نجد [١] قد أرسلهم سعود لافتقاد القضية في أمرهم بايصال الأمراء الى حضرته

---

(١) وصلت اللجنة من الدرعية وقوامها ثلاثة أشخاص تسلمت أمراً لعبد الوهاب يقضى بتسريح المقاتلين حالا وتوجهه الى الدرعية فنفذ الأمر في الحال وتوجهت اللجنة الى أبى عريش فسلمت حموداً أمراً يقضى بترحيل عرار الى الدرعية وتوجهه صحبته فاعتذر عن نهوضه بنفسه بما قد يترتب من خلل في تهامة اليمن . واستعد بترحيل عرار ، فأى وازع دينى وسلطة روحية عليا وقوة أدبية تذعن لها الرقاب بمثل تلك السرعة والإمتثال ؟ جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل يؤمر قائده وهو في نشوة انتصاره بتسريح جنده فيحنوا للحق هامته ، ويسرحه وهو لم يطو الرسالة بعد ، ثم تصل اللجنة الى (حمود) وهو في عاصمته ومقر حكمه وقد حصنها بكل وسائل الدفاع المعروفة آنذاك ولديه ما لا يقل عن عدد جيش عبد الوهاب فينحنى ممتثلاً طائعا وينفذ الأمر ويرحل عرار ويبعث فلذة كبده ووحيده ، ويعلن للوفد بأنه مستعد لكل ما يترتب عليه انها قوة الاسلام التى اعادت للتوحيد سلطانه على النفوس والتى امتثل لها خالد بن الوليد حين تسلم أمر عزله في عنفوان المعركة .

عبد الوهاب والشريفين حمود ومنصور وعرار ، فحين وصلوا الى عبد الوهاب أمروه برفع المطارح وتفريق الجند ورجوعهم الى محلاتهم وبلغوه مرسوم سعود في طلبه اليه فامتثل ما جاء به أولئك النفر وتوجه راجعا الى السراة وتأهب للنفوذ الى الدرعية وجميع رؤساء قومه واستصحبهم معه ، وأما الرسل الواصلون من سعود فتوجهوا الى اليمن وأول وصولهم الى صبيا نزلوا على الشريف منصور بن ناصر فبسط لهم وجه البشر وتلقاهم وأخبروه بما يريده سعود من وصوله فأظهر لهم البشر وان الوصول الى سعود طلبته وكلموه فيما صدر منه من موالاة عرار فاعتذر بكلام تقبله عقولهم والرجل كما قدمنا حسن الكلام فصيح المنطق له عقل وافر يتصرف به في الأمور كيف يشاء ثم توجهوا من عند منصور الى خضرة الشريف حمود في أبي عريش فواجههم بما يحبون من الاكرام وحسن الاقامة والرجل سخي الكف واسع المعرفة لا يبخل بالمال لا سيما عند الحوادث الثقال ولما خلا به الركب الواصلون أخبروه بما يطلبه سعود من وصوله ووصول عرار فعظم عليه الأمر ولو تمكن من المخالفة والمشاققة لفعل ولكن لم يسعه الا الامتثال واعتذر من نفوذه بنفسه وبذل نفوذ ولده أحمد بن حمود لأجل الامتثال لأن ولد الرجل كنفسه وقصد بذلك أن يقبل سعود معذرته في التخلف فانه اعتذر بمشاغلة أهل اليمن وحفظ البلد التى افتتحها أن تغتالها أيدي أمراء الامام وأحسن المعاملة للوفد الواصلين وجعل أمر محاجة عبد الوهاب والاجابة عليه فيما يدعيه من موالاة عرار على لسان السيد العلامة الحسن بن خالد ونفذ مصاحبا لأحمد بن حمود واجتمع رأى الحسن ورأى الشريف منصور ، ونفذ عرار بن شار ومن معه من بنى شعبة صحبتهم ، وفعل الشريف حمود ما قدر عليه من الآنة في الخطاب

وارسال ما حسن وطاب من الهدايا العجاب ، ونفذ الاشراف وفي صحبتهم الركب الواصلون من عند سعود ووقع الشريف في هم كبير وغم غير يسير ، والاشراف النافذون يضربون الاخماس في الاسداس ، وانما هم أهل قلوب عاقلة وعقول فاضلة ، وبعد أن توجهوا الى نجد توجه الشريف الى اليمن بعد كثرة الكتب من أميره بحجة يذكر أن الامام قد جهز الأقوام وساعده أهل القطع وانه قد أنكر انقباض أهل البلد وتغيرهم في الامداد والمدد ، فجمع الشريف من كان تحت يده من الجنود وتوجه الى قلعة (مور) ثم منها الى الريغة ومن هناك أرسل الشريف يحيي بن على الى (الصلبة) بصاد مهملة ولام مفتوحة وباء موحدة وهاء التأنيث ، وقد قدمنا ذكر المسافة بينها وبين (حجة) واستنقاذ أميره منها فيما قبل هذا بيسير وفي هذه السنة **سنة العشرين ابتدأ** باقامة الحدود الشرعية على من وجب عليه ، فقطع أيدى رجال وأرجلهم بعد أن تقرر عليهم عند حاكم الشريعة محاربتهم وقطع أيدى جماعة تقررت عليهم السرقة وكان لذلك في قلوب المفسدين وأهل المعاصى موقع عظيم ، وفي أيام بقائه في (الريغة) بفتح الراء المرققة بعد مثناه تحتية بعدها غين معجمة بعدها هاء السكتة بلد شرقى الزعلية وصليل ، يمضى في وسطها سائلة وادى مور ، وهى بلاد فيها معقل للدولة وفيها سوق يجتمع فيه عالم ، وهى من قسم الجبال ، ولكن أمرها في أيام المنصور الى عامل الزيدية واللحية ، وحين افتتح الشريف اليمن عاهده أهلها وجعل أمرها الى شيخ منهم ، نعم وفي مدة استقرار الشريف هنالك وصل اليه جماعة من رؤساء يام يخبرونه أنهم نزلوا الى (تهامة) فان له ارادة في استخدامهم فهم لا يقدمون عليه أحدا ، وان لم (فهم) سيتوجهون الى اليمن ويكاتبوا الخليفة وعماله ،

ولما وصلوا الى أعلى بلاد القحرى (بلاد حراز) كتبوا الى الفقيه صالح عامل (الحديدة) يعرضون عليه الخدمة ان أرادهم فاعتذر بأنه سيفاوض الدولة يعنى الخليفة المنصور ، وهم أيضا كتبوا الى الامام وعرضوا عليه نفوسهم للاستخدام وكأنه لم يعد عليهم جواب منه فيه الالتزام ، ولا شموا منه رائحة بلوغ المرام ، والامام في تلك الأيام قد كان جهز جيشا الى حراز وأمر عليهم عبداً يسمى (ميسور) ، وكان حراز قد تغلبت على قلعته رجال من يام على يد رجل من أهل حراز يقال له (على شبام) ، فبلغ (ميسور) الى حراز وتعسر عليه اقامة الجند ولم يصل اليه مدد من الدولة فتفرقت الأجناد وعاد الى حيث لم يبلغ المرام ، وعند ذلك أعادت الدولة الى التجهيز وأعد له رجال من بكيل وهم عمدة رجالهم وأمر الفقيه الماجد الرئيس يحيي بن محسن حنش وكان من رؤساء الدولة ومن أهل العقول في حزم الخلافة ، فتوجه الى (حراز) على أن يناجز المتغلبين على قلعة شبام حراز ، واضافة شبام الى حراز لتخرج عن (شبام كوكبان) ، وهذا الحصن : أعنى شبام حراز : حصن من معاقل اليمن الحصينة وقد تغلب عليه الفقيه (على شبام) وجماعة من رجال يام لاتحادهم في النحلة ، فتوجه (يحيي بن محسن) الى (حراز) واستقر بحصن من حصونه المنيفة يسمى الضلفاع بكسر الضاد المعجمة وبعدها لام ساكنة بعدها فاء مفتوحة بعدها ألف وآخره عين مهملة ، وهو يقابل حصن (شبام) على رؤية العين ، وحين استقر يحيي بن محسن في (الضلفاع) وعلم أهل حصن شبام أن معه رجالا ربما يغلبون ويبلغون في نكايتهم المقصود كتب (علي شبام) ومن معه الى (يام) وهم طارحون في أعالى القحرى وأسافل حراز وطلبوا منهم المناصرة على (ابن حنش)

ودلوهم على عورة حصن الضلفاع فغزا من يام نحو الخمسمائة وفيهم أغلب عقالهم ووصلوا تحت الضلفاع في الليل وقد ساعدهم جماعة من أهل الحصن من الرعية وأدلوا اليهم حبالاً من جهة ما فيها أحد من العسكر ، وكان « أمن حنش » وقومه في غفلة وعدم تيقظ أن يطرقهم في ذلك الحصن طارق ، ويام من وصل اليه الحبل تمسك به وطلع ولم يزالوا على هذا الحال حتى اجتمع منهم خلق كثير فصاحوا في رحبة الحصن فحصل الفشل مع العسكر الذى فيه وثبت جماعة من ذوى محمد من بكيل وملك يام جميع معاقل الحصن ثم فتحوا الباب .. لمن بقى منهم فدخلوا وانحاز (يحيي بن محسن حنش) الى جماعة من ذوى محمد في زاوية حتى طلب الأمان في الخروج بسلام ، ونهب يام كل ما كان مع بن حنش ولم ينج الا بنفسه وانحاز الى محل بين (الحيمة) و (حراز) ورفع أمره الى صنعاء ينتظر ما يأمر به وانتهى أمره الى أن عاد الى صنعا ، وقد كان عند وصوله الى (حراز) نهب منه أهل تهامة الموالون للشريف ، وكان الشريف يظن أن يصدر منه شيئاً في أطراف تهامة ، والشريف بعد نفوذ يام من يديه وهم حرب له وهورة الشريف محسن بن على الحازمى من (حجة) عاد الى مدينة مور وسكن بها وعمر في القلعة زيادات وأكد معاقلها واشتغل بالزراعة في ذلك الوادي وهو ينتظر عودة ولده ومن معه من الركب الذين ساروا الى (الدرعية) ، ويترقب أيضا ما يحصل من أهل اليمن وخشى أن يستخدم صالح بن يحيي رجال يام لأن الهدنة بينه وبين صالح قد انقضت والأخبار تصل اليه ان الخوض يدور بين صالح ورجال يام حتى تقرر له انضمام كلمة الفقيه صالح ورجال يام ووصلت اليه الخطوط من (علي حميدة) شيخ القحرى صاحب (باجل) يذكر له

اجتماع كلمة يام والفقيه صالح عن أمر الامام وانهم يقصدونه بالشر قبل كل أحد وهو يستمد الغوث من الشريف فأرسل اليه الشريف رتبة للحصن يحفظونه ووعده بالوصول اليه بنفسه وجنوده ان صدقت مخائل يام وحين ختم الأمر بين يام والفقيه صالح طلب منهم الوصول الى (باجل) والمطرح على حصن على حميدة فطلبوا منه أن يخرج اليهم مقدميا ينصب الخيمة بينهم فأرسل اليهم ابن أخيه حسن بن حسين بن يحيي العلفى بعد أن أخذ منهم المواثيق في صيانته واعزازه واكرامه وانهم لا يخاطبونه بشيء من المطالب ، وبعد ذلك راسلوا على حميدة أنه يخلع طاعة الشريف ويرجع الى طاعة الامام فبقى يمرض [1] لهم الكلام وهو يكتب الى الشريف يستنجده في الغارة وكان الشريف فيما بلغ قد عزم على ارسال أحد الشريفين الرئيسيين الماجدين أما يحيي بن على فارس أو الشريف (علي بن حيدر) ، يكون النافذ بينهما آمر الجند واليه ولاية مناجزة يام والفقيه صالح على أن يكون قيام الجند فيما يحتاجونه موكولا الى (علي حميدة) وبعض خزنة الشريف ، وبينما هو في تحكيم هذا الرأى اذ وافاه خبر موت (علي حميدة) ، وانه حل به الحمام وأحله بين الجنادل والرجام ، فحينئذ عزم الشريف على النفوذ بنفسه وتوجه الى قتال عدوه بنوعه وجنسه وفي صحبته رجال الاشراف وأهل الخيل وجند ليس من قبيلة واحدة انما هم كحاطب ليل ولكن المذكور لقوة بأسه وثبات جأشه يكتفى بالقليل من الجند ، وكثيرا ما

---

(١) يمرض : من المرض ضد الصحة .

يقول في مجادلاته : « النصر بالمدد لا بالعدد » ، والغلبة بالقدرة لا بالكثرة [1] ، ! فنفذ من مدينة (مور) في **أوائل شهر رمضان سنة عشرين بعد المائتين والألف** ومعه من الجند أهل القتال نحو الالف فيهم من ذوى حسين نحو المائتين ، ومن رجال ألمع مثلهم والباقون من الفاف الشام ، وحين بلغت الأخبار الى يام بانفصال الشريف علموا وَقُوع الشر فتأهبوا للقائه وحشدوا رجالهم لمناجزته ، وقد كان الشريف مصراً على أن لا يبتدى يام بحرب ولا يباشرهم بطعن ولا ضرب ، انما يستعمل معهم المكائد ، ويخادهم ببذل الفوائد ، وربما قد كان عنده من بعضهم كلام ، وفي يام رجلان من كبرائهم كانوا حريصين على قتال الشريف وعدم المخادعة معه والحامل لهما أمران احدهما قد لاحت لهما بارقة الاطماع في (صالح بن يحيي) وأيقنوا انهما يقفان منه على مال جزيل وعطاء أثيل ، والثانى ان في أنفسهما ضغينة للشريف حيث لم يجدا منه لينا ولا قولا حسنا ، حين وصولهم وهو في (الريغة) والرجلان المذكوران هما (جابر بن مانع بن مذكور) من (آل فاطمة) من هبرة والثاني (عبدالله بن حسين نصيب) من (مواجد ابن مذكور) ، يزعم أنه من ولد الحارث ابن كعب أحد جمرات العرب ، كما قدمنا في هذا الكتاب ، فأقبل الشريف يقصد قرية باجل غير متأهب أهبة الحرب وكان يظن أن يام لا يقصدونه الا اذا

---

(١) جملة حكيمة لشخصية كريمة ، وكان حمود - رحمه الله - يطبقها عملياً ، كما ستجد ذلك في تضاعيف هذا الكتاب .

قصدهم ، فحين رأه رجال يام نصبوا الرايات وتفرقوا ثلاثة ثبات وأقبلوا حاملين على جند الشريف غير مبالين بايجاف ولا وجيف فحين علم الشريف أنهم قاصدونه ويرون أنهم عن (باجل) يصدونه عبأ جنده وقدح زنده وتبسم تبسم الهزبر الهصور وجال جولة الفارس العقور وجعل من رجال قومه وفرسان يومه أميرا لأهل الرايات وحمل من حينه فالتحم الحرب واختلط الطعن بالضرب وثار العجاج وأظلم أفق تلك الفجاج ، وكان في راية الشريف رجال من ذوى حسين من بكيل فثبتوا ثبات أسد الغيل وحمل الشريف حملات حتى هزم من في مقابله وضرب حتى تثلم سيفه وطعن حتى تقصد عالى عامله ، وعقر تحته كم من جواد وانتقل في ذلك الحين على ظهور الجياد وخلط المواضى بالصعاد وأثخن القتل وفرق من أعدائه الشمل ، وأخذ في تثبيت مشاة جنده من ذوى حسين ورجال ألمع وثبت كل أهل الخيل وهو أثبتهم ، ويليه الفارسان البطلان (يحيي بن علي) و (علي بن حيدر) واستطال العراك وطار القسطل الى منازل السماك ، وما رضى أحد الفريقين بالانهزام حتى قتل من رؤساء يام الشيخ عبدالله بن حسين بن نصيب أحد الرجلين الذين شاؤا حصول الحرب ، فانهزم يام بعد صرعته وانقلبوا به جريحاً الى خيمته ولبث بها الى غروب الشمس ثم حل به الحمام وسكن الرمس ، وأما جابر بن مانع فلم يحضر الوقعة ولا روى فيها نبعة ، انما كان همه الهجوم على ساقة الشريف وأخذ ما فيها من الزانة والرقيق ، وكان فيما بلغ أن ساقة الشريف تشتمل على كثير من الأمتعة وزانة الحرب ، ولم يعد من أخذه الساقة الا وقد أذنت الحرب بالافتراق وانحاز الشريف ورجاله الى حصن باجل وخيم برحبة الحصن في ظاهر البلد فأكثر الفقيه حسن بن حسين الرمى بالمدافع وفي

الصبح بقى الشريف في محله غير مبالى برمى المدفع ولا بما يفعل ويصنع وهناك جبل يكشف على عورة الحصن أراد رجال يام الصعود عليه وطرد الشريف من باجل ففطن الشريف لذلك فأرسل عصابة من ذوى حسين يحفظون الجبل فطردوا عنه يام وبقوا نحو ثلاثة أيام والشريف يعمل الحيل في مخادعة يام وتفريقهم عن ذلك المطرح وخروجهم من طاعة الامام والفقيه حسن يعمل العمل والحيل في رجال بكيل ويبذل لهم المال ما أقل منه بميل ، وقد كان ذوى حسين ثاروا على الشريف في مطالب التقارير ورأوا .. أنه بعد صنيعهم يوم الملحمة لم يبق له عذر عن تسليمها فما راعه الا نفوذهم الى مطرح الفقيه حسن ثم قبضهم المال ونفوذهم الى بلادهم فعند ذلك جاء الفرج بعد الشدة ولله در القائل :

بك استنصرت حين بقيت خلي وحين خدعت جاءتك الخطوب

ويام بعد هذه الوقعة ركبوا الصعب والذلول فطالبوا الفقيه صالح بما يعظم ويهول ورفعوا قضيتهم الى الامام وذكروا أن الشريف في ضيق حال ولا بد أن يقبضوه ويرسلوه الى ذلك المقام فظن الامام صدق ما قالوه فأرسل لهم بعطاء لولا ذلك ما نالوه مع أنهم يعلمون عجزهم عما ذكروه وكذبهم بما افتروه : شعرا

وما الباز صيد للثعابين انما ترى الباز يصطاد الثعابين عن يد

والشريف ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى استمال أكثرهم فثاروا على الفقيه صالح في الزلاج ومفارقة هذه الفجاج وقالوا قد فعلنا ما لا يفعله أحد غيرنا وقتلنا الاشراف آل خيرات الدين كل فارس منهم

على فرسه يعد بمائة فجاولهم الفقيه على أن يستنقذوا له حصن (باجل) ويستصفوا له ما قد تغلب عليه الشريف من الرعايا والقبائل فلم يسمعوا له خطاب ولا أرجعوا له جواب ، وغاية ما وفق عليه منهم أن يسلم لهم جميع ما يطلبونه ويوصلون اليه ابن أخيه ويصلحون شأنه وشأن الشريف على هدنة سنة ويكفل الشريف على غوازى[1] نجد ويقابل كل من قصد اليمن بالرد والمنع فالتزموا له بذلك ووعدوه الوفاء بما هنالك ، فخاطبوا الشريف فقال لا بأس وطلب شيئا من المال مثل ما سلمه صالح العام بعد القتال فقال له يام أقبل منا الاصلاح وبعد نفوذنا افعل ما بدا لك وأسباب النقض كثيرة فساعدهم الشريف على ذلك المطلب وهو منطو على ما هو أعظم وأعجب ، فرجع الفقيه حسن بن حسين الى الحديدة بعد التى واللتيا ، وقد لقى من يام الشدة والكربة ووقع من مطالبهم في عرق القربة ، وكانت عودته الى عمه من أعظم المسار بعد ان خوفه الناس انه ربما يحصل فيه بعض العكسات : شعرا

فهات ابنى ودعني من خصام تَقَاوَلَهُ المعدى والنزارى
وكان يهون لو أنفقت مالى وعاد ابنى إِلَيّ بعقر دارى

ثم توجه بنو يام الى نجران وقد قبضوا من المال ما يعجز عن حصره أهل الحساب وكل ذلك أخذه صالح من تجار الحديدة وعامتهم حتى

---

(١) وهذا يوضح ما كان لغوازى نجد واهل الدعوة من دور في القتال .

أثخن فيهم النكال وأساء السيرة معهم في الأقوال والأعمال ، والشريف أقام بباجل يعمر الحصون ويحفظ الظهور والمتون ، وفي اقامته تلك وصل اليه الركب الذى نفذ الى (الدرعية) وهم ولده الشريف أحمد ابن حمود والعلامة الحسن وصحبتهم جماعة من مطاوعة [1] النجود فتم له السرور وطلع على وجهه طلائع البشر والحبور بعود ولده سالما وعدم ظفر عبد الوهاب بنكايته وقد كان لذلك وحياً وأخبره العلامة الحسن بما كان وما صار وما ادعاه عبد الوهاب من موالاة عرار بن شار وتصدى عبد الوهاب لاقامة الحجة على الشريفين حمود ومنصور وأظهر هطوطا منهم الى عرار فيها ما شهد بما يدعيه المذكور ، وتقرر عند سعود صحة ما ادعاه عبد الوهاب وثبت عنده ما قيل قد يكبو الجواد وتنبو السيوف الحداد وبقى منصور يكثر المعاذير وينكر ما يصلح فيه الانكار والحسن يبرز الدلائل ويدخل هذه الوقعة في منازل المسائل وانجلت تلك المحاكمة على اطفاء نار المخاصمة ، وبين سعود للركب الشريفى وأوضح لهم أن الحجة قد قامت وطيور المخالفة منكم قد حامت ولكن نعفو ونصفح ولا نؤخذكم بشيء يجرح وكان يطلب عبد الوهاب بارجاعهم الى امارته ولكن فطن سعود أن ذلك يكون سبباً لأخذهم بالضغينة فلم يسعده الى ذلك ، وبين للأشراف أنه صد عبد الوهاب عما طلب الا منصور فجعل عليه الجهاد مع عبد الوهاب اذا استنفره في المغازى والبعوث وعطف على الأشراف وأعطاهم الخيل وما

---

(١) المطاوعة : فقهاء الدعوة .

يعتادوه من النيل ، وأرسل معهم عمالا يشارفون على خراج اليمن ، ويكون الى سعود ، الا قدر معلوم أبقاه لحمود[1] ، وعين لمنصور جانبا من الخراج ولم يتم لمنع الشريف أن يشاركه منصور في شيء بأمر سعود ، وشرط سعود على الشريف شروطا منها عدم استخدام رجال همدان الا أن يدخلوا في عقد الدعوة ويجيبوا الداعى وان لم يفعلوا ذلك فلا سلوك لهم في هذه المسالك وبلغ من الشروط أن لا يصالح عمال الامام ولا يهادنهم فأظهر الشريف القبول لما جاء في الشروط ورتب العمال الواصلين للمشارقة على خراج البلاد في اللحية وقرر لهم ما دعت حاجتهم اليه وبعث بعضهم مع المصدقين لأخذ زكاة الأنعام ، وأنعم على أولئك بمواد الانعام ، حتى نفذت منهم الكتب الى سعود يخبرونه بالامتثال والانقياد من حمود ، والشريف بعد نفوذ يام وعزمهم الى بلادهم تعلل على صالح بن يحيي بنقض ما قد كان سعى فيه يام من الصلح وجعل العلة طلبه دخول (العبسية) والرماة اليه في الصلح على حسب ما كانوا عليه في الصلح الاول أيام قتال دير علي والسبب أنه حصل من أهل العبسية بعض تعدٍ في جهة القحرى ،

---

(١) كانت اللامركزية أو ما يشبهها سائدة في ادارة الدولة السعودية الأولى مع التقيد بتطبيق احكام الشرع والقيام بواجب العدل ، وكان للتجاوزات اجراءات تمنع عدم تكرارها ونرى هنا مثالاً على ذلك ، فقد بعثت السلطة العليا رقابة للإشراف على واردات الامارة ووزعت الحاصلات على ثلاثة بنود رئيسية : الاول لحمود أمير المنطقة وقسم لامير صبيا وبيش منصور بن ناصر والقسم الباقي يرسل الى الدرعية ، هذا عدا شروط ذكر بعضها المؤلف .

وزعموا أنهم من جملة رعية الامام ، وليس للشريف عليهم خطام ولا زمام ، فثارت حفيظته شعرا :

وكنت أردت في حلمي عليهم ودادهـــم ولـــكن شـــاوروني

فأرسل الشريف يحيي بن على فارس وصحبته جند من رجال الشريف وجماعة من أهل الخيل فوصلت الغازية الى العبسية وضربت الخيام بين تلك الآكام ، وأثاروا عليهم الدهما وسفكوا معهم الدماء والعبوس يكتبون الى صالح وهو لا يمد ناصر فتوسط السيد الجليل محمد بن عقيل السقاف بين الشريف والفقيه صالح على تسليم مال للشريف وارجاع العبسية والرامية اليه ، وتكون هدنة تسعة أشهر ، واعتذر الشريف عن تطويل المهادنة بما وصل اليه من سعود من المنع عن المصالحة لأهل اليمن وبعد عقد الصلح قوض الشريف الخيام ورجع قاصدا الشام وقد استوثق له الأمر في جهة (سهام) وما خلفها الى جهة الشام ، وجعل أمر القحرى الى (العيدروس بن على حميدة) والعبوس الى محمد جماعى جعله شيخا عليهم ، والرامية الى على بن محمد الرامى ، وانتهى سيره الى مدينة مور يترقب انتهاء المدة ويعود الى اليمن ، واشتغل بأمر الزراعة واكتساب أراضى كثيرة في وادى مور يشتريها من ملاكها وقد صارت عامرة بالاشجار ولم يبق للصلاح أثار فاشتغل باخراجها وأنفق الاموال في تصييرها صالحة للازدراع ، وعمر لها الاعرام ووجه اليها الغيل والسيل العام ، وفي هذه السنة اختط مدينة الزهراء في شرق مدينة مور بنحو ثلاثة أميال وجانبها القبلى متصل بالخبت في البلد التى كانت ولايتها للأشراف قبل دعوة بن عبد

الوهاب وجانبها اليمانى متصل المعاميل لوادى مور وكذلك جانبها الغربى ينعطف عليها الوادى ، ومن الشرق متصل ببلد الواعظات فعمر بها معقلا كبيرا واحتفر الآبار وأمر يسكنها الناس وأجرى على من يسكنها من أنعامه أفخر لباس ، وما زال يعمر بها الحصون ويستجلب اليها الناس للسكون حتى صارت مصرا من الأمصار ، وحرما يلوذ أهل الحاجات من جميع الأقطار ولله در القائل :

وكذا الكريم اذا أقام ببلدة سار النضار بها وفاض الماء

وفي هذه السنة نجم خلاف (الكلفود) شيخ صليل وقد تقدم ذكره في هذه الوريقات ، وكان عند الشريف من أخص الخواص وممن تعقد عليه الخناصر في الاخلاص ، والسبب في ظهور الخلاف على ما بلغ أنه فقد رجل من أهل الأسباب هندى من هنود الضحى أو من هنود عبس الواعظات ، وتطلبه أهله حتى وجدوا جثته في بئر من أبيار خبت صليل ، واتصل الخبر بمسامع الشريف فأرسل الى الكلفود أن يحضر غرماء الهندى فاعتذر بأنه لا يعلم الغرماء ولا يدرى بالقضية وكأنها قد قامت عند الشريف الدلائل على أن الذى فعل بالهندى ما فعل بعض عبيد الكلفود فأرسل له الشريف أن لم تصل الينا بالغرماء فصل الينا بنفسك وننظر في هذه القضية فمنع من الوصول وتكلم أنه ان لم يترك له حاله لا بد يجول ويصول فثارت حفيظة الشريف وجهز اليه الجند وبند البنود وشبت نار الحرب واستقام الكلفود في مركز الشقاق واطاعة كافة صليل ومن على جيلهم من العطاوية وبنى محمد وكل من

في تلك الجهة ، والسبب أن الشريف كان بعد دخول الكلفود .. في عهده ولاه أمرهم وعهد اليهم يسمعون ويطيعون الكلفود وما كانوا على هذا أيام الامام المنصور انما كان شيخا على صليل خاصة ، وباقي القبائل كل قبيلة عليهم شيخ منهم ، ولما جاء الشريف جعل أميرهم الكلفود فحين خالف على الشريف انضموا اليه ، وما زالت الحرب بينه وبين الشريف ينالون منه وينال منهم حتى توجه بنفسه وطرح في أطراف بلاد صليل وجهز على تلك القبائل الليث الصائل عليا بن حيدر واجتهد في نكاية الكلفود وشرده الى كل جبل مصعود وضيق عليه المسالك ، واجتمع في بعض الأيام في جند الشريف على ابن حيدر صناديد الأشراف كأخيه الشريف يحيي بن حيدر والعلامة الحسن بن خالد ووقعت ملاحم تتجمل بها المشاهد ، وحين حصل من جند الشريف ما حصل انخزل عن الكلفود من قومه من انخزل ، وتوسلوا بالشريف على بن حيدر يأخذ لهم من الشريف الأمان ويخالفون الكلفود بالقلب واللسان فأمنهم الشريف وعادوا الى أوطانهم وقد ذهبت بهم هبوب الصيف والخريف ، والكلفود حين شاهد ما عليه الناس وما الشريف فيه من قوة الباس تعلق بالجبال وصاحب السيدان والأوعال وفارق الأهل والعيال وأنشد لسان حاله قول من قال :

ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيال
هـم الأهـل لا مسـتودع السر ذايـع لـديهم
ولا الجانب بمـا جـر يخذل

وقد ذكرنا في أول هذه السنة وصول أحمد بن حمود والعلامة

الحسن بن خالد من الدرعية ، وما هو الذى وقفوا عليه في تلك الأجنة ولم يذكر منصور ولا عرار ، فأما الشريف منصور فانه عاد الى وطنه ومحل ولايته صبيا ومخلاف بيش أمراً ناهيا وعلى أهل تلك البحيرة عاملا واليا انه شرط عليه سعود اجابة عبد الوهاب في النفير والجهاد بين يديه لأجل التكثير ، وظهر منه الانقباض من أهل نجد ، ولكن لما لم يرض الشريف حمود بتسليمه ما عينه له سعود من خراج اللحية حصلت الوحشة بينه وبين عمه الشريف حمود ، ورأى من الرأى حفظ الموالاة لسعود والتظاهر بطاعته عند أهل التهائم والنجود ، وكان يود لو ساعده عمه لاجراء ما عينه سعود من التوظيف لكان مال الى عمه بالقلب والقالب ، وأطاعه فيما كره وأحب ، وأما عرار بن شار فاستبقاه سعود عنده في الدرعية وعين له بيتا يسكن فيه وأجرى عليه من الأنعام ما يقوم به ويكفيه والله أعلم ما كان قصد سعود فيه هل يبطىء أو يسرع في بقائه لديه ، ولكن سبقت المنية وحالت بينه وبين الامنية ، حصلت عليه علة الجدرى ومات بسببها هناك وجاور ربه وفارق حزبه وفاء الى الملك الكريم ولله در القائل :

وافى الى الملك الرحيم وحسبه ملك الملوك رحيم كل رحيم

كان عرار بن شار رجلا رئيسا جوادا مقصودا يهب المال ويحمى الدمار وله مقاصد حسنة ومعرفة بأمور الآخرة وفيه رياسة ظاهرة ، وقد سبق ذكر اجابته لدعوة ابن عبدالوهاب في أول هذه الأوراق ، وبنو شعبة [1] اختلف الناس في نسبهم فهم يزعمون أنهم من تغلب بن

---

(١) ـ راجع البحث الشامل عن بنى شعبة في كتابنا الأدب الشعبى ص ١٣ ـ ١٢٦ .

وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعم بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ولم يكن لهم على هذه الدعوة شاهد ، انما هم ينتمون الى بنى تغلب ، وفهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب ، وأكلب من خثعم وخثعم يمانية على أصح الأقوال وليست من نزار ، الا أنى رأيت أبا محمد عبدالله بن قتيبة ذكر أن من ولد ربيعة أكلب ابن ربيعة فمنهم أناس دخلوا في خثعم ويمكن أن يكون بنو شعبة من أكلب بن ربيعة الداخلين في خثعم بالحلف ، وقد كنت رأيت في بعض كتب الانساب أن شعبة يمانية وظهر لى من بعد أنهم ليسوا شعبة هذه ، ومسكنهم الآن الدرب المعمور على وادى عتود وهو معمور بهم وماهم كسب الا الخيل العتاق والبيض الرقاق والسمر الطوال والسوابغ الثقال وكانوا قبل وصول دعوة ابن عبد الوهاب اليهم أهل عزة ومنعة ، يحمون الذمار ويدودون عن الجار،وما كان أمرهم ينتظم على رجل منهم لعظم نفوسهم كل رجل يرى نفسه أميرا ، وينصبون شيخا لهم منهم لحوادث المحاددين لهم ، وكان مسكنهم فيما قبل بلاد شهران وبلاد بيشة ، وقيل أن هناك محلا يسمى شعبة نسبوا اليه والله أعلم ، وكان الدرب قبل أن يصلوا اليه يسمى درب ملوح ، بضم الميم وفتح اللام والواو مشددة مكسورة وآخر الحروف خاء محملة ، وهو مذكور في غزوة الامام المهدى أحمد بن الحسين الى الحجاز حتى انتهى الى غزوة الصوافقة من أعالى بلاد ألمع ومذكور في غزوة أحمد ابن الحسن بن الامام المتوكل على الله اسماعيل حين غزاه من اللحية ومذكور في غزو أحمد بن حسن الى سرح من آل حبيب بن انمار حين سبا نساءهم واستأصلهم في أيام المتوكل اسماعيل فيما ذكر أهل السير ووقائع الأئمة درب ملوح ، وقد خرجنا عن المقصود ولكن ما يخلو عن

فائدة ان شاء الله وحين بلغ الشريف وفاة عرار عظم عليه الأمر وأقبل على أهله وولده بالعطاء الجم والاحسان الذى عم ، فأزال عنهم وحشة فراق أبيهم بما أسداه اليهم وكان أولاد عرار في خواص جنده وفي مقام الأعز من ولده .

وأما منصور بن ناصر الملقب بالملك العادل فلم يعد الى بلده الا وقد جاءه الخبر بوفاة والده الشريف الصمصام أوحد السادات في كل مقام ورأس الأشراف اذا عد الميامين في الأنام فعظم عليه الأمر المهول وسلم الامر واسترجع بخير ما يقول ، وهذا الشريف ناصر بن محمد الحسنى أبو منصور وأجل من خفقت عليه البنود في البوادى والحضور ، وكان حسنة من حسنات الزمان ، ونادرة من النوادر في عالم الانسان ، أصدق.أهل جلدته لهجة ، وأهداهم الى الصواب اذا اشتبهت الحجة ، يدبر الأمور برأى ثاقب ، ويحكم في الحوادث برأى صائب كان المرجع لقومه وغيرهم في الحوادث الكبار والمعوّل عليه إذا حمى الوطيس وثار الغبار، له معرفة بأيام الناس ووقائع العرب ، وله حفظ الدواوين المولدين والمتقدمين ، كثير المطالعة جيد الحفظ كثير الاصابة ، وبالجملة كان جمال المحاضر والمجالس ، وملىء الصدور عند كل قائم وجالس ، لم تتجمل دياره في زمان بمثله ، ولم ينكر أحد من الناس جميل فعله ، وقد ذكرناه فيما كتبناه في وفيات أهل القرن الثالث عشر ، نعم ومنصور لم يستقر في بيته الا قدر شهر أو أقل حتى وصله كتاب من سعود يأمره فيه بالنفر صحبة عبد الوهاب وأخبره أن الغزو الى بيت الله الحرام والمرابطة في أطرافها حتى يدخل أهلها في الدعوة بسلام ، فأعد الشريف منصور العدة وعين من جنده من له قدرة على المسير والنفير واستعداد الزاد الكثير ، والرواحل التى

يحتاجها في ذلك المسير ، ونفذ في أثناء شهر شوال أو شهر القعدة ولحق بعبد الوهاب بوادى الليث وسايره الى الميقات وأحرم كل القوم بالحج وهم على غير ثقة ببلوغ الموقف لبقاء مليك مكة الشريف غالب بن مساعد الحسنى على المحاربة ، وقد جرى بينه وبين عبد العزيز ابن سعود معارك . يشيب لها الوليد ويهرم منها الحديد . وكان قد اشتغل بمثاغرة مكة وتحويزها وقطع المواد على أهلها عثمان بن عبد الرحمن المضايفى العدوانى ، ومن ولد عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ، وهم قبيلة فيهم عزة وشرف ، وكان عثمان هذا خادما لغالب بن مساعد فبعثه في بعض المرات الى عبد العزيز رسولا فما عاد الا وقد خالطت قلبه بشاشة الدعوة النجدية ، وانتهى به الحال الى أن عادى غالبا وصارمه وحاربه وتملك جميع البوادى التى تجاور مكة حتى لم يبق مع غالب أحد غير مكة ، وقصته مع غالب يطول شرحها ، وليس مقصودنا في هذه الورقات الا سيرة الشريف حمود ، وانما نذكر ما عرض وما لا بد منه ، نعم ولما وصل عبد الوهاب الى الميقات وافته كتب غالب يذكر له انه قد أراد الدخول تحت طاعة سعود وقد دار الخوض بينه وبين عبد الرحمن بن نامى عالم من علماء أهل نجد في مخيم عثمان بن عبد الرحمن فقال ولكنى لا أريد أن يكون لعثمان مشاركة في أمرى ، وانما أريد أن يكون بحضورك مع عبد الرحمن بن نامى ويقع الرفع الى سعود ويأتينى منه مرسوم العهد ويكون الأمر منى واليه وليس لأمير من الأمراء على امارة ، فحين وصل الخطاب الى عبد الوهاب رأى ذلك من النعم التى غير مرتقبة فبادر الى عرفات ووقف وتم الحج ووقف عثمان وغالب وكل واحد منهم على انقباض من الآخر ، وتم للشريف منصور وجنده الحج كما يريدون ، وسلمهم الله

القتال في الحرم ، وأتموا الغزو والحج ، وهذه مسائله طويلة الذيول أعنى غزوة المتغلب في الحرم ، وللعلماء فيها أقوال كثيرة منهم المجيز لذلك ومنهم المانع المحرم وكل منهم له دليل ، والاحوط ترك الغزو الى البلاد الحرام ما دام فيها كلمة لا اله الا الله ، وبعد تمام أعمال الحج والعمرة أراد منصور وغالب أن يجتمع أحدهما بالآخر فحال دون ذلك مرض الشريف منصور بالجدرى واستمر فيه حتى ارتحل الحجيج وعاد الناس الى بلادهم فعزم ولم يتفق به ذلك العام ، وحصل على أصحاب الشريف منصور وأصحاب عبد الوهاب مرض ـ الجدرى فمات منهم خلق كثير ، وظهر النقص في ذلك النفير ، ووصل منصور الى بلاده وقد قضى فريضة الحج وجمع مراده ، واستقر يعمل الافكار هل يعجل الى عمه الشريف حمود ويتحمل منه الضيم ويكون كما قال صفوان بن أمية حين حنين : لا يربنى رجل من قريش أحب الى من يربنى رجل من هوازم ، والقصة معروفة مشهورة .

نعم وسيأتى ان شاء الله ما آل اليه منصور بعد ما طال وعرض من الأمور ـ وفي شهر محرم الحرام افتتاح عام ١٢٢١ وصل اليه السيد العلامة زين العابدين جمل الليل عالم المدينة المنورة والشيخ العالم الفاضل بدر الدين بن محمد الكورانى وصحبتهما مكتوب من الشريف غالب الى الفقيه صالح بن يحيي والى الحديدة يذكر له فيه دخوله في طاعة سعود بعد أن أبلى أشد البلاء وحارب وصال وجاول مدة خمسة عشر سنة ، وكأنه لمح للفقيه صالح أن يقبل على سعود ويكون من طريق عبد الوهاب فوقعت من الفقيه في أذن واعية والذى يغلب عليه الظن أنه ليس للشريف مقصد الا حصول التاسى واذا دخل صالح بردت حرارة وهجه من الدخول مع سعود ، وأما ذكره عبد الوهاب

فلعله يود ارتفاع عبد الوهاب على عثمان والله أعلم بخفيات الأمور ، والفقيه صالح بن يحيي بعد نفوذ الشريف من باجل بعد الصلح الذى وقع على يد محمد بن عقيل السقاف بقى في الحديدة وقد انضمت اليه ولاية بيت الفقيه في حين تصب لقبول يام وقد أرسل الى (بيت الفقيه) نائب من عنده ، فبينما هو في أول الاستراحة من مصارعة الشريف ومخالطة رجال يام ، اذ وافاه خط من بعض أصدقائه بصنعاء يخبره أن الوزير حسن بن حسين بن عثمان قد ألقى في ذهن الامام انك قد لعبت بالبلاد وألغيت المراد وانقضت المواد وظلمت العباد وسلمت ذلك لأهل الفساد ، وان الذى سلمت ليام مائة ألف وعشرين ألف ، وقد حلف الوزير ليصدقك فيها حتى تسلمها ولا بد يأتى اليك طلاب ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، فما أمكن الا أن بادر بارسال خط الى الوزير يخبره أنه عزم على الخروج من الحديدة الى (بيت الفقيه) لاصلاح أحوالها ، وبعد نفوذ الخط خرج الى بيت الفقيه واستصحب كل من فيها من عبيد الامام الخيالة نحو ثلاثين خيالا وبعد استقراره في بيت الفقيه وصل الجواب وشكروه على ما صنع من الخروج وتحروه في المبادرة بالوصول قبل أن تنقضى مهادنة الشريف لأجل أنهم يودعوه مالا تقوى به يده ويورى به زنده ثم وصله من ذلك الصديق الذى معه في صنعا خط يحذره من الطلوع وينذره بالهلكة والوقوع (فاحذر) وفي أثناء هذه الأيام وصل رسول من عبدالوهاب يأمره بالدخول فيما دخل فيه غالب ، ويحذره من شر العواقب ، ثم وصل رسول من الشريف في اليوم الذي وصل فيه رسول عبدالوهاب ،

فذكر له الشريف أن المادة التى بيننا وبينكم قد قرب تمامها فاذا لك محبة في السلامة يبقى تحت يدك شيء من ملك تهامة فأقبل على الطاعة ويكون حالنا وحالك واحد في مجاملة الامام ومصاحبة سعود ، ونستعين على أمرنا بالملك المعبود ، فبقى حائر يفكر ولا يهتدى الى خبر ، وقوى باله ان الشريف ربما لا يفى له ببقاء ملك الحديدة معه ، وان عبد الوهاب ربما يقنع بالمال مع بعد الديار وحيلولة الشريف بين عبد الوهاب والحديدة ، فأجاب على عبد الوهاب جواب يظهر منه اللين ووعده بأنه سيدخل في الدعوة في ذلك الحين ، وأجاب على الشريف بجواب ما عليه معول . وكتب بعد ذلك الى ولى عهد الخليفة ولده الليث الهمام أحمد بن الامام وشرح له ما كان وصار وما سبق منه من محاربة الشريف وما هو فيه من تلقى المكروه المخيف ، وذكر له ما بلغه من توعد الوزير ، وانه سيصادره على ما أنفق للعسكر في مناجزة الشريف ، واستشاره ماذا يصنع فانه بقى نجاة الا أن يدخل مع أهل الشام في هذه الأمور الصعاب أما مع الشريف أو مع عبد الوهاب ، وكان هذا أحمد من فحول الرجال ، وصناديد المعارك الثقال ومن أهل الآراء السديدة ، ولكنه حكم عليه البر بوالده بعدم الاعتراض لأن أباه قد ولى أمره هذا الوزير ولا يقبل فيه قول أحد من الناس ، ويرى أن كل من عارض أو نصح برأي انما هو منافس له ، وكان الوزير يلقى الى مسامع الخليفة ما يوحشه على ولده أحمد بن الامام واخوانه يسكتون عن أكثر الأمور محبة أن يؤثر عنهم العقوق ومخالفة أبيهم بماله من واجب الحقوق ، فلما وصل الخط الى (أحمد بن المنصور) حار في القضية وعلم أنه أن أبرز الخط للوزير زاد في تشدده على صالح ، وان أسر به الى أبيه لا يجد شيئا وسيظهره على الوزير ،

وبلغ أنه أجاب على صالح جواب ... الحيران ولا يأمره فيه بشيء مما كان ، وفي أثناء ذلك وصلت خطوط عبد الوهاب انه لا يقبل من صالح الا اجابة وقد أمر العمال الذين في اللحية أنهم يصلون اليه وأمر **الغوازى من أهل نجد أن يكون وقوفهم بين يديه** فصمم صالح على اجابة عبد الوهاب وظن أن يكون ماء ذلك السراب ، فتظاهر بالدعوة وأرسل **الغزاة الى الذى في البوادى** ، ولما اتصل الخبر بالدولة أمروا بقبض أولاده الذين في الحديدة وسمروا بيوته وقبضوا على كل ما كان معه هنالك فحصل معه الفشل واضطربت أحواله الى عبد الوهاب يستمد منه الجنود ويستنقذ أولاده وتستمد يده على الحديدة ، وكان القابضون على أولاده وبيوته من العبيد الذين في الحديدة ، وجعلت الدولة أمر ذلك الى السلطان حسين أمير (المخا) فأرسل أناساً من عنده بحرا يقبضون أولاد صالح ويسمرون بيوته ، ولم يكن هناك من أولاده الا ابن أخيه حسن بن حسين كما قدمنا .

نعم ولما وصلت الأخبار الى صالح بقبض ابن أخيه حسن بن حسين وتسمير بيوته وكان عنده جماعة من **قحطان من غزاة نجد** فوصل اليه مشائخ بادية زبيد وعاهدوه على السمع والطاعة ، وطلبوا منه جندا وأميراً يرسلهم الى (زبيد) وهم يكفلون له اخراج عامل زبيد من القلعة ، وانما يريدون الجند من عند صالح استظهاراً ووافق ذلك خبر القبض على بيوته فأراد النكاية للدولة وظن أنه يقبض زبيد فأرسل الجند وأمر عليهم رجلا من قومه ولما وصلوا الى زبيد انحاز أهل زبيد الى القلعة وما والاها وتركوا البلاد خالية فاستولى عليها **القحطانيون وغيرهم** من جند صالح واستباحوا ما فيها ، ولم يقفوا على طائل من اخراج الأمير من القلعة ، انما كانت الدائرة على أهل زبيد من أهل العلم

والتجار وغيرهم ، فنهبت أموالهم ولم يبق شيء ، وعاد أمير صالح الى عنده الى (بيت الفقيه) ولم يقف الا على (التحيتا) سلمها أهلها اليه فجعل فيها رتبة من العسكر ، والدولة في صنعاء ما زالوا يتابعون الامداد بالعسكر لعامل زبيد فرجع الى طاعته أهل الجانب اليماني مثل (المعاصلة) ومن على جيلهم وأما (القرشيون) وأهل (التريبة) فهم يظهرون الطاعة لصالح ويمشون بين يديه وربما يكاتبون عامل زبيد انهم منه ، وصالح مع هذا كتب الى عبد الوهاب يستمد منه الامداد بالجنود ، وصادف أن عبد الوهاب في تلك الايام غزا نجران [1] بلد

---

(١) غزوة نجران لم يشر إليها ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) لا في حوادث سنة ١٢١٩ هـ ولا في حوادث سنة ١٢٢٠ كما ذكر المؤلف ولا بعدها وانما الحقيقة ان عبد الوهاب غزا نجران وبنى حصناً فيها ولا يزال آثاره باقية وأهل نجران كانوا يدفعون زكاتهم مواستهم للمزكين السعوديين للدولة السعودية الأولى في عهد الامام سعود وقد نشرت مجلة الدارة صورة وثيقة تاريخية صادرة من الامام سعود الى أهل نجران نوردها مع المقدمة أو التمهيد الذى قدمته المجلة عند النشر وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود ـ إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهشان وحمزة ومحمد ابن حسن وحسين بن أحمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبدالله ، وأحمد معوض وأحمد على بن شما وصالح حسين مسلى ، سلمهم الله من الآفات واستعلمهم بالباقيات الصالحات .

وبعد ـ .. ألقى علينا مقبل بن عبدالله ، وأشرف على ما نحن عليه . وما ندعو إليه ، وما نأمر به ، وما نهى عنه . ويصف لكم من الرأس أكثر من القرطاس ان شاء الله . =

يام بجنود كبيرة كان يظن أنه يأخذ نجران بأقل منها ، ولكنه لقى من أهل نجران قتالا شديدا لم يثبت من رجاله الا من شاء الله ، وأقام بعرضة نجران نحو شهر وعمر قلعة عظيمة وادخل اليها الماء احتفر هناك حفائر داخل القلعة وجمع لها رتبة من خواص قومه وأمر عليهم (يحيي ابن باشع) أحد قواد قومه وفقهائهم وأهل الرأى فيهم ، وجمع لهم من الزاد ما يكفيهم ستة أشهر ثم انصرف راجعا فتتبعه رجال يام في الساقة يوم شدة وقتلوا في قومه قتلاً ذريعاً وأسروا صناديد منهم ، ولما وصل خط صالح اليه يستدعى الغوث لم يتمكن من

= ونخبركم أننا متبعون لا مبتدعون ، نعبد الله وحده لا شريك له ، ونتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ونقيم الفرائض ونجبر من تحت يدنا على العمل بها ، وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع والمحرمات ونقيم الحدود ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكاييل والموازين ، وبر الوالدين وصلة الأرحام .

هذه صفة ما نحن عليه وما ندعو الناس اليه ، فمن أجاب وعمل بما ذكرنا فهو أخونا المسلم حرام الدم والمال ، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرنا .

وأنتم أخص الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم ، والاسلام هو عزكم وشرفكم كما قال تعالى : (ولقد أنزلنا عليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) . فالمأمول فيكم القيام بالدعوة الى الله لأن الدعوة سبيل من اتبعه صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وقال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين) .

ونسأل الله أن يجعلنا واياكم من الداعين اليه المجاهدين في سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر وصلى الله على محمد وسلم .

ارسال أحد مع حصول الحاصل ، وكان هذا في رجب في السنة الحادية والعشرين بعد المائتين والألف ، والشريف في هذه الأيام وقع بينه وبين الكلفود شيخ صليل تلك الحروب ، وفي مدة اقامته بصليل كانت هذه المتفقات فعلم أن ظهر صالح قد انكسر من دولة صنعا ، وأن غارة عبد الوهاب بعيدة عنه ، فعزم على ارسال ابن أخيه الشريف الماجد الكريم ذى العنصر الباذخ الصميم يحيي بن حيدر الحسنى الى أطراف الحديدة يطرح في جانبها الشرقى على مورد الماء يكاتب من فيها بالدخول تحت الطاعة فان أبوا حاصرهم ومنع عنهم الماء وغازاهم ، فوصل الشريف يحيي بن حيدر وطرح في شرقى الحديدة وحاصرا الحديدة وكان اذا سأل الشريف أحد من أصحاب سعود كيف يطرح على الحديدة وهى داخلة في عهد صالح قال المسلمون يد على من سواهم ، وأنا وصالح كلنا في طاعة سعود فعظم الأمر على صالح وبقى حيران ان عاد الى أهل صنعا ربما لا يسلم من شرهم ولا يستطيع لمخالطته لجنود أهل الشام ، ولا وصل اليه من عبد الوهاب ما يطلبه ، وكان يظهر للناس أنه لو وصل اليه امداد جنود لفعل أعظم مما يفعل حمود ، والتشهى والتمنى لا يبلغ أحد الى المقصود وفي أثناء هذه الأيام وصل جماعة من خاصة عبد الوهاب بخطوط الى صالح ومعهم هدية له ومقصدهم التعرف بحاله واستقامة أمره ونصوا على الشريف حمود فتلقاهم بأحسن مما تلقاهم صالح وأعطاهم ما لم يكن لهم في حساب ، وقال لهم : انه في طاعة سعود ، وانه سيبعث البعوث الى (الحديدة) لاستنقاذ اولاد (صالح) ، ولإخـــراج من فيها من جنود الامام ، ومن بعد ذلك الحكم فيها لسعود ، فراجت عندهم هذه المقالة ، الا عند

عبد الوهاب فلم ترج ، وقال : متى افترس السبع من ينزع الفريسة من بين يديه ، ثم أرسل من ساعته رجالاً الى صالح من طريق البحر نحو ثلاث مائة يحفظون له الحصن حصن الدريهمى وحصن (بيت الفقيه) لئلا يقوى الامام على صالح قبل وصول الغارة هذا في الظاهر وأما في الباطن فيحموه من الشريف ويدخلهم صالح الى مراتب (الحديدة) أن استطاع ولو بالحيلة ، حتى أنهم اذا كانوا في (الحديدة) تعذر ملكها على الشريف ، فوصل الجند العسيرى وأراد النزول منها الى (الدريهمى) براً فمنعهم عامل الشريف في (اللحية) حتى أن يستأذن الشريف فأذن لهم ، وبلغنى ممن عند الشريف أنه كان هم بردهم أو يقاتلهم ، الا أن حسن له بعض من في حضرته انه لا يحسن الآن المجاهرة بمخالفة أهل نجد ، مع كون اليمن ما قد دخل تحت الوطأة ، فما وسع حمود بعد ذلك الا أن كتب الى عامل اللحية أن يأذن لهم بالنزول ويجعل لهم ضيافة وجمال تحمل أثقالهم وجاءت طريقهم الساحل حتى وصلوا الى الشريف يحيي بن حيدر وهو في مطرحه شرقى الحديدة فتلقاهم وطلب منهم أن تكون يدهم واحدة في حصار (الحديدة) وارتحلوا من عنده الى (الدريهمى) ولقيهم بعض خواص (صالح) هناك فانزلهم فيه وأجرى لهم الاقامة وجعلهم في (الدريهمى) يمنعون من يريد وصول الحديدة من عسكر صنعا اذا وصلوا . وقد قوى بوصولهم ظهر صالح وأمن على نفسه العساكر الذين عنده من التوابع وعبيد صنعاء ، لأنه لما خشى منهم الغيلة انكف عن مخالتهم وحين جاءت هذه الشرذمة قوى بأسه واصطان رأسه ، وحمود بعد انقضاء حرب .. (الكلفود) ـ كما قدمنا ـ واستوثق الأمر له في بلاد (صليل) كما يريد وهرب ... (الكلفود) الى الجبال وأمن ضرره

شرع في عمارة حصن (القناوص) وحفر بئر يتصل بها القصر ، وكان هذا من أعظم الأمور التى توطأت بها (صليل) فان حصن (القناوص) في وسط بلدهم ، ويتعسر بل يتعذر عليهم المخالفة والمشاققة وهو في عقر دورهم ، وعزم الشريف حمود على ارسال علي بن حيدر الى (الحديدة) معيننا ورداء لأخيه يحيي بن حيدر ، فوقع بين حمود وعلي أمور أوجبت نفور خاطر علي بن حيدر من موالاة حمود وكأنه أنكر منه ما كان يألف ، والرجل عظيم القدر كامل الرياسة .

من القناعيس ما أعطت خزامته يد ، ولا نازعته رمح منقذع

فاعتذر عن النفوذ الى (الحديدة) بعذر قبله الشريف حمود وفارقه الى الشام وبعد وصوله الى أبى عريش توجه الى (الدرعية) ليلقى الى (سعود) أمورا أنكرها على حمود وربما وقع عهده وهى مشروطة فيه ، وحين وصل الى (سعود) تلقاه تلقيا عظيما ورغب في أن يكون مطالبه الامارة فيلبسه قميصها ويعينه على انتزاعها من حمود ولكن لم يتعرض المذكور بذكر الامارة ، بل بلغ أن حاوله (سعود) على قبولها ولم يصغ ، انما طلب منه ما هو له من المعتادات والمقررات ، وعاد الى بلده فعظمت الوحشة من حمود وأتباعه وطال مدة الفرقة حتى كان آخرها الصلح والسداد فيما سنذكره ان شاء الله تعالى في حوادث سنة ثلاث وعشرين بعد المائتين والألف ، والشريف حمود لما اعتذر، اعتذر الشريف علي بن حيدر من التوجه الى الحديدة ، وارسل العلامة الحسن بن خالد الحازمى في جماعة من أهل الخيل فطرح مع يحيي بن حيدر وتعاضدا على حصار الحديدة ومغازاتها وفي غضون ذلك بلغ وصول بعض من بكيل من صنعا أحكم الغارة على

الحديدة وفيهم رجل من آل العكام يسمى أحمد بن على فقد هم رجال عسير الذين في الدريهمى بالاعتراض عليهم ولكنهم جاءت طريقهم بعيد عن الدريهمى وهم الشريف يحي بن حيدر وأصحابه باللقيا لهم ثم امتنعوا ، وبلغنى أنهم فكروا في القضية واذا هناك جماعة من ذو محمد لا يتم منعهم الا بعد حصول قتل في أصحاب الشريف ويتولى من القتل معاداة بكيل والله أعلم لمن تكون اليد . وقوى عند يحي بن حيدر والحسن بن خالد ترك قتالهم كون دخولهم الى الحديدة سيكون من المعين على مضرة الحديدة واشتداد الحصار على أهلها وكان هذا القاضى أحمد بن على العكام من أهل الدهاءوالخبرة بالأمور فحين وصل الحديدة علم أن كثرة الجند لا يزيد أهل الحديدة الا ضيقا وحصرا ، والجند اذا قل أمكن الخصم الفرصة فلعله كتب الى صنعاء يستنجدهم في رجال وخيل يقاتل بهم أهل المطرح عند الحديدة حتى يرتفع المطرح ويجد أهلها التنفس ، ولما وصل الخبر الى صنعا عزموا على ارسال من عليهم العين من عسكر وخيل ، فاجتمع من العسكر التوابع نحو ستمائة رجل أهل بنادق ، واجتمع من الخيل نحو ستين فارسا من أعيان الخيالة أكثرهم من العبيد ، وبلغ أن اجتمع رأى الوزير وأحمد ابن الامام على هذا البعث واستصوبه كل من له تعلق بالدولة ، وكان هو الرأى الصواب لو لم يعارضه المقدور بما جرى في أم الكتاب ، وكان الشريف له عيون في صنعا من خواص الدولة ينقلون اليه جميع ما يكون في صنعا ، فوصل اليه الخبر من صنعا بتجهيز هذه الأقوام وعظم شأنهم وأنهم نزلوا للقتال على أى حال يكون ، وفيهم عبدٌ أميرٌ من عبيد أحمد بن الامام يسمى سعد عذاره ، وبعد بلوغ الخبر الحقيق عزم الشريف على العزم بنفسه ومن بين يديه الى اليمن فصادف مع

ذلك أنه وصل اليه خط من السيد الهجام صاحب (القطيع) يذكر له ما بلغ من اقبال هذه المحطة من صنعا وانه يخشى على قرية القطيع والمعقل الذى بها ، وطلب من الشريف زيادة الرتبة التى فيها ، فترجح للشريف أن يكون مستقره قرية (القطيع) فنفذ من بلاد صليل بمن بين يديه من الرجال وأهل الخيل ، وهو يهمهم همهمة الأسد الضرغام ويصول صولة الجحفل اللهام ، ولله در القائل :

أشب لا يعرف التقيا اذا وثب الدها ولا يؤثر الا صغا الى الفزع
صعب البديهة لا يثنى عزيمته ذكر العواقب عن مفعوله فضع

فوصل الى القطيع وضرب خيامه بظاهر البلد الى الشرق ، وكان له وقت في الخيام ووقت في ذروة المعقل الذى بلغت شامته مسارح الغمام ، فاستقر بها مدة والأخبار عن أهل صنعا تكثر وتقل ، وكان قد بلغ الذى متوجهه أمير للقوم (أحمد بن الامام) وهذا الخبر هو الذى استنفر الشريف من جهة الشام ، ولما تيقن له أن الأمير هو سعد غذارة وان أحمد بن أمير المؤمنين لم يكن في السيارة هان على الشريف كثيرا مما كان وعزموا على قتال المقبلين ولو كانوا ألف حصان وما زال عيون الشريف يصلون يخبرونه بانفصال القوم من صنعا ، وكل يوم تأتيه عين وينكشف له عن تلك الحادثة عين حتى وصل الخبر اليقين التام انهم بأعلى وادى سهام قد خرجوا من الخيام ، فأرسل جماعة من عمال سعود وأصحبهم كتابا الى صالح بن يحيي يستفصله (1) عما هو عليه ويطلب

(1) فصل : الفصل واحد الفصول وفصل الشيء فانفصل أي قطعة فانقطع ، وبابه ضرب . وفصل من البيت : خرج وبابه ضرب .

الوصول اليه والاجتماع به في قتال هؤلاء المقبلين ، وأشار الى عمال سعود أن صالح أسعد الى ما أملناه فهو صادق في عهده ، وان لم يفعل فاحذروا منه فانه منطو على غدر ، ولما وصل العمال تيقنوا حال صالح وقبلوا عذره وانه لا يستطيع الخروج وليس في بيت الفقيه من يحفظه من رجال سعود ، وانه يخشى الانقلاب منهم اذا خرج وربما يمنع رجوعه ، فرجعوا الى الشريف وأمنوه من الأمر الذى يخيف ، ولكنه بقى في نفسه شيء أن صالح لا يقطع الحبل من أهل صنعا ، والأمر كما ظن لو وجد صالح قبولا ، لكان كما قدمنا وحين نزل القوم من (الحجير) وهو بالحاء المهملة بعدها جيم مكسورة بعدها مثناه تحتية ساكنة وآخره راء ، حصن على طريق صنعا من تهامة لم يكن دونه الى جهة الغرب الا بلاد تهامة فلما بلغ الشريف نزولهم بعث الى العمال يستحثهم على الوصول اليه بجميع من في اليمن من رجال المشرق الغزاة من (الدواسر) « وقحطان » وطلب منهم أنهم يطلبون من عسير الذين في الدريهمى رجالاً يقوم بهم الحرب ، وما زال قوم صنعا يسيرون سير الأثقال حتى انتهوا الى (شجينة) ، والشريف حين بلغه نزولهم من (الحجير) ارتحل من « القُطَيْع » بالليل ظانا أنهم يتعدون (شجينة) ، وكانت ليلة شاتية : شعرا :

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة من القريس ولا تسرى أفاعيها

= وكان حكاماً فواصل يفصلون في الحكم ، والفيصل : الفاصل بين الحق والباطل ، وفصل الشاه تفصيلاً . قطعها عرواً عرواً .

وقول المؤلف (يستفصله) كأنه يريد يستوضح أمره ، أما لغة : فهو قد يقرب من ذلك .

واستصحب معه بعض السادة آل الهجام لأجل الخبرة بالطريق ، واستصحب بعض الأعراب المختبرين بالطريق من القطيع الى (المكيمنية) لأنها مجمع الطرق للواصل من صنعا الى الحديدة ، فاشتد الظلام تلك الليلة وما أظنه سلم من رذاذ وطيش فضلّ الهداة الطريق ، ووصل الشريف ومن معه من جنده وهم اليسير بمهامه فيح ورمال لا يقطعها الجمل المشيح ، فسلكوا في كثبان كالجبال وبطون تغطى رؤوس القلال ولله در القلائل :

مهامه لم يملك بها الذئب نفسه ولا حملت فيها الغراب قوائمه

فرأى الشريف أن من الرأى أن يقف ببعض تلك الروابى وينتظر تبلج الاصباح حتى يهتدى الى الطريق في تلك البطاح ، وأما أكثر جنده ومن عليه منهم المدار فذهبت بهم تلك الظلمة المذاهب ، ولم ينطلق فيها مشى مقنب من المقانب ، فتفرقوا في تلك البقاع بعضهم راقد على فرسه وآخر متوسد التراب في القاع ، وهذا رابط فرسه برجله ، وهذا قد لعب النوم بعقله ، ولم يكن معهم ولا مع الشريف شئ من الطعام أظن ولا شراب الا أن كان من بعض أهل الخيل من يصونه في أهاب ، ولما أصبح الصبح صلى كل طائفة منهم بالتيمم بالتراب ، وامتطوا ظهور الخيل وأكوار الركاب والشريف بعد أن لاح الفجر فعلم هداية الطريق وخرج لا يلوى على شئ حتى وصل (المكيمنة) ارتفاع النهار ، وقد لحقه من أسرع من أهل الخيل ، فأرسل الشريف الماجد السرى محمد بن على فارس في عصابة من الخيل وأمرهم أن يسلكوا جانب الوادى المسمى (جاحف) يمانى وادى سهام ، بينه وبين مجرى وادى سهام نحو الميل ، على طريق القطيع من شجينة ، وعند المكيمنة يلتقى الواديان ، فسار الشريف

محمد ومن معه فما وصلوا أثناء الوادى الا وقد فاجأهم الجند الامامى يسلكون الطريق المعتاد من (شجينة) الى الحديدة ، فما زالوا يسايرونهم على بعد بأكثر من مبلغ البندق وأرسل الشريف محمد خيلاً يخبر الشريف باقبال القوم ، وما زال أصحاب الشريف يصلون الى موكب الشريف محمد ارسالا ، فلما كاد البندق يبلغ ابتدأهم العسكر الامامى بالرمى فرماهم أصحاب الشريف ، وكان العسكر الامامى يمشون على حالتهم يقاتلون في حال السفر حتى وصلوا الى بيداء من الأرض خالية من الأشجار قريبة من المكيمنة قدر خصر الفرس فحمل الخيالة من جند الامام العبيد ومن معهم من السادة الكرام وحملوا حملة من لا يخاف ولكنهم ليس لهم دراية في القتال كما لأصحاب الشريف ، وحمى الوطيس واشتجرت عوالى المرءوس والرئيس وقرب أهل البندق حتى بلغ رميهم مقام الشريف ، وكان رؤسا مقنبة ، وهو أولا ثم الشريف يحيي بن على ثم الشريف محمد بن علي ثم العلامة الحسن بن خالد فهولاء النفر من أهل الخيل قضوا للمشرفيات حقها وسقوا السمريات حظها وأصحاب الامام حملوا على تلك الخيل التى كأنها الشم وأوردوا رماحهم وسيوفهم المنهال المضرجة بالسم ، واشتهر في ذلك اليوم عبدان أحدهما يسمى (كوثر) والآخر يسمى عيسور وشريف من السادة بيت الدرة ، ومن الحكايات عنه ما أخبرنا به الشريف « محمد ابن علي فارس » أنه قال يقول ذلك الشريف انى ولد الجدين اليوم يومكم يا كلاب النار ، ثم يحمل حملة الاسد الضارى ، قال فأجبت عليه أنت صادق الخوارج كلاب النار ، أما أنت فهذا آخر ما مشيت في الدنيا ، قال فاجمعت خيل الشريف فقتلته ومن جملة ما حكى

الشريف محمد : قال لو كان في خيالة صنعا دراية وخبرة بالمجاولة حال القتال لما قدرنا عليهم مع شجاعتهم وفرط أقدامهم ، الا أنه أعاننا عليهم عدم اختبارهم فاستعجل أهل الخيل من أصحاب الشريف على العبيد وقتل من العبيد اثنان أو ثلاثة ومن غيرهم من أهل الخيل ثلاثة ، واستفحل أمر عسكر الامام فزحزحوا عسكر الشريف وأصيب الشريف في أول حملة حملها أو الثانية برصاصة في فخذه شرعت الى قريب أصل الفخذ ولكنها في اللحم لم تصل بالعظم ، وأصيب ولده الشريف أحمد بن حمود وعاده في سن الصبا أول ما ركب الخيل فرمى برصاصة بلغت الخيشوم وخرجت من احدى جانب الأنف ، وكاد عسكر الشريف أن ينهزم لولا ثبات أهل الخيل ، وقد خالط عسكر الشريف زيغ القلوب ولكن وصلهم غوث مائة نفر من رجال يام الذين عند يحيي بن حيدر من المطرح الذى أعلى الحديدة ، وخمسون من رجال عسير الذين في (الدريهمى) ، وكان وصول الطائفتين في حال التحام الحرب فأخذت كل طائفة جانباً من الأشجار وأطلقوا أفواه البنادق فتزعزع عسكر الامام وعلموا أن القوم قد زادوا وداخلهم الفشل لذلك ، ونادهم بعض أصحاب الشريف من الخيالة اذا كان مرادكم الأمان بذلناه لكم فطلبوا الامان وأكثر المائلين الى طلبته من أهل الخيل من جند الامام واتصل الخبر بالعسكر أن الناس بينهم آمان ففتر ضرب البندق من الجانبين ، وأحاطت بهم خيل الشريف تجمعهم الى المطرح وهم على ما هم عليه من الملامة ، وتمادى بعض خيالة الشريف الى أخذ بندق من بعض الجند الأمامى فرماه العسكرى وقتله ، وأراد أصحاب الشريف نقض الأمان بسبب القتيل فلم يرض الشريف بنقض الامان واغتفر قتلهم لذلك الفارس لما

قد يشاهده من الغنيمة في الاستيلاء عليهم بحيلة الأمان ، فأقبل الجند الأمامى من أهل الخيل يقصدون مخيم الشريف ثقة بالأمان وفى ظنهم أنه أمان يشتمل على سلامة الروح والخيل والسلاح فجمعهم الشريف في المطرح وجعل جنوده يحيطون بهم من الجهات الأربع ، وكان قوتهم تلك الليلة مما أجلبوا به معهم من زاد السفر ، وأمسوا تلك الليلة لا يظنون الا أنه متى أصبح الصباح لبسوا العدة والسلاح وحملوا ما معهم من الزاد ورجعوا على أعقابهم الى صنعا ، وان الغلبة مقصورة معناها على منعهم من دخول الحديدة ، وكان بعد طلوع الشمس طلب منهم الشريف وضع الحلقة ، وانه لا ينجيهم الا وضع الحلقة فعظم عليهم الأمر وقالوا هذا غدر ، فقال لهم الشريف : انما أمناكم على نفوسكم وأما السلاح والكراع فهى غنيمة لنا ، فعظم الأمر على أهل صنعا وأهل الخيل وهموا بالدفاع واثارة الحرب في تلك البقاع ولكن حال الجريض دون القريض . شعرا :

وحالة دون ما قصدوه حالٌ يعز بها التوثب والنفار
ويعجز أَنْ يحوم بها عقاب يحلق أو يكون له مطار

فلم يسعهم الا وضع الحلقة والبيع بأبخس صفقة ، ولم يبق الا فرس أميرهم سعد غدارة وجعل لهم نحو عشرة جمال يتعقبون عليها وجعل لهم رفقاء يمشون معهم حتى يخرجوا من حد تهامة ، وتوجهوا الى حضرة الامام وقد حل بهم من الصغار والانكسار ما خف عليهم معه الحمام ، أما الشريف فانه عظم قدره وتعالى نصره وبرقت أساريره وجلت مغافيره ، وأمر عمال سعود أن يتولوا رصد البنادق المسلوبة والخيل المنهوبة ، وأذن لجنده في الأطعمة أن يأكلوها بغير تخميس ،

ولم يخمس الا السلاح والخيل ، فبلغ خمس البنادق تسعين بندقا ، وخمس الخيل اثنا عشر فرسا وكان همه لرسال الخمس من السلاح والكراع الى سعود بن عبدالعزيز وانتدب للنفوذ بذلك السيد الماجد « علي بن عقيل الحازمى » ، فوصلت الى سعود وبذلك ارتفع عنده صيت حمود وعظمت منزلته على أهل التهائم والنجود ، ثم أقبل الشريف الى (القطيع) راجعا وقد تبسم له النصر بما وقع له في الجند الامامى من الهصر وبقى في القطيع يداوى الجراحة التى فيه وكذلك الجراح الذى في ولده أحمد ابن حمود ، وهو مع ذلك يدبر اتضاح ملك « الحديدة » ، بعد هذه المقدمات التى قدمها ، فجهز الشريف الماجد الباسل « يحيي بن على فارس » عونا للشريف يحيي بن علي وجهز وجمع له كل من في حضرته من الجند وأمره أن يطرح رداء للشريف يحيي بن حيدر وعوناً له ويضيقون على أهل « الحديدة » المسالك ، فاجتمع المطرحان وأحاط الجندان بالحديدة احاطة الحلقة ، وحين بلغ أهل « الحديدة » ما حصل في أصحاب غدارة وما انتهى اليه امره ، وهم كانوا الغوث والغارة وانقصمت ظهورهم وتلاشت أمورهم وتحقق عندهم الأياس عن وصول غارة من صنعا أو مدد ، ورأوا أنهم ان لم يطلبون الأمان من الشريف انتهى بهم الحال الى الأمر المخيف ، فتوسط القاضى « أحمد بن علي البرطى العكام » وهو رئيس الرتبة التى في الحديدة ، كما قدمنا وساطة بين الشريف والعسكر الذين في الحديدة على أن الشريف يسلم لهم ما هو لهم من منكسر الجوامك ويسلم للنقباء والرؤساء زيادات ، وكان الخوض بين القاضى العكام والشريف يحيي بن حيدر ، والخوض يدور بين الشريف يحيي بن حيدر وبين الشريف حمود ، وانضم الى سعاية

العكام سعاية الحاج « جوهر بن محمد حسين » من تجار « الحديدة » فالتزم الشريف بتسليم المطلوب وأزمع العسكر الذين في الحديدة على الخروج منها وتسليمها للشريف يحيي بن حيدر ، ووقع تسليم بعض المال من الشريف يحيي بن حيدر بعناية الحاج جوهر وبعضه من حضرة الشريف من القطيع وهو الأغلب وبعد خروجهم من « الحديدة » دخلها الشريف يحيي في طائفة من جنده وأهل الخيل ، واستقر بها أكثر القوم ثم عاد الى المطرح وترك فيها عسكراً رتبهم في معاقلها ، وبعد نفوذ العسكر الامامية من عند الشريف الى صنعا رأى أنه قد تبسم له الاقبال وتسنم ذروة الاشم العال ، فتوجه لتدبير ملك اليمن وأخذ يستجلب الناس الى طاعته ويبذل الرغائب بأن يكونوا من جماعته وقد صارت « الحديدة » في قبضته وهى نقطة بيكار تهامة وعمودها الذى بها يتم نظام الزعامة ، وبقى خاطر الشريف متعلقا ببيت الفقيه وزبيد ، أما بيت الفقيه ففيها صالح بن يحيي وله تعلق بـ « سعود » ، وكان يعتقد أنه لا يتم به عليه يد « لحمود » ، فلما ملك حمود « الحديدة » سقط في يد صالح ، وبقى معه أمل في الاستيلاء على زبيد لا سيما وقد عاهده أهل وادى زبيد عن آخرهم ، ولم يبق الا أمير البلد (بولاد حسن) مولى الحسن بن عثمان الوزير آنفا أن يعاهد صالح أو يسلم اليه البلدة ، ورأى أن تسليمها الى الشريف أخف من أن يُسلمها الى صالح لما في الوسط من الضغائن التى قدمنا بين صالح والوزير ، ومما أحكمه الشريف من الرأى أن بعث ابن أخيه الشريف « محمد بن علي فارس » الى اليمن وأصحبه جنداً من أهل الشام ومن غزاة أهل نجد والدواسر وأخذ عليه أن لا يتعرض لصالح بسوء بل يظهر له انما جاء حكم الغوث والعون على أهل زبيد ، وأصحبه الشريف

خطوطا الى مشائخ الزرانيق وشيخ القرشية وشيخ السوح التريبى وغيرهم من مشايخ اليمن يطلب منهم الدخول في الطاعة وأن يعاهدوا « محمد بن علي فارس » على السمع والطاعة وطمعهم في خطوطه بأنه سيوليهم على جهاتهم التى هم فيها ، وسينيلهم مراتب ما كانوا نالوها ، ولما وصل الشريف محمد بن علي الى جهة الزرانيق وافقه شيخ الزرانيق ونبذ عهد صالح وعاهد محمد بن علي وطلب منه المهلة في عدم التظاهر بالمناصرة حتى ينظر ما ينهى الله الأمر « لصالح » ، ثم انتقل الى أطراف زبيد وأرسل للمشايخ وألقى اليهم ما يطلبه الشريف فمنهم من أطاعه ومنهم من طلب المهلة ، ثم كتب من بقى على عهده « لصالح » الى « صالح » يذكر له ما وصل به محمد بن علي فارس ويستحثه على الخروج بنفسه الى زبيد ، وأن المدينة يتم تملكها بدون حرب لأن العبد (بولاد) قد تقطعت به المواد ، فعزم صالح الى زبيد وصحبته نحو مائة رجل من « عسير » ومثلهم من « قحطان » و « الدواسر » وغيرهم حتى اجتمع له نحو خمسمائة نفر ، وأرسل الى شيخ الزرانيق بأن يخرج بأصحابه للجهاد بين يديه ، ولما وصل الى زبيد خيم في الجانب الغربى منها ، ومحمد بن علي في ناحية من نواحى البر القريب من زبيد فراسل صالحٌ « بولاد » على تسليم القلعة وأسر اليه أن تسليم القلعة اليه فيه بقية من تملك الإمام لها وانه والى بها من الغير ، فلم يلتفت « بولاد » الى شئ من ذلك فنصب صالح الحرب على القلعة واستولى على الكثير من البيوت وكاد أن يتم له الأمر ، ولما أحس بولاد بالغلبة بعث السيد العلامة القاضى « حسين ابن عقيل الحازمى » رسولا الى محمد بن علي أنه يسلم له القلعة ويكون الأمر للشريف حمود ويرجع صالح في هيئة المطرود ، واشترط أن

يحفظه الشريف فيما يتركه من الأراضي والنخيل في زبيد وأنه يتوقف على دخول القلعة حتى ينفذ منها بولاد بشهر أو أقل وأن يحمل جميع ما معه من الأموال على جمال يسخرها له الشريف ، ثم زاد في الشرط أن القلعة يبقى فيها نائب من قبله حتى يصل الى صنعا ويأتى منه الامر الى نائبه بتسليم القلعة الى « الشريف محمد بن علي » ، فتمم له الشريف « محمد بن علي » على هذه الشروط وضمن له القاضي حسين بالوفاء بها وكتبوا الى الشريف حمود فأجاز الشريف كل ما فعلوه ، واستمد الشريف محمد بن علي من الشريف جندا من الرجال وأهل الخيل يصلون اليه وسيطرد صالح فأرسل الشريف حمود ابن أخيه « ناصر ابن يحيي بن محمد » وصحبته كثير من الأشراف وغيرهم من أهل الخيل زهاء خمسين ، وحين وصولهم الى زبيد صفوا كالمتهيئين للقتال وصف أصحاب صالح وحضر رجال من عمال سعود من « رؤساء أهل نجد » وتوسطوا على كف الحرب وأن صالحا يرجع الى بيت الفقيه وأصحاب الشريف يبقون في البادية وحكم القلعة عاد الى العبد بولاد عامل الامام ويكتب صالح بالقصة الى عبدالوهاب والى سعود واستقام في هذا كثير من « قحطان » معه جند كثير ولم يلتفت الى صالح ، وحين ظهر لصالح الخذلان عاد الى بيت الفقيه وبعد رجوعه تظاهر المشائخ بالطاعة للشريف حمود ، وظهر ما كان ختم بينهم وبين بولاد ، وتوجه « بولاد » الى صنعا وكل من كان من أهل الأعمال من أهل صنعا هذا وفي أثناء هذه الحوادث في زبيد عزم الشريف على دخول الحديدة وذلك حين تم برأه من الجراحة التى أصابته في المكيمنة فجمع أهل خاصته من أهل الخيل والركاب ومن بين يديه من يام وبكيل وقحطان ثم توجه الى الحديدة ، فأمسى بحوالى مطرح الشريف يحيي

ابن حيدر الى أن أسفر وجه الصباح ، وكشفت الغزالة عن وجهها النقاب فلاح ، فركب الشريف وأمر باظهار الناس الزينة أعوانه وقواده ، ولما قاربت خيل الشريف البلد ، خرج اليه كل من فيها من أهل الرشد ، فاندفعوا يسلمون عليه ويهنونه بالظفر ويوجهون الامل اليه وهو قاصر نظره على عرف الفرس لا ينظر يميناً ولا شمالاً ولا يلقى لما بين يديه بالا ، وضربت المدافع من جميع القلاع والمعاقل وازدحم بتلك الساحة أصوات البنادق وزفات الصواهل ، وقد خاطبه بقول الشاعر أقبل يا أخى وانطق القول في محله يليق :

رحلت الى قوم دروب ديارهم (مصان) ، حراما ان يدب بها النمل
فوسعتها والسيف يفتح مادنى اليه ولو رضوا على بابها قفل
وجالت بك الخيل والجياد وقد زهت ويهتز في أطرافهن القنا الذبل
ونادك نصر الله والفتح هذه مساعى الاولى قامت لمساعهم النصل
أقم شرعة الاسلام فيما فتحته فأنت ابن من أحيا به الله ما يتلو
ورثت أباك الطهر أحمد خير من به بشرت من قبل أبائه الرسل
بفتح الهدى والدين أنت أتيته ومثلك أسلاف الأئمة من قبل
وأعطاكها بعلا لسيفك بره وأكرم ممن يبتلى كف من يبلو

ثم دخل دار الامارة وتهللت الأسارير من جهة ، وانتعش عنوان البشارة ، وبقى ينظر في أهل البلد ويتدبر حالهم ويتروى أخبارهم ويستمد أنظارهم وأظهر شعار الدعوة الوهابية من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورتب الناس على وظائف الدين ، وأمر عليهم من يقوم بها على التعيين . واستدعى عمال سعود وأمرهم أن يكتبوا ما حصل من النقود ، وأظهر لهم أنه انما فتحها لسعود بن عبدالعزيز وانه ليس له رغبة في مطالعة البسيط والوجيز . فقنعوا منه بذلك وشكروه

على ما هنالك ، ثم فكر في أمر بيت الفقيه فاعمل التدبير في تملكها ، وتعلل بدعاوى تحدثها على صالح ، وصالح قد كان قد رفع القصة المتفقة في زبيد واستمالة الشريف مشائخ البوادى الى عبدالوهاب بن عامر ، وكان عبدالوهاب قد قتل في الذروة والغارب عند سعود في أيام الحج وأخبره بأن حمود يتظاهر بالطاعة لك وليس منها في قبيل ولا دبير ، وطلب من سعود تقوية يد صالح ، فأمره سعود أن يرسل طامى بن شعيب الرفيدى في طائفة من عصائب المسلمين من أهل البندق وأهل الخيل ليكونوا غوثة على استخلاص الحديدة من يدى رتبة صنعا واستخلاص زبيد من (بولاد) ، أما الحديدة فوثب عليها الاسد الرئبال قبل وصول طامى والرجال واستولى على معاقلها الليث ولم يتوقف لمهل ولا ريث فتعذر فيها الخطاب حيث صارت للأسد داخل الأنياب ، ولله در القائل :

وما يمكن استرجاع لحمة خادر وقد لاكها بين الكوشر والحلق

وبينما الشريف في « الحديدة » يعمل الأفكار في بيت الفقيه وما وراه من الديار وافاه خبر طامى بن شعيب واقباله يجر مقنبا بلا ريب ، وعلم الشريف أن طلبة المصرين « الحديدة » و « زبيد » وبغية البلدين يقف منها على أوفى نصيب ، وقد أمن على الحديدة من الانخزال ، وتيقن أن ذا البلد قد قبض عليها ببراثنه التى في أطرافها الموت المذال ، وانما الخشية على زبيد فنهض من حينه من الحديدة لا يلوى على شئ حتى لم يمس تلك الليلة الا بالقطيع ، ثم توجه منه في الحال يريد زبيد وسلك طريق الحازة مما يلى الجبل لأجل تكون طريقه على القبائل الذى ما قد وصل اليه عهدهم ، ولا اتصل به مدهم ،

ليلوى عليهم ويأخذ العهد حتى لا يبق لصالح غير مدينة بيت الفقيه ، لا قبل ولا بعد ، وما زال يجول في الحازة حتى انتهى الى زبيد ، شعرا :

تسير الملوك الصيد تحت ركابه تقبلها في سيرة لا تقابله
وتهوى اليه السمهرية خضعا وتفخر منها انها من حواصله

فدخل زبيد في بعض تلك الايام وقت الاشراق ، ودخلها دخول قتيبة بن مسلم أصبهان من العراق ، شعرا :

في فيلق كخضم البحر متصل بفيلق كسعير النار أبرده

واستقر بدار الملك ، وأبدر قمره في ليلها الحلك ، وطلب أعيان زبيد عالما ومتعلم ومفتيا ومستفتي ، وطلب منهم البيعة على السمع والطاعة ، فلم يتخلف عن بيعته أحد بل أجابوه الى ما طلب كما يجيب الوالد الولد ، وأما طامى بن شعيب فانه أقبل يقود تلك العصابة ويتحرى من سهمه مواقع الاصابة حتى طرح بالدريهمى وهو في قبضة صالح وطلب من صالح الخروج اليه ليفاوضه فيما وصل به من الخطاب من سعود وعبدالوهاب ، فتجهز صالح للخروج اليه وجعل الملتقى مطرح (اللاوية) قرية بينها وبين بيت الفقيه مقدار فرسخين ، واجتمعا هنالك وعلم كل واحد ما هو منطو عليه الآخر ، فأما صالح فظهر له أن طاميا جل ما يطلبه ويقصده هو تحصيل المال وانه لا يتم منه المناصرة الا اذا أعطاه صالح كل ما هو في البال ، وصالح يدعى الفقر المدقع وانه لا يريدهم يناصروه الا لمحض الدين ، من غير أن يأملوا فيه بذل المال .

وأما طامي فقال كنا نظن صالح أحد رجلين ، أما رجل صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل حتى يصل الى ما يطلبه ، وأما طالب ملك فيسمح للجنود بما عنده من المال حتى تتوفر رغبتهم للمقاتلة والقتل ، ولم يكن أحد الرجلين ، اما الدين فبمعزل عنه ، وأما الملك فما قام بحقه ، وهذا الشريف حمود يستميل الناس لطاعته باظهار العدل والدين للرعية وبذل المال للجنود فما أحد تخلف عن اجابته وصالح ما هو ذاك الذى يرجى منه ، شعرا :

أتعبت نفسك بين ذل كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لا خلاعة ماجن حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفى الأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وكان أشار اليه بعض خواصه أنه اذا كان بقي معه شئ من المال يتألف به طامي ومحمد بن أحمد ورؤساء عسير ويقوم بكفايتهم حتى تعود جوابات سعود ، لان صالحا قد كتب الى سعود باستيلاء الشريف على الحديدة ثم معارضته في زبيد وذكر لسعود تقدم عهود أهل زبيد له وامتداد يد الشريف على العرب الذى كان قد عاهدهم صالح ، وكان لو أطاع واستبقى طاميا ومن بين يديه لكان له خطة رشد في المستقبل ، ولكن لا يتم الا ما سبق به القلم واقتضته الحكمة ، وكان من ضعف رأى صالح أنه تخيل له أنه يطلب من طامي قرضة مال يستعين به على أرزاق العسكر وأراد بذلك أن طاميا ييأس من تأميل حصول شئ منه ، فأجاب عليه طامي أنا وصلنا من عند الامام عونا لك وجند بين يديك ، تكتبنا في ديوانك وتجرى لنا ما أجريته لغيرنا ، وها نحن عذرناك في الجامكية وانما نطلب القوت تجريه للجند حتى تستغنى عنا ، وبعد ذلك كتب طامي الى الشريف يذكر له

وصوله غوثاً لصالح وعلى أن يستنقذ له الحديدة وزبيد وحيث وصلنا وقد ملكتها فانت أمير من أمراء ابن سعود لا يحسن منا قتالك حتى نرفع الى سعود ويقع العمل منا ومنك بما في جوابه ، ونفذ بالخط محمد بن أحمد العسيرى ومحمد بن على بن ابراهيم الشعبى فتلقى الشريف ذلك الخطاب بالقبول ، وأجاب على طامي جوابا يخلب عقله في معناه كلنا خدم لله تعالى ثم لسعود ، وأنا ما قدمنا الى هذين المصرين الا لما كانت عزيمة صالح ضعيفة ولا عنده جند ولا شدة بأس فخشينا أن يقوى امام صنعا ويستخلصها من يد صالح ، فرأينا حفظها وهما تحت تدبير الله ثم تدبير سعود من يريد أن يوليه اياها ولاه ، ثم قال لطامي : ما دعت اليه حاجتك من الدنيا والأمتعة والمراكيب فانا باذلون كلما تطلبون ، ثم أعطى الرجلين الجواب ، ووهب لمحمد بن أحمد العسيرى مائتى قرش وللشعبى أقل من ذلك ولما وصل الجواب من الشريف اغتبط به طامي وكتب الى الشريف يعرفه أنه عزم على الرحيل وانما يريد الوثوق لصالح أن لا يمس بلاده بسوء حتى يأتى جواب سعود ولما وصل الخط الى الشريف رآه من الفرج بعد الشدة ، والنصر الذي بلا عدة فبادر الشريف الى أن بذل لطامي المطلوب وهيأ له مالاً يستعين به على السفر وسفينة ماخرة في البحر أودع فيها جملة من الأطعمة والأمتعة ، فاستعد طامي للسفر وقد قنع من الغنيمة بسلامة السفر ، وانه أرسل لصالح بن يحيي رؤساء الجند أهل بيت الفقيه فخرجوا الى مخيمه في تربة ابن عجيل غربى المدينة وأظهر لهم أنه يريد أن يؤلف بينهم وبين صالح ويفعل بينهم اخاء ويكونون في رأى واحد الى عودة الجواب من سعود ، وكأنه قد دبر الحيلة في القبض عليهم لموالاة صالح خشية منهم أن يقلبوا لصالح ظهر المجن ، ويملكون البلد

الشريف ، فقبض عليهم طامي وأسر بعضهم وأبقاه بمخيمه ، ثم انتقل الى الدريهمى وقد رتب معاقل بيت الفقيه من رجال عسير ، وحكم على صالح باجراء اقامتهم ، وأمر بهدم الصومعة التى في جامع بيت الفقيه من حيث أنها من أحسن المعاقل وقد وصل اليه منها ضرر أيام بقائه مخيما بظاهر البلد ، واستقر بالدريهمى يوم أو يومين فرتب حصن الدريهمى بجماعة من أصحابه وأبقى أولئك المحابيس من العسكر أهل بيت الفقيه بالدريهمى وصار معه برجلين أحدهما من أهل البلد والآخر من عبيد الامام ولعل ذلك بموالاة .. من صالح ، فربما كان يحذرهما كثيرا ، ثم توجه الى بلاد عسير لا يلوى على شئ سوى النفير ، والشريف بعد نفوذ طامي خلا له جو الملك من المعارضة وأقبل يفتل في الذروة والغارب في استمالة أهل بيت الفقيه حتى انخرطوا في سلكه وحين بلغ ذلك صالح بن يحيي لم يسعه الا أن يستعمل الحزم على نفسه وهو ينتظر عودة الجواب اليه من سعود والشريف يراسله بأن يعاهده ويدخل في طاعته وهو يعده بذلك ويتطاول في المهلة حتى وافاه جواب سعود واذا فيه غير المقصود وأثنى على الشريف بملكه الحديدة وتلك الحدود ، وآخر ما قاله في خطه أن اذا لك دعوى على حمود وصلت لمقابلته لدينا وحولت فصل القضية الينا ، فحين وقف صالح على ذلك الجواب ظهر له فصل الخطاب بأن ليس لمدخله باب ولا لغيبته اياب ، وعلم أن الدنيا لمن غلب ، والحجة لمن سطا وضرب ، فأقبل حينئذ على اجابة الشريف الى ما طلب ونفذ الى زبيد وهو ينشد قول القائل :

واذا لم يكن من الذل بُدٌّ فالق بالذل ان لقيت الكبارا

فتلقاه الشريف وانعم عليه وأخذ منه العهد ووجه نظر مدينة بيت الفقيه اليه ، والشريف مدة اقامته بزبيد تابع الغوازى على جهة (المخا) و (حيس) فبايعه أهل (حيس) وسلموا له القلعة فبعث اليها عاملا وعسكرا من عنده ، ثم أقبل عليه أهل بادية المخا (المشالحة) و (بنى دريهم) و (الاخدوع) وكل أهل تلك الجهة وعاهدوه ودخلوا تحت طاعته ، وأمر أميرا من جماعة بنى دريهم وجعل كل شيخ قبيلة أميراً عليها ، واستوثق له الأمر في جميع بادية المخا ، ولم يبق الا البندر ومدينة موزع كونها محصنة بقلعة ، وعند ذلك كاتب عامل المخا الأمير سلطان حسن مولى الحسن بن عثمان العلفى الوزير المذكور فيما سبق ولم يقبل منه الشريف الا البيعة وتسليم المعقل والضيعة ، فلم يرض الأمير المذكور وأرسل السيد أحمد بن عبدالقادر السقاف رسولا الى الشريف يبذل له قدرا كثيرا من المال على أن يساعده الشريف في الامهال ويمد له في الحبال ، فان تأتى له امداد من الخليفة حتى صنعا ، والا يسلم للشريف ، فقبل الشريف المال وصالح أهل المخا على الامهال ، وأحضر على عقد الصلح عمال سعود ليعلمهم أنه بلغ في فتوح اليمن المقصود فيرفعون الى سعود الخبر ويشهدون للشريف بالنصح ويرفعون عنه الضرر ، **وسلم لسعود شيئا** من المال وأرسله صحبة العمال اليه ، وفي أثناء اقامته بزبيد أمر بعمارة السور على المدينة وعين القائم على عمارته قاضى البلد السيد العلامة القاضى الحسين بن عقيل الحازمى ، وعين على عقال البد القيام التام بتحصل الأعوان والاجراء ، وحضهم الشريف على المسارعة بانجازه لما يتوقعه من حصول حاصل من الامام فقام القاضى الحسين في ذلك قياما تاما ، وكان الشريف يطوف على العمارين كل يوم في عصابة من

قومه من الخيل ، وأقام الشريف الى أن تقارب عمل السور الى التمام ، وهذا السور الذى أمر بعمارته الشريف لم يكن على أصل السور الأول الذى كان قبل الدولة القاسمية ، أخبرنى بعض من له خبرة بالتاريخ أن السور الأول كان بينه وبين العمران فسحة ، وهذا الصقه الشريف بالبيوت حتى أن بعض المحلات يكتفى فيها بعمارة البيت الذى اتصل به البناء ، وجعل أبوابه أربعة ، وقد حكى الخزرجى أن أول من أدار السوى على مدينة زبيد (حسين بن سلامة) مولى بنى نجاح ، ثم أدار عليها سور آخر الوزير منصور بن أبيه الفاتكى ، والسور الثالث في أيام بنى مهدى ، والرابع اداره سيف الاسلام (طغنتكين بن أيوب) وهدمت هذه الاسوار في آخر دولة الأتراك عند ظهور الدولة القاسمية ، وقيل إن هدم هذه الأسوار كان أيام حصار الحسن بن المنصور بن القاسم بن محمد لزبيد ولما ملكها هدم أسوارها وبقيت زبيد بلا سور الى أن اعاده الشريف كما قدمنا والابواب الأربعة هى التي كانت في الأسوار الاوله ، نعم ثم توجه الشريف الى الشام وقد أثنيت له الوسادة ، وتم له ما لم يتم لغيره عادة ، وهكذا حالة الاقبال والجد الذى يبلغ به المرء الآمال ، وقد قرر أحوال أهل زبيد وأجراهم على ما يعتادون من الاجلال وأظهر لهم مزيد التأكيد ، وخرج من زبيد ضحوة اليوم في شهر ربيع الأول في صحبته بن يحيي المقدم ذكره ، واستقر بالحسينية قرية للعرب الزرانيق في موضع المدينة المعروفة بـ (فشال) في الزمن الأول .

ونهض منها الى بيت الفقيه فوصل الى ظاهر البلدة بالجانب الغربى تربة بن عجيل ، ومن هناك فارقه صالح بن يحيي ودخل الى بيت

الفقيه أميرا على المدينة لا غير ، وجعل أمر البادية الى الشريف زيد بن على بن امطاعن الخواجى ، وقرر لصالح ما يقوم به من مواد البلاد ، وارتحل آخر تلك الليلة ، وجاءت طريقه العبسية ثم باجل ثم بلاد الجرابح الى صليل حتى انتهى الى مور وألقى عصا السير وأقبل اليه الناس يهنونه بملك زبيد وتلك الممالك ، ووصلت اليه جوابات من سعود يحمده على المسعى المحمود ، ويفيض له على الحد المحدود ، وابتسمت له الايام وأنشد لسان الحال شكرا لمولى الأنعام ، شعرا :

ومن يجعل السيف المهند صاحبا ويسقى أنابيب الرماح نجيعا
يملكه غلب الرجال اقتحامه وقائع يتركن الاشم صريعا
وذاك بحمد الله لا رب غيره فحمد لمن يولى الحميد جميعا

وفي هذه السنة سنة اثنين وعشرين ومائتين بعد الألف ، في شهر ربيع الثانى توفى وانتقل الى جوار ربه شيخنا شيخ الاسلام ، وامام الأئمة الاعلام شيخ السنة وامام الحديث والطبيب الماهر الذي أذهب الله به من البدع كل خبيث أبو محمد أحمد بن عبد العزيز الضمدى ، كان اماما في العلوم متفننا في المعقول والمنقول حافظا متقنا للحدود والرسوم ، طلب العلم في مدينة زبيد وصنعا ومكة وسمع الحديث من أئمة كبار ، وانتفع به عالم لا يحصون وتخرج به كثير ممن تصدر في العلم ، وقد استوفيت ترجمته وذكر درسه وتدريسه وفهمه وطلبه وتحصيله وما يؤثر عنه من خير وبركة في الأمة المحمدية فيما كتبته في وفيات أهل القرن الثالث عشر واستوفيت ترجمته في نحو ثلاثة صوافح رحمه الله تعالى وجعله في الرفيق الأعلى مع صالح الملأ ، نعم وبينما الشريف في مطاعم الظفر ، ومشارب الغلبة الصافية من الكدر اذ

وافاه الخبر بنزول يام من نجران وأن ليس لهم مقصد الا الفساد والطغيان ، وجل مقصدهم النهب والانتهاب ، والخدش فيما قد مهده الشريف من الامام في تلك الرحاب ، فاعتد الشريف للقاهم وعزم على منعهم من الدخول الى اليمن وجمع جموع من قبائل الشام أهل الدعوة النجدية ومن غيرهم من رجال حاشد وبكيل ، وكان وصولهم في مستهل شهر رمضان سنة ١٢٢٢ هـ وطرحوا في أعلى وادي عين شرقي مدينة الزهرة بميل الى القبلة ، فأراد الشريف القدوم عليهم الى ذلك المكان ومناجزتهم بمواضى القواضب وعوالى المران ، وقد كان مخيما بظاهر البلد يتوقع أى محل يستقرون به ، وكان حين هم بالقدوم عليهم بلغه الخبر بارتحالهم الى جهة الواعظات وجاءت طريقهم حازة الجبل فنفذ الشريف في الحال حتى طرح بمحل يسمى (قنبور) من أعمال الواعظات ، والقنبور كعصفور وهو بالقاف بعدها نون ثم موحدة تحتية بعدها واو وآخر الحروف راء ، ولم يطرح الشريف هنالك الا بعد أن طرح البغاة في شرق ذلك المحل بين المطرحين نحو فرسخ وكان في آخر ذلك اليوم خرج بعض أهل الخيل من أصحاب الشريف في حكم العين يقصون خبر القوم ، وبعد خروجهم رأى الشريف أن يَرْدِفَهُمْ بابن أخيه الشريف الرئيس أو أحد أهل ذلك الخميس يحيي بن على فارس بن محمد الحسنى ، فخرج في طائفة يسيرة من الخيل ليكون رداء للمتقدمين من القصص ، فما وصل الى نصف الطريق الا وقد رأى جند يام قد عصفت على أصحاب الشريف وقد كادت تستأصلهم ، فأطلق الشريف يحيي جواده وفعل من الحملة ما هو له عادة فرمى برصاصة أثخنت منه الجراحة حتى خر صريعا في تلك الساعة حتى غشيه الغشو وفر عنه من كان معه من الحشو ، فوصل

بعض خيالة يام ودفنوه بما معه من السلاح فقضى نحبه ولقى ربه ، ونجا بعد ذلك القوم الذين أغاروا عليهم الا رجل من الأشراف عثر به جواده فأسره العدو ، وهذا الشريف المقتول هو الشريف الشهير الباسل الخطير ، بيضة بلده وسيد أهله جلدته ، أنبل من تصدر في المقانب وأنجب من تحملت به النجائب ، كان بهمة من البهم ، وطود في الحوادث الكبار أشم معدود في أهل الرجاحة مشهور بالسخاء والسماحة ، له وقائع تشهد له بطيب النجار ، ومشاهد تتحدث بها في المجالس السمار ، شعرا :

لولا الرصاصة ما حامت رماحهم عليه يوما ولا سلت لهم شطب
هم يعلمون لو اهتدى قلبها بكفه ما نجى المسلوب والسلب
غضنفر قمع الأعداء فراسته كم مرة ذاق منه قرنه العطب

ونقلت روحه في الحال وختم له بالشهادة وهكذا حسن الأعمال ، وعظم على الشريف موته وفت في عضد المملكة فوته ، ولكنه تلقى المقدور بقلب أقسى من الصخور وأظهر التجلد الكبير ، وقال هذه عادة الله في كل خطير ، ثم عزم على الأخذ بالثأر ، واذاقة العدو الصغار ، فعزم يام بالليل وقطعوا تلك المهامة على ظهور الركاب وصهوات الخيل ، فحين أقبل الشريف قاصدا مطرحهم بلغ بنفوذهم الى جهة اليمن فلوى بعدهم الأعنة واستحث أهل الخيل والمواضى والأسنة حتى هزم النهار وأقبل الليل يخطر في حلة كالقار ، ثم أناخ الشريف في القناوص قرية من أعمال صليل ، وهى بزنة مساجد بصيغة منتهى الجموع ، وهى بالقاف بعدها نون بعدها ألف ثم وأو مكسورة وآخرها صاد مهملة ، وأرسل من يأتيه بخبر القوم واستقر ليلته تلك

وبعض من اليوم ، فوافاه الخبر بأنهم في وادى سردود بقرية (المعروفية) منسوبة الى المعروف ، لعله اسم رجل سكنها أو اختطها ، وهى متوسطة بين (الزَّيْدِيَة) و (الضِّحي) ثم توجهوا منها الى الضحى فضربوا هنالك الخيام ، وبثوا سراياهم لأقطار اليمن يعيثون بالانام ، ويستحلون الحرام ، ولم تقم غوازيهم أكثر من يوم لما يترقبونه من هجوم الشريف عليهم بمن معه في القوم والشريف طاب له المقام بالقناوص وشرع في عمارة معقل وحفر الآبار وأمر باجتماع الناس اليه في يوم معلوم للبيع والشراء جعله سوقا ، فارتفق به جند الشريف ووجدوا عندهم ما يطلبونه من الأطعمة والأمتعة ، وما زالت الجنود تصل الى الشريف حتى اجتمع له عصابة وافرة من رجال حاشد وجماعة من ذو محمد فأمر عليهم أميرا وجهزهم لقتال يام ، فالتقى الجيشان في مستوى من الأرض قبلى المعروفية والتحم القتال ، وكانت الدائرة ليام ، وقتل من حاشد ناس كثير وأسر من بقى في عمره سعة ، وانحاز من نجا الى الزيدية ، وقتل من يام جماعة من الصناديد وأصيب رئيسهم القاضى عباس بن أحمد بن اسماعيل المكرمى وقيل أنه تعلل منها أياما ومات بسببها ، وحين انتهى الى الشريف هزيمة جنده كشف عن ساعده وزنده ، ونظر فيمن بين يديه من الأقوام حتى عرف عراره من رنده وعزم على النهوض ومباشرة الجهاد للطغاة بطائره المحظوظ ، فبلغ رجال يام زئير الليث ، واقباله على الفرائس بلا ريث ، فسارعوا بالانتقال وتوجهوا يقطعون الهضاب والرمال ، ويؤمون مدينة زبيد وقد لاح لهم برق خلب ، وسحاب جهام لا يمرى ولا يحلب ، وذلك أنه وصلهم خط من الامام يطلب منهم القيام بنصرته ، والجهاد مع جنده الواصل من حضرته ، وكان قد بعث الامام الى زبيد بعثا كبيرا من حى

بكيل حسينى ومحمدى معهم رؤساؤهم من آل عائض وآل صلاح بن كولا ، من ذو محمد ، وجعل الأمير على تلك الاجناد الفقيه حسين بن أحمد العلفى وزير العكفة ، ذاك الأوان ، وأمر بمثاغرة (حيس) ثم (زبيد) ثم سائر تهامة ، واستنفاذها من يد الشريف ذى الزعامة ، وارجاعها تحت حوطة الامامة فتوجه الفقيه حسين بتلك الجنود ، وسلك طريق اليمن الى « ذمار » ثم الى « يريم » ، ثم الى « ذى جبله » ثم الى « العدين » ، حتى طرح بناحية « حيس » ، واستنفر رجال يام بخطوط يذكر لهم فيها الالتزام بالشروط ويأمرهم بالنهوض الى زبيد ، وحيث اتصل بمسمع الشريف وتيقن اجتماع الكلمة بين جند الامام ورجال يام ، بادر بارسال علي بن عقيل الحازمى في عصابة من الخيل والركاب وجعل له الامارة على زبيد فركب سجوف الظلام ، حتى وصلها في أقل الأيام ، وقد كان أهل زبيد قبل وصوله في أمر مريج ، وأكثرهم يود قوة أصحاب الامام فيشيع عنهم كل ما فيه تهيج ، وبعد وصوله قويت شوكة أخوه السيد الفاضل العلامة الحسين بن عقيل الحازمى واشتد ظهره ، فأخذ يعاقب كل من يهم بموالاة الامام ، ويفعل ما يسد به ذريعة الكلام فأمسك كل واحد على فيه ، وانكف الناس في التظاهر بما تضمره النفوس وتخفيه ، وكان بقى في سور البلد جانب غير معمور ، فسارع القاضى حسين وأخوه الى الزام الناس باتمامه فتم لهم المرام ، وانقضى لهم ما لم ينقضى لغيرهم عادة في جارى الأيام ، وهكذا شأن الاقبال ، وفى أثناء ذلك وصل رجال يام الى يمانى زبيد وطرحوا بظاهر البلد ، وأقبل حسين بن أحمد أمير الامام وطرح بالتريبة قرية شرقى زبيد تصغير تربة ، وكان الشريف أمر على على بن عقيل وأخيه القاضى الحسين أن يعملا ما يقدران عليه من

المكيدة في تفشيل يام وتفريق كلمتهم وأرسل رجلا من كبار يام كان في خاصته الى الشريف على بن عقيل ، وقال يكون السعى من طريقه ، وكان الرجل حول قلب فابتدأ يفتل في الذروة والغارب ويستميل الاكابر منهم بالرغائب ، فتشتت شملهم وتفرقت كلمتهم ، ولم يبق منهم الا جابر بن مانع رئيس آل فاطمة من مذكر فكتب الى الفقيه حسين يطلب منه التزام ما التزم به الامام واشتملت عليه القواعد المرسلة من الحضرة لرجال يام واشترط عليه أن ينقل المطرح من التريبة الى الحمى ، بكسر الحاء المهملة وميم مفتوحة وألف مقصورة كرضا ، وهو محل مشهور ، موضع شرقي زبيد بينه وبين التريبة ، كان طرح فيه الحسن بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد رضوان الله عليه ، حين وصل لحصار الأتراك بزبيد ، فوصل خط جابر بن مانع ومن بقى من يام الى الفقيه حسين بن أحمد ومن بين يديه من رجال بكيل ، فبينما هم في جمع الشور في الجواب اذ وافاهم خبر اختلاف الامام والقاضى يحيي ابن حسين البرطى العنسى في صنعا ، واقدام القاضى يحيي بن عبدالله المذكور على الوزير حسن بن حسين بن عثمان العلفى في دار الخلافة وطعنه بجنبيه طعنتين قاتلتين ، ولم يحمل من دار الامام الى بيته الا على ظهور الرجال ، وكان الامام يظن هلاكه في الطعنتين الحاصلتين فيه فقام وقعد للانتقام من القاضى يحيي بن عبدالله ومن معه من ذويه في صنعا وحصرهم في بعض البيوت حتى خرجوا في وجه ولده أحمد بن أمير المؤمنين فاطلعهم القصر وقيدهم بالحديد ، الى أن عن له في بعض الأيام أمر بضرب أعناقهم فضرب أعناقهم وهم القاضى يحيي بن عبدالله وواحد من أولاده وواحد من أعمامه ، فحين بلغ الخبر رجال بكيل الذين صحبة الفقيه حسين قلبوا ظهر المجن ، وجعلوا العداوة

التى للشريف لأميرهم الذين كانوا صحبته ولم ينج الا بعد أن أرفقه أحد النقباء الكبار وجعله في حوزته ، ومن ثم تفرق الجند الأمامى ، وفارقوا القطر التهامى ، وانصرفوا راجعين الى الجبال ، لا يلوون على شيء مما كان منتهم به الآمال ، والفقيه حسين بن أحمد نفذ هو والنقيب الذى أجاره وعصابة ذلك النقيب وتوجه طريق (حيس) لأنه كان عند اقباله افتتح حيس بعد قتال قد وقع بينه وبين أصحاب الشريف الذى هنالك ، وما كان هنالك من يعتد به من جند الشريف ولا عند الشريف احتفال بحيس نعم ولما اختل نظام المطرح الأمامى ، أقبل على مصالحة أصحاب الشريف الفريق اليامى ، ومنع الناس من جند الامام وعلموا أن الحصة غالية والدنيا ذاهبة سالبة :

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

وحينئذ صلح شأن يام ، على بذل جمهور [1] من المال ، بعضه سلم اليهم من زبيد وأكثره تأجل الى عودهم الى حضرة الشريف فتوجه يام الى الشريف قابضين أيديهم عن البطش حافظين جوارحهم ومواشيهم عن الرَّبش[2] ، حتى أناخوا بظاهر (الزهرا) بجهة القبلة ، وقد أقاموا قدر الأسبوع حتى تهيأ لهم قبض المال الموضوع ثم

---

(١) لغة . جمهرتُ القوم جمعتهم ، وجمهرت الشيء جمعته ، والجمهور الرمل الكثير ، والجماعة من الناس ، وجمهرت الناس جلهم .
(٢) الرَّبْشُ : العشب المختلف الالوان . وأرض ربشا كثيرة العشب .

توجهوا الى نجران ، ولم يقفوا من المطالب على غير الخسران ، وبعد نفوذهم أقبل الشريف على البلاد وأصلح ما فيها من الفساد ، وأقام الحدود على من سعى في الأرض بالفساد ، أيام بقاء يام بتهامة ، وضرب الأعناق ممن ظهر منه الشقاق ، واستوثق الأمر وظهر له في صدور الناس من الهيبة ما كان الغاية في الزجر ، وفي آخر هذا العام الذى هو سنة **اثنين وعشرين بعد المائتين والألف** توجه الشريفان العظيمان والملكان الفخيمان على بن حيدر بن محمد وابن عمه الملك العادل منصور بن ناصر بن محمد الى مكة المشرفة لقصد الحج ، أما على بن حيدر فلقضاء فريضة الحج ، وأما منصور فقد كان حج في عام العشرين كما قدمنا نفوذه صحبة عبد الوهاب ، وانما حج نفلاً وليجتمع بسعود بن عبد العزيز ، ويشكوا اليه ما قد أودعه الكتب من منع الشريف حمود عن اجراء ما وصل به من حضرة سعود من تقرير المال من بندر اللحية ، ويوضح له أن المراقيم لا تنجح في الشريف والمراسيم لم يكن لها عنده حكم ولا تصريف ، وأما على بن حيدر فأراد بعد قضاء الفريضة يفضى الى سعود ما بينه وبين عمه حمود من الوحشة التى أخفتها القلوب المريضة ، لأن عليا كان قد استوحش خاطره من الشريف أيام منازلة الشريف صليل وفارقه على من هنالك وقد استحكمت الوحشة بينهما ورأى علي أن عمه مقصر في حقه ، وعانده في رزقه واستدل بافعال ظاهرة ، واعتقادات تدل عليها فلتات اللسان السائرة ، مع ما سبق من علي من المعاناة في الفتوح ومباشرة الحروب والاقدام على المرهوب واخلاص الطوية فيما تولاه لعمه حمود من سياسة البرية ، فأنف أنفة الليث الهصور وقال الحر على غير الاهانة صبور ، وأنشد لسان حاله يقول :

اذا صديق أنكرت جانبه لم تعينى في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد عن أختها بدل

وكان علي قد وصل بنفسه الى الدرعية وشكى على سعود ما أنكره من حمود وأمده سعود بمراسيم وأيده بقواعد تقضى تسليم المعاليم ، ولما وصل استوحش منه عمه حمود وبقى يتتبع له الغوائل ، ويتعرض بالاذى لمن هو في طرفه من خواصه وعند ذلك أخذ الشريف علي بطرف من الأمور وكان أكثر اقامته عند أخيه ابن عمه الشريف منصور بن ناصر في صبيا ، حتى حان وقت الحج فنفذ هو والشريف منصوركما قدمنا ، وبعد تمام أعمال الحج فوضا الشريفان الى سعود ما يشكون من الشريف حمود ، وخيرهما سعود بين ان يرسل معهما جندا من أصحاب الأمير عبد الوهاب أو من غيرهم من أمرائه الذى يرجى بهم انغلاق الباب ، فاختاروا العدول عن قوم عبد الوهاب لما يعلمانه من منافرة القلوب بين الشريف وبين عبد الوهاب (١) ، لأن سعود

---

(١) لقد كان تفاقم العداء الشخصى بين عبد الوهاب وحمود المعوق الفعال لتقدم مسيرة النهضة الاصلاحية والدعوة السلفية في جنوب ـ الجزيرة بعد ان وصلت طائعها الى جبل كوكبان في المشرق الجنوبى والى باب المندب في الجنوب الغربى ففى النصف الأخير من تلك السنة اشتد الخلاف بينهما وتطور الى عداء سافر ، وأخذ عبد الوهاب في الكتابة الى (الدرعية) بما يتراءى له من تصرفات حمود ، وحمود بدوره يكتب بتدخلات عبد الوهاب في شئون المنطقة العائدة إلى امارته والحد من نشاطه في نشر الدعوة الى غير ذلك ، وكانت السياسة السعودية ـ ولا تزال ـ سياسة اسلامية رفيعة ومن منهجها حسن الظن بأهل الطاعة حتى يثبت ما يريب . فرأى =

قال سيرسل جندا صحبة من يركنه من الأمراء يصلون الى الشريف وينظرون فيما بينه وبين الشريفين ، ويلزمانه بما رأى سعود ، وأن لم يمتثل قاتلوه فاختار سعود ارسال الأمير محمد بن دهمان ، أمير دهمان قبيلة ما بين مكة واليمن يسكنون تباله وما والاها ، وهم من الأزد ، واختار معه مشيط بن الشهرانى من شهران أخي ناهس ، حي من

= الامام استدعاء حمود ثم احضار عبد الوهاب وتنقية الموقف بينهما ، فخامر الشك قلب حمود وأخذ في التسويق مرة والاعتذار بمشاغل اليمن أخرى ، فكتب اليه : (عليك مقابلتنا في الموسم) فبعث حموذ بالخراج مع رسالة يلتمس ويرجو العذر عن القدوم في تلك السنة . فعاد إليه الجواب بضرورة المقابلة في مكة المكرمة في موسم الحج وعندما حان الحج بدلا من أن ينصاع لواجب الطاعة ويرحل بعث ابن أخيه يحيي بن حيدر معتذراً ومستطلعاً الحالة في نفس فحج وسلم على الامام فسأله عن عمه فأخذ في الاعتذار له فقال له : (عليك ابلاغه بالحضور وإلا فهو العصيان) . فاتصل بعد ذلك بغالب بن مساعد (سرا) الذي هو على اتصال بالأتراك وبمحمد علي ويعلم أن أمر السلطان قد صدر قبل هذا التاريخ بسنة إلى محمد علي بغزو الحجاز ، وان ما أخره الا انشغاله بتصفية أمر المماليك، ومن المعروف أن كل غزو يسبقه اتصالات وتمهيدات ، والعمل على فتح جبهة أو جبهات جانبية ، وغالب من عرف بالتقلب ، فنرى رسول حمود يعود بسرعة إلى أبى عريش ويأخذ حمود في الاستعداد وعلى أثر ذلك يصل إلى اليمن مندوب مصرى اسمه يوسف القبطان ، ثم يتم الصلح بين امام صنعاء وحمود الذى يتنازل عن بعض مكاسب الدعوة في كوكبان والمخا لقاء بعث المذكور له بمرتزقة من همدان وغيرهم ثم يأخذ في استمالة ابن أخيه منصور بن ناصر عامل صبيا فيغويه فينضم إليه ويتظاهر بالعصيان العلنى ، فيرفع عبدالوهاب للامام سعود ، وازاء ذلك العصيان السافر صدر الأمر إلى عبدالوهاب بالتقدم لحرب حمود .

خثعم من بجيلة ، وهذان الرجلان أميران على بلديهما فوصلا صحبة الشريفين ومعهما من الجند زهاء ثلاثة آلاف ، وتقدم الشريفان الى بلديهما قبلهم بأيام وعند وصولهم الى صبيا صحبهم الشريفان وتقدم الكل الى الشريف وخيم الجند بظاهر الزهرا ، وأرسل الأمير محمد بن دهمان ومشيط الى الشريف يستأذنان منه في الوصول فأذن في الوصول اليه ، وبعد وصولهما اليه عرضا ما جاء به من عند سعود في شأن الشريفين ، ووافق الشريف على ما جاء به الأميران ، ودخل اليه الشريفان علي ومنصور وصلحت فيما بينهما الأمور وتكررت بينهم المواقف وتأكدت منهم العهود بحضرة الشريف يحيي بن حيدر ، وربما حضر العلامة حسن بن خالد بعض الأحيان ، والا فاغلب الأحوال أنه يكون القول بينهم وبين الشريف ، ومتى أحكماه أبرزه الشريف الى الخارج ، لأن الحسن هو عماد الدولة ولسان الصولة ، والمعول برأيه في كل ما عرض ، والمتبع قوله في الجوهر والعرض ، اذ هو عيبه الشريف وكرشه ووزير ملكه ، الذى يستظل تحت عرشه ، فبادر الى ارجاع الأميرين دهمان ومشيط وقد غمرهما بالعطايا واستمال قلوبهم برغائب المزايا ، وانصرفا من لديه وقد خمدت نار فتنة الشريفين وسكنت الأخبار وقرت الأعين ، وكتب الشريف كتبا الى سعود وكذلك الشريفان علي ومنصور كتبا كتبا الى سعود وعرفاه بصلاح الشأن وصيرورتهما من خواص حمود ، وعند ذلك أقبل الشريف يفتل في الذروة والغارب من منصور واستمالة قلبه بكل ما يقدر عليه مما جرت به العادة انه يلين الصخور ، وقال هو والعلامة الحسن بن خالد الآن لاحت الفرصة فان بقاء منصور منفصلا عنا ومتصلا بسعود أعظم غصة ، فما زال

الشريف يغازل منصور ويفتح له باب الانتماء الى أهل الشام ويحسن له الاتحاد والالتئام ، فمال منصور [١] وراجت عنده الأوهام ، مع سابق المقدور ، وقد كان الشريف حاول من منصور هذا الأمر أيام فتنة عرار ، ولكن عذله أبوه [٢] رحمه الله من الانخزال وقبح له الانتماء الى الشريف وهو معدود عند سعود من أهل الاستقلال ، فثابت اليه الفكرة فلم يتم للشريف ما تم له هذه المرة ، وحين بلغ المرام من استمالة منصور اليه وصيرورته منه في شأن سعود إن حربا وان سلما ، أقبل الشريف على منصور وبذل له الرغائب ما لم يكن بعده انحراف أو تقول ، وأنعم على الشريف علي بن حيدر بما هو حقيق وبمثله خليق وأخذ عليه الميثاق أن لا ينشر عليه راية خلاف ولا تنازعه نفسه الى شقاق ، ثم انصرفا من لديه وقد حمد سعيه ، وقرت عينه ، ورجع منصور الى بلد ولايته وقد اسعف بجرايته ، وكان انقضاء جميع ما ذكر في **شهر صفر أحد شهور سنة ثلاثة وعشرون بعد المائتين والألف** ، وفيها نجم خلاف بنى الحرث أهل الجبل وظهر منهم من البغي والافعال الكفرية ما يستوجب الخروج اليهم فندب الشريف لهذا المقصد وزيره العلامة المتجر المجاهد الشريف الحسن بن خالد فنادى بالنفير في أهل الديار العريشية وجمع غيرهم من طوائف المسلمين وأرسل الى الشريف منصور باستنفار أهل مملكته ، فأجاب الشريف منصور وجهز رجالا من قومه وأمر عليهم أمير من أصحابه ، وحين اجتمع الناس

---

(١) راجع ترجمة منصور في الحاشية رقم ١ على ص ١٠٩ .
(٢) راجع ترجمة والده ناصر بن محمد في الحاشية رقم ٢ على ص ٧٧ .

توجه الحسن فقصد الجبل والسهل فنازلهم في ديارهم واجتمع منهم قوم كثير وأقبلوا اليه بالحرب وكافحوه بالطعن والضرب ، فثبت لهم ذلك الجند واستحر القتل ، فكانت الدائرة لأصحاب الحسن فغلبوا الحارثيين وأسروا منهم عددا كثيرا [١] ، واحتز الجند رؤوس المقاتيل وأرسلت الى حضرة الشريف في الزهرا ، وبعد ذلك رأى الحسن راية في الأسرى فأمر بضرب أعناقهم وهم نحو خمسة وعشرين ، وعند ذلك ذل الحارثيون ونزلوا من الجبال على السمع والطاعة ، وسلموا ما طلبه الحسن من الحلقة ، وأنابوا الى الله من أفعال الشناعة ، ودخلوا في سلك الطاعة ، وجرت عليهم أحكام أهل الاسلام ، وفيها وقعت المراسلة بين الشريف وبين السيد العظيم شرف الدين بن أحمد مليك كوكبان ، على أن يدخلوا في الدعوة النجدية ويسألهم الشريف ويصون ديارهم من الترويه والتخويف ، لأن بلادهم محاددة لما قد أخذه الشريف من بلاد الامام ، فقبل الشريف منهم ذلك ، وتهاديا كما هى العادة بين الملوك من المراكب والملابس ، ولما علم الامام المنصور بما جرى بين شرف الدين والشريف ظهر منه ما يدل على الحركة على أهل كوكبان ، فطلبوا من الشريف رجلا من خاصته صحبة جماعة من الجند ليعلم الامام ، ان الحركة عليهم بعيدة المرام ،

---

(١) راجع صدى تلك الغزوة وما أفرزته في الادب الشعبى في كتابنا الادب الشعبى في الجنوب ص ١٠٢ جـ ٢ .

فساعدهم الشريف الى المطلب وجهز ابن أخيه السيد الماجد حيدر بن ظافر بن محمد وفي صحبته جماعة من العسكر وعصابة من أهل الخيل فوصلوا الى كوكبان [1] وتلقاهم السيد شرف الدين أحسن تلقى وقام بهم أتم قيام وغزت خيل الشريف من أطراف كوكبان الى أطراف بلاد خولان ، ولم تظفر بطائل وما أعجل ما سارعت علة الحمام بالشريف المذكور حيدر فمرض نحو أسبوع وانتقل الى جوار الرب الغفور ، فكتب شرف الدين الى الشريف الخبر بموت الشريف حيدر ويطلب أميرا آخر فوجه اليه رجلا من موالى الاشراف يقال له سعد يحيي نسبة الى سيدة الشريف يحيي بن محمد ، وعين معه عصابة من الخيل زيادة على الأولين ونفذ الى كوكبان وأدركته المنية قبل الأمنية ، وبقى الجند الشريفى أياما حتى أطمأن شرف الدين من أن يحصل عليه من الامام تحريك أو تسكين وفيها جمع عبد الوهاب بن عامر أمير عسير الجموع وخرج من بلده يظهر للناس أنه يريد صنعا وما وراءها من الصقوع فقلق لذلك خاطر الشريف وظن أنه يوارى بصنعا والا فانه يقصد بلاد الشريف ، فأخذ الشريف أهبة الدفاع حيث لم يشعر به ، وقال ان سلك الطريق الى صنعا تركناه وحاله ، وان تعرض لشيء من ممالكنا دافعناه بالسيف ومنعناه من الكم والكيف ، فوصل الى جبل (الريث) [2] معرفاً باللام مع التشديد للراك المفتوحة بعدها ياء مثناه

---

(١) جبل كوكبان من اشهر جبال اليمن الشقيق وهو على مسافة اربع ساعات عن صنعاء .

(٢) راجع حرف الراء من كتابنا (المعجم الجغرافى) .

تحتية وآخرها ثاء مثلثة وهم قبيلة تسكن جبلا شاهقا في أعالى جبال عتود ، فغزاهم بذلك الجمع وأخذهم بما أثاره من أسباب النقع ، وانصرف راجعا الى بلده فسرى عن الشريف ما كان يجده في خلده وفيها تتابعت الكتب من سعود الى الشريف يستدعيه لملاقاته وأيس أن يصل اليه الى نجد فجعل يبالغ في اللقاء الى مكة ، ورأى أنه بذلك قطع معاذير الشريف وأغلق عليه أبواب الحيلة ، والحال أن الشريف قد أكثر الاعتذار ونوع أسبابه بكلما تقبله العقول ويروق لأهل الاختبار ، ولم تنجح عند سعود المعاذير ولا أسكته ما تصل اليه من الدراهم والدنانير ، والشريف استوحش من الإلحاح وقال : عسى الغوير أبؤسا ، فترجح له ارسال السيد العلامة محمد بن عز الدين النعمى ، أحد الملازمين لحضرته ، وممن يتولى الأقضية بعقوته ، وأصحبه هدايا سنية وكتب كتابا أرق من النسيم ، وألطف من التسنيم ، وظن أن محمد بن عز الدين لا يعود الا بقبول المعذرة ، وازاحات ما يتوهم من كيل السندرة ، فوصل محمد بن عز الدين بكتاب معه من سعود معناه لا عذر من تلاقينا في مكة، ولا عذر في ذلك ولا مسامحة فيا هنالك ، فعين الشريف ابن أخيه الشريف الماجد ، الذى ان عد آلاف بواحد ، يحيي بن حيدر الحسنى وألقى اليه ما في نفسه وضميره وقال له اعرف ما الذي منطوى عليه سعود ، وتعرف الحقائق من كبراء النجود ، ورؤساء الجنود فان بقى للدراهم والدنانير مجال ، فنحن لا نبخل بالكثير من المال ، وان لم يبق لذلك مشرع ولا للجميل مرتع ، عدت الينا بالخبر اليقين ، وخبر جهينة بالصدق قمين ، فركب الشريف يحيي البحر الزخار وعبرت به المنشئات الكبار حتى وافى الحرم واشتغل بأعمال الحج ، وبعد تمام الحج لقى سعود ، وسمع

منه بروق ووعود وأعمل الافكار في الوقوف على الورود والاصدار ، واتفق بالشريف غالب بن مساعد أمير مكة فأخبره الخبر ، وأشار اليه بالمبادرة الى السفر ، فنفذ من حينه الى اليمن حتى اتصل بالشريف وألقى اليه ما فهمه من التخويف ، وأصدقه الخبر أن لا عذر أن يقصدك جنود سعود ، ويستولى على ما تحت يدك من البلاد إن وافقتهم الجدود ، عند ذلك عمل الشريف على الاستعداد ، من ذلك أنه صالح الامام على أن يرجع قطعة من بوادى المخا التى كان قد استولى عليها الشريف وبقيت تحت يد الشريف من حيس الى حد بلاد الشام ، على أن يكون يد الشريف والامام واحدة ، وان الامام يمد الشريف بما شاء من الاقوام ، والشريف يصدق العزيمة في قتال أهل الشام ، وهذا الباب من أعظم الأبواب التى كان يحذر دخول المكيدة منه ، ومن ذلك أنه أرسل ليام وجهزهم صحبة ولده الشريف أحمد ابن حمود على قبائل (عك) من (الزرانيق) ومن على جيلهم لأنهم كانوا خرجوا عن الطاعة وخشى أن يكاتبوا عبد الوهاب ، ويتوسعوا لطائفة من جنده في بلادهم فتعظم بذلك المحنة على الشريف ، فأخذهم الشريف أحمد بالجند اليامى وقتل منهم قدرا لا يحصى ، وأحرق بيوتهم ، وهدم معاقلهم ، حتى صاروا كأمثال الناس ، لما لقوه من شدة البأس . ومن ذلك أن الشريف استبطن الشريف منصور هل هو باق على العهد ، أو قد توجب عنده الرد ، فوجده باق على العهد محاربا لجند سعود بالجد والجهد ، واستبطن الشريف على بن حيدر فوجده على العهد ، حاملا لوائه ، وعامرا بنائه ، وسعود منصرفه من الحج أمر عبد الوهاب بن عامر بالتقدم على الشريف ، والاستيلاء على ممالكه ، وأمر أمير قحطان وأمير شهران ، بالنفير معه ،

وعين رجالا من خاصته يكونون مع عبد الوهاب ، ثم انه قدم قبل ذلك كتبا الى منصور ، وكتابا الى على بن حيدر يذكرهما بعهودهما له ويطلب منهما الانفصال عن حمود والميل الى عبد الوهاب فحين وصلت الكتب الى من هى اليهما تململ منصور عن الجواب ، فأشارت اليه انامله وقلمه برد الجواب ، فأجاب جوابا يشتم منه رائحة الانقلاب عن موالاتهم وينادى على أنه الباع والذراع والعضد لعمه ، وأما على ابن حيدر فالذى بلغ أنه حمل الخطوط والخط الذى فيه التصريح بالامارة ووصل بها الى الشريف بالزهرا وعرضها عليه ، فلما قرأها وجم وظن أنه قد صاد صيده ، وكاد كيده ، وبعد أن قرأها أرجعها الى علي وقال : أنت وذاك ، فقال له علي : سبحان الله لو كنت ملك اليها ما وصلتها اليك ، ولا عرضتها عليك ، انما أردت بذلك طمأنينة قلبك ، وأمانة ما أنا عليه معك ، وهذه الكتب لديك فسجرها التنور أو أغرقها في سائلة (مور) .

فسرى عن الشريف ، وأبرقت أسارير وجهه ، وشكرها لعلي حتى مات وهو يشكرها وأجاب على سعود ما هو قريب من جواب منصور ، فانشرح من الشريف الصدر انشراحا ما عليه مزيد ، وأقبل على قتال عسير ومن والاهم منشرح البال وبقى ينتظر قدومهم عليه وتوجههم اليه وهذا في **أوائل سنة أربعة وعشرين بعد المائتين والألف** ، وفي شهر المحرم منها توفى القاضى العلامة الكبير النحرير أبو محمد على بن حسن بن محمد العواجى قاضى بندر اللحية ، وكان اماما في العلوم فذا ذكيا في المفهوم ، له اليد الطولى في فروع الفقه وعلم النحو والبيان وأصول الفقه ، وكان في أصول الدين شيخ وحدة ، لم

يبق في أيامه من يعلم هذا الفن مثله ، لا في صنعا ولا في غيرها ، وكان لطيف المزاج ، له أشعار أرق من تغريد الحمائم ، وألطف من هبات النسائم ، أخذ العلم عن مشايخ كبار وأخذ عنه كثير من أهل زمانه وأنا ممن أخذ عنه ، وقد استوفيت ترجمته فيما وضعته في تراجم أعيان القرن الثالث عشر ، وأثنيت عليه بما هو خليق بأكثر منه لا سيما الورع الذى قل أن يتحلى به غيره ، وقد استوفيت ترجمته فيما ذكرت رحمة الله وأكم نزله ، وفي هذا الشهر توفى الشريف الفخيم والملك المتوج العظيم ، رأس العصابة المحمدية وتاج المملكة الأحمدية ، عماد الدولة ، الذى له في كل هيعة صولة ، وفي كل معركة جولة ، أبو محمد يحيي بن محمد بن أحمد الحسنى رحمه الله تعالى ، مات عند منصرفه من الحج في بلدة قرية البيض من أعمال وادى جازان ودفن بها ، وكان شريفا سريا ، وملكا ضخما عبقريا ، ملك أعمال المخلاف السليمانى مرات متعددة بولاية الامام المنصور صاحب صنعا فحمد الناس أيامه ، وشكر العامة أنعامه ، ولبس الأشراف آل خيرات في أيامه أثواب الدعة ، وخرجوا بنائل جوده وعطاياه من الضيق الى السعة وكان يحب الجود وينفق الموجود ، وكان يحب العفو عن المجرم ويتجاوز عن خطيئة المسلم ، عمر المعاقل الحصينة ، واختط البقاع المتينة ، مدحه جماعة ومدحه جماعات من أهل زمانه بالاشعا الرائقة ، وحمدوه بالمدائح الفائقة ، وكان أبر الناس باخوانه اذا أساءوا أحسن اليهم ، وان احسنوا أمطر عليهم وابل جوده واهتن ، وجرى بينه وبين أخيه الشريف حمود أمور ما كان يحيي خليقا بشىء منها ، ومات والوحشة حاصلة بينهما ، وكل ذلك بسعاية أهل الحسد ، والله يتجاوز عن الجميع ، ومن انشاءات والدى بل الله ثراه في الشريف حين

اختـط لقرى الجهو و (الكدره) و (محبوبة) وغيرها بأعلى ضمد وهناه بقصيدة رائقة أولها :

مالا بلق الفرد أن يسمو مبانيك ولا المفاخر الا من معاليكا
يا أيها الملك الميمون لابرحت لك العناية فيما الله موليكا
أحييت بالعزم أرضا لا أنيس بها فأصبحت وهي من أزهى مغانيك
كانت مراتع وحش في حمايتها وها هي اليوم تحميها عواليكا
لا يسمع الصوت فيها غير صاهلة أو قارح الروم من بعد يناجيكا

وهي طويلة وفيها مدح يلين الصم ، ويستذل العصم ، وقد استوفينا ترجمة الشريف المذكور في وفيات القرن الثالث عشر ، والله ولى التوفيق والإعانة نعم ، وكان الشريف بعد أن أرسل ولده للشريف أحمد وأصحبه رجال يام وأمكنه الله من أخذ الزرانيق ومن على جيلهم كما قدمنا كتب الى ولده أن يبقى رجال يام في اليمن ويفرقهم في الثلاثة المخاليف كل مخلاف يكون فيه راية من رايات يام فعمل على ذلك ، وجعل راية مواجد في مخلاف زبيد ، وراية جشم في مخلاف بيت الفقيه ، وراية آل فاطمة في مخلاف الزيدية ، وأمرهم بالبقاء حتى يتبين أمر عبد الوهاب ، واقباله على هذه الرحاب ، وهذا في **شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤ هـ** وفي ذلك الشهر توفى الى جوار ربه تعالى ورحمته عالم الدنيا والمرجع لهذه الأمة في الحكم والفتايا قاضى الديار العريشية وابن قاضيها ، وامامها الذى أذعنت له العلوم من صياصيها ، شيخ الاسلام ومرجع الأئمة والحكام أبو محمد القاضى **عبد الرحمن بن الحسن البهكلى** كان اماما في العلوم يرجع اليه ، وهماما اذا أعضلت المشاكل يعول في حلها عليه ، لم يبق فن من فنون العلم الا

وله فيه اليد الطولى ، ولا عويص من المشكلات الا ويكون له في كشفه السابقة الأولى ، حكم بالحق ونشر العلم على الخلق ، وجمع بين القرى للضيوف ، والاقواء لطالب العلم الملهوف ، وعلى الجملة فقد ترجمته ترجمة تنيف على أربع صوافح فيما الفناه في وفيات القرن الثالث عشر ، فمن أراد التنزه في الرياض ، والكرع من معين عذب الحياض ، طالع تلك الترجمة في محلها ، وسيعلم أن وجود مثل ذلك الشخص في هذه الأمة من معجزات نبيها ، فيظهر حينئذ صحة الحديث علماء أمتي كأنبياء بنى اسرائيل رحمه الله تعالى وجعله من أهل الفردوس الأعلى بفضله وايانا آمين وفي شهر ربيع الثانى وصلت الأخبار الصحيحة عند الشريف بأن عبد الوهاب بن عامر قد برز الخيام ونادى بالنفير في كل من هو تحت امارته من جبل هاد الى وادى ريم سهلا وحزنا ، وأظهر أمر الغزوة ولم يوار بغيرها ، وما زالت العيون تصل الى الشريف ارسالا ، وفي خلال ذلك وصلت غازية أهل ركاب مطايا من قوم يقال لهم البقوم بالباء الموحدة وقاف بعدها واو وآخر الحروف ميم بصيغة الجمع ولعلهم من عتيبة القبيلة المعروفة وهم تحت امارة عثمان بن عبد الرحمن المضايفى العدوانى [1] نسبة الى

---

(١) عثمان بن عبدالرحمن المضايفى العدوانى من قبيلة عدوان القبيلة العربية المعروفة ، كان من رجال غالب بن مساعد ـ امير مكة ـ المقربين وصهره ، ثم وقع بينه وبين غالب ما وقع ففارقه مغاضباً في سنة ١٢١٧ والتجأ الى الدرعية فبايع الامام عبدالعزيز بن محمد الذى ولاه امارة قبيلته والقبائل التى حولهم فسار من الدرعية حتى استقر في قريته « العبيلاء » وكانت الدعوة قد استقطبت قبائل تلك الجهات =

عدوان القبيلة المعروفة من قيس عيلان ، وهو أحد الأمراء الكبار مع سعود ربما قاد المائتين من الألوف في بعض الوقائع ، نعم فوصلت الغازية الى ساحل بيش ، وكانوا يظنون أنه بقى في الناس بقية من الموالاة لسعود ولو في مثل أهل بيش والجعافرة ، واذا الامر يتبين لهم كما قيل : عضل والقارة ، فأدركهم الطلب من أهل صبيا ومخلاف بيش وسلبوهم الركاب ، وأرجعوهم القهقرى بصفقة التباب ومع هذا الحاصل فيهم من أهل المخلاف تيقن لعبد الوهاب أن كل من يرجى فيه

= فاجتمعوا حوله ، وكان الصلح الذى ابرم بين عبدالعزيز وغالب قد انتقض فصدرت اليه الاوامر بالاستيلاء على مدينة الطائف فاستولى عليها في نفس تلك السنة وانحدر بجيوش القبائل على ما حول مكة المكرمة ، واشترك مع بقية قواد الدولة السعودية حتى خضع غالب وبايع على السمع والطاعة .

وبعد ذلك ظل على امارة جهته ، ويشترك في الغزوات في الجنوب والشمال ، حتى غزا الحجاز « محمد علي » فأبلى احسن البلاء في قتاله حتى لحقته الهزيمة والاسر بعد معركة «بسل» فسامه غالب الخسف لما في قلبه عليه من الغيظ فاستلمه منه « احمد طوسون» وارسله الى مصر مغلولا بالسلاسل وبوصوله الى قرب « القاهرة » نزع من عنقه الاغلال واركب جملا يحيط به العساكر ، وضربت المدافع ايذاناً واعلاماً للناس بقدومه اسيراً حتى طلعوا به الى القلعة ، وكان وكيل محمد علي ورجال دولته في انتظاره فادخل اليهم فاخذوا في محادثته برهة وهو يجيبهم كما يقول المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى : بأحسن خطاب وافصح جواب ، وفيه سكون وتؤده في الخطاب ، وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ، ومعرفة مواقع الكلام . حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفاه على مثل هذا اذا ذهب الى استانبول يقتلونه ، وبعد ثلاثة ايام ارسل الى الديار الرومية فقتل هناك رحمه الله تعالى .

الموالاة قد شرب بكأس المعاداة ، ورأى فيه حلاوة الاستعذاب ، وما زال مقيما بمخيمه في طور السراة يجمع الجموع وينادى بالاستنفار أهل تلك الصقوع ولما ورد الى الشريف خبر خروج عبد الوهاب أمر بالنفير في أهل مملكته من بلاد على حميدة الى وادى ضمد ، وأرسل لولده أحمد بن حمود ورجال يام الذين في اليمن واستدعى من كان في اليمن من العساكر من غير يام ، هذا وهو مستقر بالزهرا ، ووكل استنفار أهل الجهة الشامية الى وزيره العلامة الحسن بن خالد ، فقام الحسن بذلك وضرب الخيام في قبلى أبى عريش ، وما زالت الأجناد تصل اليه والشريف يجمع الجموع بالزهرا حتى تحقق له خروج عبد الوهاب من بيته الى المخيم ، فبادر الشريف بالزم الى أبى عريش وصحبته الجنود من رجال يام وحى بكيل وقبائل اليمن وبعد وصوله الى أبى عريش أمر الحسن بن خالد أن ينفذ بمن بين يديه من الجنود الى صبيا ، وينتظر هناك لقدوم الشريف ، وكان الشريف منصور قد جمع أهل صبيا وأهل بيش وكل من كان تحت وطئته ، وبقى ينتظر قدوم الشريف ، والشريف استقر بأبى عريش أقل من أسبوع واذا قد وافاه الخبر الصحيح بنزول عبد الوهاب من عقبة مناظر بجنود تملأ الفضاء ، ويكون سببا لما يريد الله تعالى من القضاء ، وهم رجال عسير وشهران وقحطان وعصابة من عدوان أصحاب عثمان المضايفى ، أميرهم على بن عبد الرحمن المضايفى أخو عثمان جاءت طريقهم على الساحل ، وصحبة عبد الوهاب رجال من أهل الرأى والمشورة من أصحاب سعود بعثهم اليه يستعين برأيهم في الرأى، فحين تحقق للشريف ذلك أقبل يقود الجيوش ، ويزر زائر الوحوش ، حتى نزل بوادى صبيا في غربى الوادى بظاهر البلد ، والاخبار تترى اليه ،

والحقائق تتواتر عليه ، بأن عبد الوهاب قد أقبل بجنود تملأ الرحاب ، ثم نهض من صبيا وصحبته اجناده وأعوانه وقواده وقد اجتمع لديه نحو سبعة [1] آلاف من الرجال ونحو الثلاثمائة من أهل الخيل وهذا مجموع الجند الذي معه والذي مع العلامة الحسن والذى مع الملك العادل المنصور ، وما زال سائرا حتى خيم بقرية بيش في ظاهر القرية مما يلى (قرية سلامة) العرب وأناخ هنالك ينتظر قدوم عبدالوهاب ، وعبد الوهاب يمشى على التأودة والاناة حتى خيم في مسيل وادى بيش ، محل قريب من مطرح الشريف بينهما قدر ميل أو أكثر قليلا ، وبقى الشريف يقدم رجلا ويؤخر أخرى في القدوم على مطرح عبد الوهاب والانتظار في محله حتى يكون عبد الوهاب هو البادىء ، حتى بلغه خبر صح لديه أن عبد الوهاب أحكم المكيدة والخدعة في الحرب ، على

---

(١) ان قوة الجانبين تختلف الروايات في تقديرها كالآتى :
(١) صاحب نفح العود يقدر جيش عبدالوهاب بما يزيد عن عشرين الفا .
(٢) وابن بشر يقدرها بخمسين الفا .
(٣) صاحب مطالع البدور يقدر جيش عبدالوهاب بمائة ألف .
(٤) أما جيش حمود فيقدره صاحب نفح العود ٧٠٠٠ مشاة + ٣٠٠ فرسان ، ولم يقدره بن بشر بل وصفهم بجنود كثيرة من مرتزقة حاشد وبكيل وهمدان ويام .
(٥) قدر الشوكاني صاحب مطالع البدور جيش عبدالوهاب بمائة ألف وجيش حمود بسبعة عشر ألفا والذى نراه أن تقدير صاحب مطالع البدور بأن جيش حمود هو أقرب إلى الصحة كما أن تقدير ابن بشر لجيش عبدالوهاب هو يقارب الحقيقة ، كما أن ابن بشر يفيدنا أن هناك حملة بحرية ترافق عبدالوهاب غارت على مؤخرة حمود واحتلت مدينة جازان .

أن يركب سجوف الظلام ويسلك الحازة حتى يطرح على مدينة صبيا ، ويحول بين الشريف والرجوع الى صبيا ، ويريد بذلك اختلال ملك الشريف وتفريق قلوب أجناده ولا شك لو تم ذلك لوقع مراده ، ولكن الشريف ومن معه من القواد قلوبهم قلوب الاساد ، وأراؤهم عند المضائق لا تكاد تخطى السداد فعزم الشريف على ارسال طائفة من أهل الخيل في آخر يوم الأحد لعله ليلة الثامن والعشرين من **شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٤** ، وأراد الشريف أن تلك الجريدة من الخيل ستجر الحرب ، وتفتح باب الطعن والضرب، فنفذت تلك الغازية وهم من خيالة يام وغيرهم ولم يكن فيهم من كبراء الأشراف والأمراء أحد ، انما كان كبيرهم أحد عقال يام ، وحين أقبلت خيل الشريف على مطرح عبد الوهاب لحظهم خيالة نجد ، ورجال الجد والجهد ، فاعتلوا ظهور الخيل ، وأقبلوا عليهم اقبال السيل :

خيل كأمثال السعالى شزبا تعدو ببيض في الكريهة شوس

فولى أصحاب الشريف الأدبار ولم ينجهم سوى الفرار ،وحين وصلوا الى مخيم الشريف بتلك الصفقة الخاسرة ، كاد أهل المطرح أن يدخلهم الفشل ، ويعتقدون أن الصيب عقيب الوشل ، ولكن الشريف في كبراء الأشراف لهم دربة بالحروب وثبات عند تفرق القلوب ، وعند ذلك عزم الشريف على التكبير أول غداة على جنود الشام ، وقصدهم الى عقر الخيام ، فأصبح يوم الاثنين وقت الاشراق توجه الشريف ومن بين يديه ولم يكن همهم الا قصد الخيام والاستيلاء على من فيها من الأنام وأصدق الحملة ، ووصل المفرد بالجملة والتحم القتال ، وثبت الشريف على بن حيدر الليث الغضنفر والشريف

منصور والحسن بن خالد المشهور ، ومن هو مثلهم من اخوانهم الاشراف ، وانهزم عسكر الشريف ، وأول من انهزم رجال يام وقبائل اليمن الأعراب الذين هم قسم من الانعام ، ولم يلتفت الشريف الا ولم يبق عنده الا جماعة من أهل الخيل ، وقد صار هو ومن معه في مثل الدائرة من رجال عسير ، فاعمل الشريف السيف البتار وفعل هو وأولئك الرهط من أصحابه ما يذهب العار ، ويبقى لهم الذكر الحسن الى انتهاء الفلك الدوار ، وخرج من ذلك المضيق ، وقد أشرق أعدائه بالريق ، ثم توجه الى مخيمه فوجده خاليا مقفرا قد هرب الناس منه وهم لا يلوون على شيء فما وسعه الا اللحوق بعد الناس وكان في أخريات أصحابه يدب عنهم من لحق بهم من جند الشام ، وممن اشتهر بالتعقيب وراء الناس والدفاع الشريف علي بن حيدر ، وأخبرني بعض من حضر الوقعة من أهل الثبات انه كان في ذلك الموقف أمة واحدة يأوى اليه الضريع ويستنجد به الصريع وخيل النجود تحوم عليه وتمد الشطان الرماح اليه ، ولكنه أحب الموت فَجَبُن عنه أعداه ، وعادوا عنه وقد عرفوا منتهاه، ومداه ، ومن الله على المنهزمين في ذلك اليوم أن أرسل الله تعالى عاصفا من الريح أثار من الغبار ما حال بين الرجلين المتلازمين فلم يبق شيء من ضوء النهار ، وسلك الشريف وأكثر جنوده عند الفرار طريقاً غير الطريق التى كانت معتادة ، وأكثر الناس يقول أن سلوك الشريف تلك الطريق لم يكن عن قصد ، انما مع حصول العاصف تعذر معرفة الطريق وهذه الطريق التى سلكها الشريف أيكة ملتفة ، وأشجار مصطفة ، وكانت لطفا للفارس ، لأنه لا يمكن اللحاق فيها من العدو ، وحصل قتل كثير من أصحاب الشريف ، ومن أصحاب عبد الوهاب ، وممن عصف به ريح

الذهاب ، وتناولته رقاق المواضى والسنة الكعاب ، وقُتل الأمير الماجد الشهير الباسل عبد الوهاب بن عامر الرفيدى ، أمير هذه الجنود ، وقائد تلك البنود ، قتل عند حملة الشريف الى الخيام ، والذى تولى قتله جماعة من حى بكيل ومن ذو حسين بلغ والله أعلم ، وثم أقوال أخرى في تعيين القاتلين ، ولكن الروايات على ما قدمنا ، ولم يشعر أحد من رؤساء قومه بقتله في المعركة حتى وصل الشريف الى صبيا آخر يوم الاثنين لعله التاسع والعشرون من **شهر جمادى الآخرة سنة أربعة وعشرين بعد المائتين والألف** ، ولما حط بظاهر البلد من مدينة صبيا ولم يبق عنده من الجند الا اليسير جاء رجل الى الشريف منصور يخبره أن معه (مراية) من لباس الخيل وان صاحبها مقتول وانه استلبها من رأس حصانه بعد قتله فعرف منصور (المراية) انها مختصة بفرس عبد الوهاب ، وحيث أن صاحبها مقتولا فما هو الا عبد الوهاب ، فأخبر الشريف بذلك الخبر فسرى عن الشريف بعض ما يجده من وحشة الهزيمة ، وقال ان انجلت هذه المعركة عن قتل عبد الوهاب فكل أمر بعدها جلل ، لأن بقتل عبد الوهاب يختل نظام أهل الشام ، ولا يتم لهم بعد ذلك مرام ، ثم نفذ الشريف من حينه الى أبى عريش ولم يبت تلك الليلة الا بقرية (العقدة) بالقرب من أبى عريش وأما الشريف منصور فوصل الى صبيا صحبة الشريف ووجد أهل صبيا قد خرجوا منها هاربين ، وجميع القرى التى في بيش والساحل هرب سكانها حين بلغهم هزيمة الشريف وأصحابه ، واتصل الهرب بأهل مدينة أبى عريش والبوادى المحيطة بها ولم يبق بتلك الجهات من بيش الى أطراف حرض أحد من السكان بل تعلقوا بالجبال ، وأوغلوا بالاهلين والعيال ، ولما رأى منصور خلو صبيا من أهلها بادرالى اخراج

أهله وحشمه من الدار ونفذهم الى أبى عريش وبقى في صبيا هو وجماعة من العسكر انتخبهم من العسكر من قبيلة سحار وجمع ما يحتاج اليه من الزاد والأقوات والزانة وبقى ينتظر ما يرد من أخبار الشام ، وأما الشريف حمود فدخل مدينة أبى عريش وقت الاشراق وصادف قد هرب أهل أبى عريش ولم يبق الا أهل الديرة من الاشراف وجيرانهم ، وحصل مع من بقى عند الشريف من الجند الرعب ، أعظمهم قبائل يام فتفرقوا أيدى سبأ ، ولم يبق منهم الا من ثبته الله ولزمه الحياء ، وأما أهل الشام فانهم بعد أن دفنوا عبد الوهاب وغيبوه تحت الجنادل والتراب ، أقبلوا على جمع الرأى واقامة أمير منهم يصدرون ويوردون من عند رأيه . وفوضوا الأمر الى النفر الذين جاءوا من عند سعود لمشاورة (عبد الوهاب) وفيهم رجلان اليهما يرجع كل من الخيام ، أحدهما يسمى غصاب العتيبى بصيغة المبالغة والثانى محمد بن مقرن من رهط سعود ، فأقاما رجلا من عسير ورفعا الواقع الى عند سعود ، وطلبا منه تعيين الامارة لمن تكون وقد كان طامى بن شعيب الأمير الكبير في غزو البحر ولم يحضر الوقعة انما نزل **من جازان** بعد الحرب واتصل بأهل المطرح ، وبقى هنالك اليه الاصدار والايراد عن أمر الرجلين معاضد لمن رضيا من رجال عسير ، وحين اجتمع رأيهم عزموا على التوجه الى اليمن فنفذوا من معركة القتال الى صبيا وخيموا بظاهرها وعشروا بالبنادق تعشيرة بلغ من بعض الناس أنها سمعت من حرض مسيرة ثلاثة أيام ، لان القوم فوق العشرين الألف ، فرعب كل من سمعها من أهل أبى عريش وغيرهم ، ثم ناوشوا منصور الحرب وشمر لها عن ساق ، وكانوا لا يقفون منها على طائل الا أنهم خدعوه بأن بذلوا له العهود بأنه أمير بلدة وحفيظ

محتدة ، وانما طلبوا منه العهد في الموالاة ، وحصل له في مد الامل الامالة ، وأكثر الانخداع لمحمد بن مقرن لأن الشريف منصور قد عرفه حق المعرفة وسبق بينه وبين المذكور ما يؤمن معه الغوائل ، فأصغى الى قول ابن مقرن ، وساعده فيما طلب منه خطاب تطمين ما وقع منه الانضمام الى أهل الشام . وانه عين قفا سيكون للشريف في مستقبل الأيام وحين وصل العسكر الى الشريف ، وصحبتهم من الشريف منصور التعريف ، وجد في نفسه على منصور ، ولامه على الانخداع بأقوال الزور ، وبعد خروج الرتبة من القلعة طلبوا منه تفريغ جانب من القلعة يحلون فيه رتبة من أصحابهم ، وكأنه تلكأ من قبول ذلك ورأى أنه من مبادىء الاختلاف عليه فأفهموه أن الرتبة ستكون نظرها اليه وهو القائم بأمرهم وأمر البلد اليه ، ولما دخل الرتبة من عسير وقحطان الى القلعة جعلوا عليهم أميرا على العسكر بحكم النقيب على العسكر ، ولكنه ظهر منه الاستبداد وعدم الاحتفال بموارد الشريف منصور ومصادره ، ثم حكم ابن مقرن على منصور بالخروج معهم الى ضمد ومحاصرة من في القلعة ـ قلعة ضمد ـ وفي همهم انهم يملكون حصن ضمد كما ملكوا حصن صبيا ، ثم يتوجهون الى أبى عريش فنفذ صحبتهم الشريف منصور ، مكرها أخوك لا بطل ، لكن اقتضى الحال المسايرة فتوجهوا الى ضمد وخيموا بظاهر البلد من جهة القلعة ، وقد كان العلامة (الحسن بن خالد) قد وصل من أبى عريش الى ضمدلقصد حماية القلعة ومدافعة أهل الشام واجتمع عنده من أهل الرماية بالبندق في جماعة كثيرة ، فنصب أهل الشام الحرب وحملوا على القلعة مرارا ، وكان الحسن قد خندق على القلعة خندقا مانعا ، فاستمر الحرب عشرة أيام ، وكان أهل الشام قد استصحبوا مدفعا من

صبيا فكانوا يرمون به على الحصن ، وربما أثر الرمي في بعض الأحيان ، ولكن يعمره أصحاب الحصن في الحال ، وفي هذه الأيام ترجح لحشر القحطاني وقومه قحطان الغزو الى جهة اليمن ، وبقى في المطرح عسير وغيرهم ، فنفذ الى جهة (بنى شبيل) ما بين أبـى عريش وحرض ، ولم يقف على طائل ، ثم كر راجعا يريد المطرح الذى بضمد فوقع للشريف الخبر باقبال حشر ومن معه فنادى بالذى بين يديه من أهل الخيل والركاب من الأشراف وغيرهم ثم خرج بنفسه فضرب الخبت ينتظر اقبال حشر حتى التقى الحيان بمحل يسمى (الوحلة) غربى أبى عريش يضرب الى جهة اليمن ، والوحلة [١] بواو بعدها حاء مهملة ساكنة بعدها لام مفتوحة وتاء تأنيث آخره ، فاصطدم الجيشان ودارت بينهم رحى الحرب واختلط الفرسان وحمى الوطيس وأخذت السيوف والعوالى مأخذها ، وكانت الدائرة على (حشر) وأصحابه للشريف وأصحابه فلم ينج الا حشر ومن بقى من قومه الا الفرار بعد أن قتل منهم مالا يأتى على الانحصار وعاد الشريف مؤيدا منصورا ، وقد هون عليه هذا الواقع ما كان في نفسه من الانكسار في وقعة بيش ، وبعد عودة حشر من اليمن نادى كبراء القوم بالشداد من مطرح ضمد ، ورجعوا الى الشام وجاءت طريقهم على صبيا ، واختلف الناس في سبب شدادهم فكثير من الناس يقول إن الشريف منح كبراء القوم بشىء من المال فأظهروا لعامتهم انا فعلنا ما فعلنا وما يمكن منا التعدى الى اليمن الا بعد الجواب من سعود بتعيين الأمير الذى

(١) الوحلة : قرية شمال بلدة المضايا ـ في الوقت الحاضر ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافي لمنطقة جازان .

بعد عبد الوهاب وعاد معهم الشريف منصور الى صبيا ، وأشار عليه محمد بن مقرن وغصاب بأن يكتب الى سعود ويظهر التوبة ويتظاهر بالموالاة ويرسل المكتوب مع ابنه محمد بن منصور وهم كتبوا كتبا الى سعود أبانوا فيها المعاذير لمنصور ، فنفذ الولد وبقى منصور في صبيا في القلعة يتردد منها الى الحسينية القرية التى اختلطها بوادى نخلان حتى ظهر له بعض الأيام من الرتبة وأميرهم ما أزعجه من الاقامة بينهم فنفذ الى الحسينية واستقر بها ، وكان قد عمر بها معقلا حصينا وقد عمرت بالسكان فاستقر بها ، وكان ينتظر قدوم ولده من عند سعود بن عبد العزيز فان وصله جوابا شافيا وأرجع له صبيا وبيش والبلاد التى كانت بنظره ورفع يد عسير وقحطان عنها بالكلية ، فكان ربما انسلخ الى طاعة سعود ولو بابن عمه حمود ، وان وصل الجواب على خلاف المراد قلب ظهر المجن ، ووالى عمه الشريف حمود بما ظهر منه وما بطن ، فوصل ولده من الدرعية بخط عار عن المطاليب يتضمن شيئا من أقذاع الكلمات التي يتحامها العقلاء والكملاء ويستعملها الرعاع ، وهو أيضا منحصر يدل على عدم اتساع خاطره لمجاوبة الشريف منصور ، ولن يخاطبه بما تخاطب به الصدور فوصل الجواب وأحاط منصور بما تضمنه ، وعلم منه أن الأمر على خلاف ما كان يؤمله والشريف منصور من أهل الدهاء ومعرفة الأمور . صادق الحدس ، صحيح الفكرة ، وحينئذ كتب الى عمه الشريف حمود يتعرف ما هو عليه ويخبره أنه سيقدم اليه ويعرفه بما لديه فعاد الجواب من الشريف بما يطمن خاطره ويقربه اليه ، فشرع منصور في تحميل أثقاله من الحسينية الى أبى عريش ، ثم نفذ بعد أن لم يبق له طرف في الحسينية ، وأظهر

الشريف البشر لمنصور ووعده بالقيام والكفاية معه حتى يستعين على استنقاذ صبيا ويرجعها اليه ، وأجرى له من الكفاية ما يقوم بأوده ويكفيه مؤنه أهله وولده ، وأنشد لسان حاله مخاطبا أهل الشام بقول الشاعر : (١)

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن رام القلى متحول
لعمرك ما في الأرض ضيق على أمرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيئل
هم الأهل لا مستوع السر ذائع لديهم ولا الجانى لما جر يخذل
وكل أبى باسل غير أنني اذا عرضت أولى الطرائد أبسل

وأما جواب سعود على عسير فانه جواب لهم بما جبر لهم المصاب من قتل عبد الوهاب وشكر صنيعهم وجعل الأمير على كافة عسير طامى بن شعيب الرفيدى المتحمى أحد قواد عبد الوهاب ، وممن يشار اليه عند الأمور الصعاب ، وهو من قرابة عبد الوهاب في لحمة النسب ، فقام بالأمر أتم قيام ، فأرسل الى صبيا ومخلافها أمير من خواص اخوانه وصحبته عصابة من رجال عسير ، ونادى في أهل تلك الجهات بالامان والعفو عما كان ، واستقر ببلدة (طبب) من أعمال السراة ، وقد عهد اليه سعود ببذل الوسع في معاداة الشريف حمود ، والشريف حمود مستقر بأبى عريش يتتبع الغوائل لاستنقاذ صبيا ومخلافها ، وما زالت غوازى أهل الشام من قحطان ومطير وعسير

(١) الابيات لـ « الشنفرى » من لاميته المشهورة .

وشهران وعتيبة تترى على بلاد الشريف وما يتعدون عن أبى عريش وتخرج اليهم فرسان الأشراف وأهل حضرته والحرب سجال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

وقصر الشريف نظره عن الشهيج الى افتتاح الأمصار ، وطلب الزيادة من شيء غير هذه الديار ، بل قنع بما في يده من البلاد ، واشتغل بالذب والحماية عنها كما تذب عن فرائسها الاساد وملأ المدن والبنادر بالعساكر ، وقواها بالامداد المتكاثر ، وجعل على كل بلاد عاملا يركن اليه ووبخه بكلام اذا تذكره العامل اختار الموت دون مخالفة ذلك وجعل المشارفة على أعمال اليمن لابن أخيه الشريف الماجد الواحد اذا عد الألف بواحد العماد قرين الاسعاد يحيي بن حيدر الحسنى فاستقرت الأحوال ولم يحصل على الشريف اختلاف من أحد منهم ، وفي شهر رمضان من هذا العام انتقل الى جوار ربه الملك العلام ، المولى الامام بن الامام ، خليفة عصره ويوسف مصره ، أمير المؤمنين ، المنصور بالله رب العالمين ، على بن أمير المؤمنين المهدى ، العباس بن المنصور : شعرا :

سادة شيدو المعالى وساسو ، بالعوالى والمرهفات الناسا
ملكوا ملك جدهم وأبيهم فأزالوا عن العباد الباسا

كان الامام المنصور غرة في جبين الملك ، وقام بأمر الامامة في اليمن سبع وثلاثين سنة ، فخب ووضع ، وخفض ورفع ، وقد استوفيت سيرته من أول دعوته الى وفاته فيما كتبته من الوفيات لأهل القرن الثالث عشر ، وذكرت بعوثه وسراياه وما اشتملت على مدته ، وكانت

وفاته ليلة الأربعاء سادس عشر من رمضان ، وقام بالأمر بعده ولده المتوكل على الله أحمد بن أمير المؤمنين المنصور ، وقد استوفيت سيرته أيضا في ترجمة وفاته فيما كتبته من وفيات الأعيان ، ثم أن الشريف أكد ما بينه وبين الامام المتوكل على الله من العهود على اجتماع الكلمة في معاداة سعود والتزم الامام للشريف بارسال الجنود ، والشريف التزم بما يحتاجون اليه من النقود ، فبعث الامام الى الشريف رهطا من حى بكيل أكثرهم من ذوى محمد وفتح للشريف الباب الكامل ، فوصل اليه العساكر فما زال حى همدان بكيلى ويامى وحاشدى يصلون اليه ، وفي شهر القعدة انتقل الى جوار ربه تعالى الشريف الماجد أحد كملاء الاشراف ورؤسائهم الذى يرجع الى رأيه عند الاختلاف ، ظافر ابن محمد الحسنى ، وكان شريفا حسن الشمات واسع المعروف محله معمور بالضيوف ، حسن الاخلاق بساما في وجوه الرفاق رحمه الله تعالى ، وفي هذا الشهر انتقل الى جوار ربه تعالى الأخ القاضى العلامة أحمد بن عبد الرحمن البهكلى رحمه الله تعالى وكان فاضلا كثير الخوف من الله سبحانه كثير الرجا في رحمته مواظبا على الطاعات القولية والعلمية ، ورزق البر الكامل بأبويه ، وله توجه الى أفعال الخير وله مشاركة في كثير من العلوم رحمه الله تعالى ، وفي شهر الحجة من هذا العام جمع الشريف جندا من حى بكيل ومعهم الفاف من غيرهم وأمر عليهم الشريف محسن بن على الحازمى ، وجعل النظر على الشريف محسن للشريفين منصور بن ناصر وعلى بن حيدر ، وان محسنا لا يستبد بتدبير الحرب ولا غيره الا بما يقوله الشريفان أما منصور فلكون هذا التجهيز نصرة له ، وقد وعده بعض رؤساء أهل المدينة بأنه متى أقبل بجنده انحازوا الى جانب من البلد وانضموا اليه في معاداة

عسير وبعض منهم التزم له أن يكف خيره وشره عن الطائفتين ، ولم يبق مع عسير الا بعض من الناس ، فوجهه الشريف مع الجند ولعل يتم له ما وقع من السياسية فبعث ليتملك البلد في أقرب وقت ، وأما الشريف على بن حيدر فأرسله الشريف مع القوم لكونه واحد كألف أن أمر عنا ، وفي اختباره بتدبير الحرب ومعرفة الطعن والضرب ، فتوجه القوم من حضرة الشريف في آخر الحجة في صحبة من ذكرنا من الاشراف وصحبتهم من خيالة الشريف كثيبة نافعة ، فلما قاربوا صبيا طرحوا بمحل يسمى (الباحر) وقد تقدم ضبطه في أول هذه الورقات ، وأرسل الشريف منصور لأهل صبيا الذين وعدوه على الانضمام وأذاهم أهل الكوفة مع الحسين السبط ، وتعللوا بمن معهم من الحرم والصبيان ، فأمرهم منصور أن يدخلوا نساءهم وصبيانهم الى الجامع الكبير ليصطانوا من المعرة ، ويسلموا من المضرة ، ويخرج الرجال إليه ويتظاهروا بخذلان عسير ويعينوا عليهم ، ثم بقى ينتظر وصول الرجال ، أو خبر تشد له الرحال فلم يقف على غير الاياس ، فتوجه بمن بيده من حي بكيل الى صبيا . وثار الحرب بينهم وبين عسير في أطراف البلد مراماة بالبنادق ، ثم توجه قوم الشريف الى قبلى البلد مما يلى الغرب فدخلوا هنالك ، وطائفة دخلت من الغرب حتى وصلوا الحافة الغربية ، وكان في تلك الحافة حسين بن محمد عسمينة رجل من أهل صبيا الغالين في سلوك طريقة بن عبد الوهاب ، غلوا الحقه بالخوارج أهل النهروان لفرط عاميته ، فكان يسرع الى تكفير الناس ، وكان مقربا عند عسير بسبب هذا الغلو وكان قد جمع رجالا في بيت له حصين ، فباشر الذين دخلوا من أصحاب الشريف من الجهة الغربية بالحرب ،

واستمر الى دخول الليل ، وكانت اليد والدولة لأصحاب الشريف ، فدخلوا قلعته وأرخصوا سلعته ، واستأسروه وأسروا جماعة من قومه ، ولما أوصلوهم الى الشريف منصور قرت عينه ، لأن ابن عسمينة قد أقذع في الكلام وما هو بأهل شيء من ذلك ، وانما الجهل آفة العقل ، وأما الطائفة التي توجهت من قبلى البلد فوقع الحرب بينهم وبين أهل المعاقل القبلية حتى اتصل الحرب بمن في الجامع ، ولعل من كان في الجامع من رجال صبيا حصل منهم رمى على بعض القوم ، فحمل القوم على الجامع فأغلق ما فيه من الأبواب فجعل جند الشريف يرمون من (الكوات) على من في الجامع ، وقد اجتمع فيه أكثر نساء أهل صبيا وصبيانهم ، الا من شاء الله ، فقتل ممن في الجامع خلق كثير أكثرهم من النساء والرجال وقليل من الصبيان ، وضج الناس بالصياح وماج بعضهم في بعض ، حتى رحمهم بعض رؤساء جند الشريف فكف عنهم الضرب وخرج من بقى منهم في أمان حتى أوصلهم المطرح ، وحين رأى الشريف هذا الواقع ساءه ما حصل ولكن سبق السيف العذل ، وانما اجتمع هو والشريف على بن حيدر على فك النساء والصبيان من أيدى العسكر والمن عليهم وساعدهم أمير الجند محسن بن على ، وأما عسير الذين في القلعة فما وصل اليهم شيء من الضرب وفيهم أمير يسمى محمد بن أحمد المتحمى أحد كبراء عسير من عشيرة عبد الوهاب ، وعنده في الدار نحو المائة من رجال عسير فأقام الاشراف بظاهر البلد ينتظرون أو لعله يتم شيء من أمر السياسة فلم يتهيأ شيء من ذلك شعرا :

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقع

ووصلت اليهم أخبار بتوجه طامى بن شعيب وجنوده الى صبيا غوثا لمن في القلعة من قومه ، وعند ذلك اختار الاشراف الرجوع الى حضرة الشريف بمن بين أيديهم من الجند وفي صحبتهم حسين بن عسمينة ووزيره عبده أبو القصب المأسوران بيد بكيل كما قدمنا ، ولما وصلا الى أبى عريش أفتى العلامة الحسن بن خالد بضرب عنقيهما ، ولم يتأول في ذلك بجهلها فضربت عنقيهما ولقيا ربهما ، وبعد وصول الأشراف من صبيا وصل طامى بن شعيب وصحبته نحو ألف نفر من رجال عسير وأقام بصبيا أياما ثم عاد الى بلده ، وهذا في أول شهر محرم الحرام عام **خمسة وعشرين بعد المائتين والألف** ، وفي هذا الشهر توفى صديقنا الشريف الماجد على بن ناصر بن محمد الحسنى أخو الشريف منصور من علة تقادم عهدها وبقيت تعاوده في أكثر الأوقات حتى كانت سبب موته ، وكان شريفا عجيبا ذكيا سريع البادرة حسن المنادمة والمحاضرة ، له شغلة بمطالعة الكتب العلمية والتواريخ والرسائل العلمية ، وله تطلع الى معرفة أيام العرب ووقائعها ، وكان كثير الشغف بكتب الشيخ صالح المقبلى ، ويميل الى العمل بما فيها ، وبالجملة فهو من صالحى أهل البيت رحمه الله تعالى ، وفيه أو في الشهر الذى قبله توفى الشريف الحسيب النسيب ، كامل الرأى صادق الحدس في القرب والنأى محمد بن حسن بن أحمد الحسنى ، كان تحفة من تحف الزمان ، وزينة يتجمل بها ذلك الأوان ، كثير المطالعة في كتب التاريخ وأيام الناس حسن المذاكرة فيما يحصل فيه الاختلاف والالتباس ، وكان صحيح الفكرة فيما يترقب وقوعه ، جيد البنية اذا التقت عليه في الحادثات جموعه ، رحمه الله تعالى ، **وفيها أرسل** الامام المتوكل على الله الى الشريف بجمع من توابعه ، من توابع صنعا

وعبيد القصر ليكونوا رتبة عند الشريف في معاقله حسب ما وقع عليه الشرط في الموالاة واجتماع الكلمة على المباينة لسعود والمعاداة ، فتلقاهم الشريف ، وأسكنهم كل معقل منيف ، وأجرى لهم ما يقوم بأودهم وأسبغ عليهم من الأنعام ما أنساهم بلدهم ، ثم أرسل الامام طائفة من حى بكيل حسنى ومحمدى قدرهم فوق الألف فيهم رؤساء من آل الشائف وذو حسين وعقال ذو محمد من جميع أفخاذهم ، فتلقاهم الشريف وقرر جوامكم ... - واستقبلهم في حضرته لما يترقب من أهل الشام ، وغوازى أهل الشام تترى الى أطراف بلد أبى عريش ، ويحصل بينهم وبين أصحاب الشريف القتال ويرجعون الى الشام حتى كان في شهر ربيع الأول وصلت الأخبار الى الشريف بأن عثمان بن عبد الرحمن المسمى المضايفى أمير حجاز مكة جميعه الى أن يتصل بعليا هوازن وسفل تميم قد خرج من بلده الطائف يريد غزو اليمن عن أمر سعود وقد جمع من جنود ما يقارب خمسة آلاف وفيهم أهل ركاب وأهل خيل ، ولما بلغ الى الشقيق انضم اليه طامى وقومه وقدرهم زهاء ثلاثة آلاف ، وانضم اليهم من الفاف شهران وغيرهم نحو الألف ، وتوجه الجميع الى اليمن وكان طريقهم غربى أبى عريش بنحو فرسخين ، وهم الشريف بالاعتراض لهم وان يحول بينهم وبين اليمن فلم يبلغه خبر مضيهم الا وقد نفذوا ، وبقى يترقب رجوعهم وهم غزو الى وادى مور وانتهو الى مورد الماء الذى يرده أهل اللحية ، محل يسمى العيسية ، نسبة الى رجل يسمى عيسى من أهل الجامعى ، وأخذوا ما وجدوه هنالك من الأنعام ، ووجدوا هنالك رجالا قد ابتدوا في عمارة حصن عن أمر الشريف ، فظفروا بهم وقتلوهم الا من شاء الله ، ثم عادوا لا يلوون على شىء ولم يتهيأ لهم دخول اللحية ولا

دخول الزهرا ، ولما وصلت الأخبار الى الشريف باقبالهم من اليمن خرج بنفسه ونادى فيمن بين يديه بالنفير ، فنفر معه أكثر الأجناد من بكيل وغيرهم من أهل أبى عريش حتى وصل الى محل غربى الوحلة ضاربا الى جهة اليمن في محل أفيح فيه بئر أو بئران لا يقوم ماؤها بالجند الكثير يسمى (بربر)[1] بزنة جعفر ، ببائين منقوطتين من أسفل تحتيتين بينهما راء ، فأمسى الشريف بذلك المحل والناس يأتون بعده ارسالا ، ثم ارسل رجلين من خيالته يقريان الخبت ويرقيان الكثبان الطوال ومتى ظفروا برؤية القوم عادوا اليه بالخبر اليقين ، فمضى الفارسان في قصص القوم ضاربين في الخبت من أخريات الليل الى ضحوة النهار واذا هم بمذاكى القوم يقصون لهم فرأى القصاص أصحاب الشريف وتناجوا فيما بينهم ، فأخبرهم أصحاب الشريف أن الشريف في ظل الكثيب عند الاراكة والكثيب الا وعس ، وخيالة أهل الشام قالوا : هذه جيوش المسلمين فاذا بقى لكم مفر ففروا ولما وصل أصحاب الشريف اليه وضحوا له الخبر ، بما قال أولئك النفر ، فقال شعرا :

نحن بـنـو الحرب فما بالنـا نعافها هيهات من أن تعاف
نحن الأولى ما عرفت خيلنا يوم الوغى الا طعان المصاف

---

(١) « بربر » : شعب جنوب قرية المضايا بنحو كيلا واحدا ـ تقريبا ـ ويستدل من اغفال المؤلف لاسم قرية المضايا ، واكتفائه بذكر اسم « بربر » فقط ان المضايا لم تكن قد أنشئت ، وإلا لأشار اليها ، وقد جرت العادة ان المعركة تنسب الى البلدة أو القرية المشهورة او المعروفة القريبة من موقع المعركة ، كما سبق أن ذكر ـ قبله ـ قرية « الْوَحْلَة » . اما ان مكان سكنى الحكاميه فالمعروف ان مساكنهم كانت في جهة « الزهبين » ولا تزال به قبور اسلافهم ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافى، الطبعة الثانية .

ثم التفت الشريف الى الجهة التى القوم فيها فرأى سيلا جرارا ، وبحرا زخارا أمواجه العتاق الضمر ، وملاحته الصناديد الغمر ، فصف الشريف رجاله ، وثبت محل الخيالة ، وانتظر قرب القوم ، فلما هبطوا القوم من الكثيب الاوعس ، والعقنقل الأملس ، ضربوا الخيام ، وقالوا بذلك الرغام ، فانبهر جند الشريف ، حين شاهد المخيم الكثيف ،والشريف يزأر زئير الليث الهصور ، وقد وزع أهل الخيل على رأى على بن حيدر ومنصور ، وبقى الشريف وجنده يزاولون الظلال ، ويتفيأون تحت الاراك الطوال ، وحين أكل أهل الشام الطعام ، وشربوا من الماء ما أطفأ الأوام ، وهموا بالشداد ، ولكنهم خشيوا يتبعهم الشريف في الاخريات فيظفر منهم في القاصيات ، وربما ان حملوا بكلهم فيهزم في قلبهم ، فترجح لهم القدوم على الشريف ، وصفوا صفوفا ملأت الفضاء ، والشريف حمل حملة الفحول ، وصدم ذلك الجيش المهول ، وما أسرع من انكسار خيل الشريف وتوليهم الادبار ، ولم يبق فيها الا الشريف على بن حيدر والشريف منصور ينادون فيها يا كتائب ارجعى ، وهيهات بعد الانهزام رجوع ، واحاطت خيل الشام مع كثرتهم ووفرتهم بالشريف وعشيرته فتمثل في تلك الحال بقول ابن الاطنابة الأنصارى :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك ان طلبت بقاء يوم سوى الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الحياة بمستطاع

ثم خلص الشريف وعشيرته من بين تلك الجنود بعذ طعان اندقت له صدور العوالى وتثلمت منه النصول ، وأما رجال بكيل حسنى

ومحمدى فانهم دخلوا في الاراك وحمى الوطيس هناك ، ولم يستطيع أهل الشام الوصول بغير الرصاص ، واستمر الحرب بين بكيل وأهل الشام من وقت الظهيرة الى بعد المغرب ، وكان حى بكيل نحو أربعمائة ، وأهل الشام نحو أربعة آلاف بندق الذين قصدوا لقتال بكيل وكانوا يتناوبون حتى انجلت المعركة عن نحو مائة قتيل من ذو محمد ونحو ثمانين مقتول من ذو حسين ، وأما أصحاب الشريف ، من أهل أبى عريش والالفاف فعالم كثير ، لأنهم انهزموا بانهزام أهل الخيل فلحقهم أهل الشام ، وأذاقوهم كأس الحمام ، وقتل من أهل الشام قوم كثير ، ومن أجلهم سعود المضايفى بن عم عثمان المضايفى ، وهو أكبر رؤساء عثمان منزلة عند عثمان كمنزلة طامي عند عبدالوهاب ، وقتل الفقيه يحيي بن شائع العسيرى أحد صناديد رجال عسير ومن عليه عندهم المعول والتعويل فيما يحتاج اليه عند الحرب من التدبير ، وقتل من رؤساء أصحاب الشريف أخوه الشريف منصور ابن محمد من أعيان الدولة وفرسان الصولة معدود من خاصة الملك ، وكان منقطعا الى أخيه يحيي بن محمد ما علم منه مخالفة مدة بقاه في الولاية ، وكان يميل الى أولاد أخيه آل حيدر ، وينعم عليهم في أكثر ما يأتى وما يذر ، فلما توجهت الجهة الى الشريف حمود ، ونال من الملك ما بلغه حظه سعادة المحدود ، ولازمه الشريف منصور بن محمد وبقى معه في حضرته وكان من عادة الشريف حمود على عشيرته يحسن الى الرجال منهم ولو لم يكن له اليه حاجة ، وأكثر الأشراف في أيامه كانوا على هذا ، وقد خرجنا عن المقصود فأما الشريف فما غابت الشمس الا وهو بأبى عريش ، وكذلك كل من نجا من لعاب المنية السائل على ذوات الريش ، ومن عصفت به الريح ، فهو في تلك

الفيافى طريح ويبعثون على نياتهم ، وأما من بقى من بكيل ، فهم وصلوا في آخر الليل ، وقد أقاموا الحرب على ساق ، وسقوا أعدائهم السم الزعاق ، والشريف بعد وصوله بقى يلوم نفسه على الفرار ، ويتأسف على عدم ثبوت أصحابه في ذلك المدار ، وخطر في باله أن القوم يلحق بعده الى أبى عريش ، فأراد ترتيب المعاقل ، فأقبل عليه العلامة الحسن بن خالد وقال له يا سبحان الله لا تضيق ذرعا في هذا الحاصل ، فان هذا هو الفتح المبين ، حيث علم رؤساء سعود انك تلقاهم في الفيافى والقفار ، وتقاتلهم بمن بين يديك وليسوا منهم عشر المعاشر ، فان قتال اليوم قد أوقع الله تعالى به قلوبهم وقد انقلبوا الى بلادهم لا يلون على شئ ، وقد أطال الحديث بقصة الحديبية وتسميتها فتحا ، ولم يكن فيها الا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه من دخول مكة وضرب الهدنة ، فسرى عن الشريف ما كان يجده من الحرج وعد هذه المقالة من الحسن من حصول الفرج ، والقوم كانوا قبل لقيا الشريف انخزلت طائفة منهم الى حصن الشريف الذى في قرية (الجنة) واستولوا على ما فيه من العسكر ، وأمروا على أعناقهم السيف الابتر ، ثم أنهم بعد اللقيا بينهم وبين الشريف توجهوا الى الشام وانخزل رجال من عسير الى بندر جازان ، وكان فيها رجال من أصحاب الشريف فالتحم الحرب ودام القتال بينهم وبين رجال الشريف يوم وليلة ، ثم استولى عسير على القلاع واستأسروا من فيها من رجال الدفاع وأحرقوا الحصون وانصرفوا الى الشام وقد بلغوا مرامهم يهرعون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ، وبعد انصراف الغزاة الى الشام أقبل بن شكبان أمير بيشة ومعه ما ينيف على ألف ، ولما وصل الى صبيا بلغه أخبار الملحمة

وتفرق الناس الى ديارهم ، فهم أن يأتى بما لم يستطع الأولون ، وعزم على أن يضرب الخيام بظاهر البلد من مدينة أبى عريش ، ونفذ من صبيا على هذه النية ، ولما بلغ وادى ضمد خامره خوف المنية ، وتعذر عليه بلوغ الأمنية ، فطلعت خيله الى قريب أبى عريش وعادوا ، ثم انصرفوا الى بلادهم ، والشريف بعد وقعة (برب) شرع في تجهيز من بقى من حى بكيل ، وأعطاهم عطاء اذا سمع به السامع يقول هذا من قسم المستحيل ، وسلم جومك المقاتيل وواسى أهاليهم وأولادهم في بلادهم بما يجبر المصاب ، ويهون عليهم مرارة الصاب ، ونفذوا من حضرته مثقلى الظهور وفرا وشكرا ، وفي هذه المرة بعد وقعة (بربر) غزا بنفسه غزاتين ، أحدهما انتهت الى أطراف صبيا واستاق قومه شيئا من النعم وخرج اليهم رجال عسير الذين هم في حضن صبيا[1] وشبت الحرب وانجلى عن سلامة الاعقر بعض الخيل ، والغزوة الثانية الى وادى بيض ، بفتح الباء الموحدة من أسفل وسكون المثناة التحتية بعدها ضاد معجمة كجمع بيضة ، وبينه وبين أبى عريش قدر مرحلتين[2] ، في طريق الساحل مما يلى بلاد الجعافرة ، وعبث أصحابه بقتل من وجدوه ، حتى اخبرنى من حضر

---

(١) حصن صبيا هو قلعة صبيا المعروفة في وسط البلدة القديمة وظلت باقية مع تهدمها الى العقد الثامن من هذا القرن واستعمل بعض احجارها في بناء الجامع وبعد ذلك ازيل ما بقى من انقاضها وبني في موقعها مجمع المدارس الثلاث التي في جنوب شرق « السوق » .

(٢) المسافة بين ابى عريش ووادى « بيض » مائة وعشرين كيلاً .

الوقعة أنه اجتمع نفر كثير من أهل الخيل على قتل رجل يقول : ربى الله ولم يتركوه ، والذى عليه دين الاسلام ترك قتل الباغى والخارجى اذا لم يقاتل واستاق الشريف وقومه من أطراف بيض نعما كثيرة ، ثم انصرف راجعا في الطريق الذى سار فيها ، ولحقه جهد جهيد . وقاسى تعبا كثيرا لبعد المسافة ومخافة اللحاق من أهل ذلك المخلاف ، ولم يغز بعدها بنفسه ،وبينما هو مستقر بتخت ملكه أبى عريش في آخر شهر رجب أو أول شعبان وافاه الخبر الحقيقى بأن الأمير الكبير طامي ابن شعيب المتحمى قد جمع جموعا واسعة ، واستلحق بالنفير أهل البلاد الشاسعة ، وانه يقصد الشريف في عقر داره ، ثم بلغ الشريف ان طاميا انما يوارى بأبى عريش ليكون هم الشريف مقصورا على النظر في أحوال أبى عريش عما سواه والا فمقصد طامى اللحية والحديدة ، فأرسل الشريف ابن أخيه الكامل الباسل وأمره بالمسارعة الى بندر اللحية ، وأصحبه عصابة من أهل الخيل والركاب وكان في اللحية عسكر مرتبون في المعاقل من رجال يام وغيرهم ، فنفذ الشريف لا يلوى على شئ حتى قطع المسافة في يوم وليلة ، وكانت طريقة آخذة في الشرق عن طريق طامى ، لأن طاميا وقومه ضربوا الساحل ، وأسرعوا في المشى قصد أن يأتوا البلد على غرة ، فسبقهم الشريف يحيي بن حيدر وتعهد المعاقل وزودها بما تحتاجه من الماء والطعام والرجال ، واستقر بقية يومه ، وفي الليل وصل طامي بن شعيب الى ظاهر البلد فضرب الخيام ونشر الأعلام ، وفي صبيحة تلك الليلة حمل رجال عسير على البلد فما كان أسرع من أخذها والاستيلاء على كثير من معاقلها الا معقل أو معقلان في أطراف البلد تركها العدو لعدم الجدوى في تملكها فبقى الرتبة التى من قبل الشريف فيها ،

ولكنهم لا يجدون شيئا في الدفاع عن البلد وأحاط رجال عسير بالدار التى فيها الشريف يحيي بن حيدر ومن معه والمذكور هو طلبة عسير لأنهم يعتقدون أن له في غرس العداوة بين الشريف وسعود اليد الطائلة ، وانما حرب بيش انما نشب عن الكلام الذى ألقاه الى الشريف حين بعثه رسولا الى سعود ، فبالغوا في الاحاطة بداره ، والكشف عن عواره ، ورأى أنه ان بقى في الدار ، طال عليه الحصار وانقطع عليه الماء الذى عليه المدار ، فركب البحر الزخار ، وانتظر في المرسى الى آخر النهار ، ولم ير للعود تأثير ولا لالقاء بالنفس وجه يختار ، وسافر به السفن حتى وصلت به الحديدة فتلقاه عاملها بالرحب والامتاع ، وواساه في هذا الحادث بما استطاع ، وطامى ومن معه من الجند أقاموا باللحية خمسة أيام ، حتى أتوا على ما فيها من الحطام ، وكان الشريف حمود بعد ارساله يحيي بن حيدر غوثا لأهل اللحية جمع من عنده من الجنود وأمر عليهم العلامة الحسن بن خالد والشريف الباسل علي بن حيدر الحسنى ونفذوا الى اليمن يجدان السير ، ويبالغان على الحرص على دخول اللحية قبل حصول الضير ، فوصلا الى الزهرة وقد سبقهم سيل السراة وسمعوا صوت البنادق والمدافع قبل أن يصل اليهم الخبر ، مشافهة ، فركبا من حينهما ووصلا الى (نعمان) مورد الماء لأهل اللحية ، بينه وبينها قريب من فرسخ ، فلقيهم ضعفاء أهل البلد مسلوبين الاستار ، قد غشيتهم الوقائع الكبار ، فأصدقوهما الخبر ، وعلما عند ذلك أن لا سبيل الى الدخول الى البلد ، لا سيا وقد خرج منها الشريف يحيي ولم يبق بها ممن يعتد به أحد ، فرجعا الى مور وأقاما بها حتى نفذ طامي ومن معه من أهل الشام ، وقد سارت اللحية أثر بعد عين ، وعبوسا بعد ابتسام وكانت

منزلا طلق المحيا ، فعادت موحشا صعب المرام ، ووقع بين علي بن حيدر والحسن بن خالد منافسة بسبب نسبة الحسن وأعوان الشريف التقصير من الشريف يحيي في الحماية والمدافعة ، وتأول له أخوه على ما بدى له أعذار ، التى لن تقبلها العقول ، ولا يأتى منها تثريب بمعقول شعرا :

ولـكـن عـادت كـانت قـديما كلام الـنـاس فـيـمن فل جيشه
الـيـــه يـنـسـبـون الـذل اما تسـلـطن حـلـمه والحظ حسه

والشريف يحيي من كملاء الرجال ، وممن يعانى الحرب ويلاقى صناديد الأبطال وله معاذير جمة في هذه القضية ، الا أن الشريف ومن تبعه قل أن يقبل المعاذير ولا يكل الامر الى المقادير ، لا سيما فيمن هو من رؤسائهم في حكم الأمير ، فما يرضيهم الا أن يفتح الله عليه ويفوز بالقدح المعلى ، أو يهلك في ذلك المعرك أهون من أن يتولا ، وما زالت هذه القضية تزرع الاحن بين الشريف وابن أخيه الشريف يحيي حتى انتهى الأمر الى ما سنذكره ان شاء الله ، وبعد رجوع طامي الى بلاده وجه الشريف نظره الى تحصين الحديدة ، وعمارة ما كان خرب من معاقل اللحية وبقى يترقب غوائل أهل الشام ، وفي هذه الوقعة مدحه بعض شعراء صنعا وهو القاضى العلامة الفصيح المصقع وجيه الدين عبدالرحمن بن يحيي الانسى رحمه الله تعالى بقوله :

لعمرك ما الليث الذى هولوا به ولـكنما الـلـيث الهصور حـمودُ
لـه غـابة شـبـوا بمشـتجـر القنا كما يـبـتـدى منها النهوض يعود
الى لبوة الحرب التى عمقت لدى سواه ، وأمست وهى منه ولود
فأشبلت الأسد الضوارى التى يرى لها جثمات حـولـــــه ونهود

وبرثنة السيف الجراز ونابه سنان طرير الحافتين حديد
وقمصانه هذى الدروع وبيضها قلانسهُ بيض الثياب وسود
فيالك ليثا خادرا كل خادر اذا كان يوم الروع منه يحيد
حمى الغور حتى لا يباح بهيعة لها بين أمواج البحار هديد
وبين شناخيب الجبال لها صدى كما جلجلت بين السحاب رعود
وغزو كولغ الذئب في أثر غارة مع الصبح يفنى يومها ويبيد
فما بين (بيش) والحصيب فخيله مدى الدهر ما جفت لهن لبود
فقل لبقيا النهروان لقاكم بن صاحب يوم النهروان فهود
لقاكم شجاع مستحث وصفته سماع ، ورأى العين فيه يزيد
أخو غمرات ينجلين بضربة وقد خدرت بالضاربين زنود
فلا تفرحوا أن نلتموا منه غرة تسوق بكم تحت الحفا وتقود
لبيت الفقيه الزيلعى توثبا يرى الفرسخ الكعبى فيه بريد
فعثتم بها اغفالة الحافظينها وكم ضيعت بالحافظين حدود
كما عاث في زرع الحدائق غفلـ ـة النواطير في أطرافهن قرود
فلا تحسبوها ديدن ؟ فهو حيثما كرهتم لكم أخرى الزمان يعيد
يعدَّ لطاميكم شراب بن عامر وعثمان لم يحضر عليه ورود
أبا أحمد بالله أشهد حلفة على برها أهل الصلاح شهود
لقمت مقاما لو تزايلت عنه أو تطأطأ قليلا بالقيام قعود
اذا لسمعنا راغيا في الحديث كـ ـا الذى سمعته في القديم ثمود
خذوا آل موسى الجون عقداً نظمته كبار لآلى سمطهن قصيد
يعفى قديماً رقة ابن هتيمل[1] على شرفا المخلاف منه جديد
مدحت به هذا الشريف أميركم كلام لصبح الصدق فيه عمود

---

(١) قاسم بن علي بن هتيمل شاعر المنطقة في السابع الهجرى - راجع كتابنا « القاسم بن علي بن هتيمل » دراسة وتحليل .

على وده لا رفده أصل نظمها وانى لامجاد الـرجـال .. ودود
فقوموا لها ان انشلت عنده فقد يـقـوم بـاحماس الرجال نشيد
فدتك الأعادى يابن بطحاء مكة ومـدتك مـن عـون الالـه جنود

الى هنا انتهى ما وقفت عليه من نفح العود ، وهذا التكامل من السنة السادسة والعشرين فأقول :

تكملة نفح العود

دخلت سنة ست وعشرين بعد المائتين والألف فيها بعد هذه المنفقات سعى السيد محمد بن علي ينتهى نسبه الى الامام القاسم ، وهو صاحب مدينة صعدة في اصلاح ذات البين ، وتلافى بعض ما وقع وأجلب عليه الحين ، بين سعود والشريف وتم السداد ، والصلح على ما يراد ، بأمور محكومة ، ودفعات من المال معلومة ، وتزحلقت يد الشريف عن صبيا والمخلاف ، وكان العامل لها من جهة نجد ، وبعد تمام الصلح اطمأنت البلاد واستقرت الأحوال والعباد ، والتفت الشريف الى تخت مملكته بجأش ثابت وقدم أرسخ من الثوابت ، تركع بين يديه الاشراف والملوك وتزهو اسمه المنابر والصكوك ، وهذا كله بعد أن وقعت بينه وبين أهل نجد ما سمعت من الملاحم الكبار التى تصك المسامع وتعمى الأبصار ، فحمى بلاده ، وأعانه الله على القيام بمراده ، وأذاق أولئك في حربهم السم الزعاق ، ورقم السيف على صحائف المملكة بالدم المراق :

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل داهر منه في القلل

ودخلت سنة **سبعة وعشرون بعد المائتين وألف** وكان فيها اختطاط الشريف لأرض « مختارة » في أعلا وادى مور[1] وبنا بها قلعة مشيدة الأركان على ذلك الجبل ، وهو الذى سماها بهذا الاسم واختار

(١) في جبل قبيلة بنى قيس غرب « حجه » على مسافة ساعتين منها في اليمن الشقيق .

سكناها على سائر بلاده مدة من الزمن ، وجعل لها ضربية يتعامل بها الناس ، وقد كان يتعامل الناس بضربية له عليها رسم أبى عريش ، وهذا الشريف حمود هو أول من جعل من أهل هذا البيت ضربية يتعامل بها الناس في مملكته وغيره ممن سلف من أهل بيته لا يتعامل الناس في بلادهم الا بضربية أمام صنعا لأنه أول من استقل بمملكة هذه الجهات ، وغيره من سلفته مملكته مستقاة من أئمة صنعاء وجعل أيضا ضربية أيضا برسم الزهرة ، ولم يزل التعامل بتلك الضربية مدة ثم جعل غيرها كما هو عادة الملوك في كل زمان ومكان ، وكان جعل ولده الشريف أحمد بن حمود ضربية باسم زبيد أيام عمالته باذن والده ، وجرى التعامل بها في جميع ممالك والده ، ودخلت سنة **ثمانية وعشرين بعد المائتين والألف**(١) فيها كانت وفاة الأمير الكبير **سعود بن عبدالعزيز**(٢) ، بعد أن ذوخ البلاد وقهر بأوامره العباد فسبحان

(١) صحة وفاة الامام سعود كما وضحه ابن بشر في كتابه (عنوان المجد) طبع وزارة المعارف سنة ١٢٢٩ هـ وأكد ذلك محقق الكتاب الشيخ عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ في ص ٢٢٥ .

(٢) الامام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله ولد سنة ١١٦٥ في بلدة الدرعية اخذت له البيعة بولاية العهد في سنة ١٢٠٢ هـ وجددت له البيعة في اليوم الذى اغتيل فيه والده وذلك في العشر الاول من رجب ١٢١٨ ، وصفه ابن بشر ـ باليقظة وبعد الهمة والهيبة .

— معلوماتــه —

أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نحو سنتين ثم كان مع اشتغاله بمساعدة والده وقيادة الجيوش يلازمه في كل فترة يكون فيها بالدرعية مجالس دروس الشيخ حتى أصبحت له ملكة في الفقه والحديث والتفسير والتوحيد . =

— كيف يقضي يومه —

يصلي الفجر جماعة في المسجد ثم يعود إلى بيته فإذا طلعت الشمس يخرج إلى مجلس العلم الذى يلقى فيه ابناء الشيخ الدروس فيتصدر المجلس ويستمع للدروس التى تلقى ، كان يجلس إلى جانبه عبدالله بن الشيخ محمد وهو الذى يتولى القاء الدرس فإذا انتهى الدرس ، نهض إلى مجلس الحكم وأقبلوا عليه الناس ورفعوا إليه حوائجهم ومظالمهم ، فينظر في كل ذلك حتى يتعالى النهار ويصير وقت القيلولة ، فينهض من مجلسه ويدخل إلى أهله إلى أن تحين وقت صلاة الظهر ، فيخرج إلى المسجد فيصلى الظهر جماعة ويفتتح الدرس ويتولى الدرس امام مسجد الطريف أو القاضى عبدالرحمن بن خميس امام مسجد القصر ، ثم يتكلم سعود ويحقق كلام علماء مفسرين فتمتد إليه الأبصار وتصيخ الأسماع وكان عذب اللسان فصيح البيان .

فإذا انتهى قام إليه أهل الشكايات وطلاب الحاجات من الحاضرة والبادية ويكون كاتبه عن يساره فيشرح بما يأمره وبعد ساعتين تقريباً يدخل إلى قصره ويجلس في مجلسه الخاص ويأتى الكاتب ويكتب الاجابات على كل ما يصل إلى الامام وذلك بإملاه وأمره ويمكث إلى أن تحين صلاة العصر فينهض للصلاة جماعة .

أما بعد صلاة المغرب فيجتمع الناس عنده داخل القصر في سطح مسجد « الظهر » ويأتى اخوانه وبنو عمه وخواصه لا يتخلف أحد منهم في جميع الثلاثة المجالس مع جمع كثير من أهل البلدة والوافدين ثم يقرأ في صحيح البخارى ويتولى القراءة سليمان بن عبدالله بن الشيخ إلى وقت العِشاء فيصلى العشاء ثم يدخل إلى قصره .

امتدت امارته من سواحل الخليج إلى شواطئ البحر الأحمر وجنوباً إلى اليمن وشمالاً إلى العراق وصحراء سوريا وكانت الدولة في عهده يضرب بها المثل في الأمان والرخاء والتجارة .

— وصف الرحالة الاسباني لموكب سعود — في الحج

قال على بك : (ان الوهابيين الذين كانوا قد خيموا بعيداً جداً أخذوا يقتربون وعلى رأسهم الملك سعود والقائد أبى نقطة ورأيت بعد ذلك جيشاً مؤلفاً من =

من تفرد بالبقاء ، وحكم على غيره بالفناء ، وقام بالامر بعده ولده الأكبر عبدالله بن سعود ، وكان سعود من رجال الدهر صرامة وبسالة ولاحظته السعادة في كل حالة ، وقد رأيت[1] تاريخا حفلا للعلامة

= خمسة واربعين ألف يسير أكثر افراده يركبون جمالاً يرافقهم ألف جمل تحمل الماء والخيام والحطب والعلف تلاهم مائتا خيال ترفع بيارق على رأس الرماح) إلى أن قال : وقد لاحظت سبعة أو ثمانية بيارق بين راكبي الجمال بدون طبول ولا أبواق .

وجميع الجيش ومن يرافقهم في ثياب الاحرام وقد تعذر علي تبين سعود ... إلا أن شيخا جليلاً ذا لحية بيضاء طويلة يتقدمه العلم الملكى الأخضر منقوشة عليه كلمة الشهادة بأحرف بيضاء ضخمة وتبينت أحد أبناء سعود من شعره الطويل المنسدل ، وكان ولداً في السابعة أو الثامنة من عمره أسمر اللون يرتدى قميصاً طويلاً أبيض محاطاً بحرس خاص ممتطيا جواداً أبيض رائعاً ، عليه لبادة بدون ركابين مغطاة بقطعة من القماش الأحمر الموشى الذى نثرت عليه نجوم ذهبية .

هذا موجز عن حياة الامام سعود تغمده الله برحمته ، توفى سنة ١٢٢٩ في الدرعية .

(١) ان صاحب التكملة من مواليد سنة ١٢٢١ ونحن هنا في سنة ١٢٢٨ أى ان عمره سبع سنوات والضمير في (رأيت) للمتكلم ومن غير المعقول أن يكون صاحب التكملة وهو في السابعة من عمره كتب التكملة في حال انه يعترف ان كتاب (نفح العود) كان مفقوداً وانه بعد سنة ١٢٧١ ألف كتابه المسمى « الديباج الخسروانى » يذكر ملوك المخلاف السليمانى ألمَّ فيه بأخبار حمود وغيره وبعد ذلك عثر على كتاب نفح العود موجود بدون مقدمة ووقف صاحبه فيه إلى سنة ١٢٢٥ .

فعمل المقدمة للكتاب وأكمل مجريات الحوادث من سنة ١٢٢٦ إلى سنة ١٢٣٣ .

فهل تكون هذه الجملة هى من كلام المؤلف البهكلى نفسه وان التكملة هى من بعد سنة ١٢٢٨ هذا ما أدع حكمه للقارئ الكريم .

ابن غنام من علماء الحنابلة ترجم لسعود ووالده والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وذكر أيامه وما اشتملت عليه سيرته من الوقائع والقلاقل وانتهى ملكهم الى تخوم العراق ، وملأت غزاياهم سائر الآفاق ، وهو تاريخ كبير اشتمل على فنون من التواريخ لأيامهم وعقائدهم وما جريتهم وسيرتهم ، وكانت ابتداء دولة آل سعود في جهة اليمامة المسمى الدرعية ونجد الى أن أغلبوا على أكثر جزيرة العرب من حدود سنة **ستين ومائة وألف** الى سنة **ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف** وزالت دولتهم على يد محمد على باشا صاحب مصر من جهة سلطان الروم[1] ، والملك الدائم للحى القيوم ، وفي هذه السنة لم يزل المتوكل

---

(١) لقد قامت الدولة السعودية ١١٥٧ ـ ١٧٤٤ في عهد الامام محمد بن سعود المتوفى سنة (١١٧٩ هـ ـ ١٧٦٥ م) بعد أن أمتد سلطانها وشملت الدعوة الاصلاحية الكثير من بلاد نجد فخلفه ابنه عبد العزيز بن محمد في سنة (١١٧٩ هـ ـ ١٧٦٥ م) الى سنة (١٢١٨ هـ ـ ١٨٣٠ م) وامتد سلطانه من مشارف اليمن جنوباً الى صحراء سوريا وبادية العراق شمالاً ومن الخليج شرقاً الى البحر الاحمر غرباً مع بوادى الحجاز ما عدا المدينتين المقدستين ، وخلفه الامام سعود الذى انتهى عهده بوفاته سنة ١٢٢٩ هـ وشمل سلطانه علاوة على ما سبق المدينتين المقدستين وبعض المرتفعات الجنوبية اليمنية وما تبقى من تهامة اليمن الى بوادى المخا والي باب المندب .

وفي سنة ١٢٢٦ هـ نضجت المؤامرة التى حاكتها تركيا بمساعدة بعض الدول الاستعمارية التي هالها قيام تلك الدولة العربية الفتية ودعوتها الاصلاحية التى بنت الانسان العربى المسلم على نسق ما تم في الصدر الاول فعمد محمد على بالتحرك للقضاء على تلك الدعوة في سنة ١٢٢١ هـ إلا ان المراجعات والمداولات =

على الله أحمد بن علي العباس أمام صنعا يبعث العساكر لمناجزة أجناد الشريف وما زالت المناجزة من يحيي بن علي سعد متولى حجة بأمر امام صنعا والاجناد اليه كل وقت نازلة وكان ذلك باب الخلاف بين الامام والشريف الذين في زبيد مع أن العامل بها من طرف الشريف ، وكانت خاتمة الأمور وقعة مختارة وهى في **سنة تسعة وعشرين بعد المائتين والالف** وكان من خبرها أن المتوكل جهز جيشا جراراً من بكيل لما بلغه استقرار الشريف في مختارة ، ولما سمع الشريف بقدوم ذلك الجيش وفيهم الأسود الضارية من همدان الذين هم صناديد الصدام ، عند الحرب العوان ، لم يزل يجمع الجنود ويستلحق القبائل من كل مكان ، وعنده أبطال الاشراف ، وصفوة الصفوة من العبد مناف :

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمسا وخلت وجوههم أقمار
واذا زناد الحرب أخمد نارها قدحوا بطرف الأسنة نار

وحين بلغه انهم طرحوا بالمحلات القريبة منه ، وكان في حسبانه أنهم لا يستعجلون بالشر فلم يشعر الا بأصوات البنادق ، فخرج

= والتجهيزات أخذت وقتاً طويلا ولم يتم الغزو للحجاز الا في سنة ١٢٢٦ هـ وانتهت بسقوط الدرعية في ١١ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ هـ .

بعد معارك وحروب دامت سبع سنوات ـ تقريبا ـ وهكذا تغلبت القوة على الحق وانسدل الظلام من جديد على شبه الجزيرة وطويت تلك الصفحة المشرقة وانحسرت تلك الدولة العربية والدعوة الاصلاحية الاسلامية .

بالجيش بأهبة لها أساليب يرجف لها فؤاد (شبيب) لا جرم وقائدهم داهية في سربال ، وقارعة يقوم بها قيامه الأبطال ، شعرا :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد

وانقسم أهل الخيل الى قسمين قسم يقدم فيه الأسد الغضنفر والبطل المشهور الشريف على بن حيدر ، وطائفة مع السيد المقدم الغضنفر الذى لا يهاب الحمام العلامة الحسن بن خالد ، والشريف في باقى الاجناد فتاقلبت الفئتان وتخالفت بالطعن والضراب الشجعان ، وما زالت سعير الحرب حامية ، وأحوال الفريقان متكافئة الى أن جاءت صولة أصحاب الشريف في ذلك المقام ، وخفقت له بريح النصر الأعلام وأثخن أصحاب الامام في أصحاب الشريف جراحات وجرح هو نفسه وأصيب كبار الأشراف بجراحات لها السلامة كالشريف على بن حيدر والشريف العلامة الحسن بن خالد والشريف حسن بن بشير وغيرهم ولله در القائل :

ومن ظن من أن يلاقى الحروب وأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وعقرت نحو الأربعين من الخيل لأصحاب الشريف لأن جند الامام غالبهم من بكيل وهم أثبت الأربعين ولا يكاد رميهم يخطىء لما هم عليه من ثبات الجنان ، ووقع من أصحاب الامام عدة مقاتيل من أسحاب الشريف الخيالة ، طعنا بالرماح ، وضربا بالصفاح ، وقتل في تلك المعركة السيد الماجد ، محمد بن خالد ، أخو الشريف الحسن بن خالد ، وغيره من سائر الأجمد ، شعرا :

نحن بنو الموت فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

وتراجعت بعد ذلك الفئة الامامية الى مطرحهم وقد أرخصوا الدماء ، وحين رأى الشريف أن شوكة تلك الفئة قوية ، وربما يحصل منهم مع معاودة الحرب الأذية جنح الى رأى محفوف بالسداد ، وفيه بلوغ المرام ، على قول أبى الطيب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

فدس عليهم في جنح الظلام من يوصل اليهم البراطيل التى كم انتفع بها من عليل وانتفع بها كم من غليل ، فلبثوا بعد ذلك جملة أيام ، وقوضوا من مطرحهم الخيام واضربوا عما توجهوا اليه من جهة الامام والسلام ، وكان ذلك فرجة للشريف ساعده عليها الحظ المنيف ، وبعد هذه الوقعة أرسل الشريف للسيد الماجد محسن بن على الحازمى [1] ، وكان اذ ذاك بمدينة أبى عريش ، ولما وصل الى حضرته جهزه بجيش كثيف الى بلدة حيس ، ومع وصوله الى جهة حيس انفتح باب الحرب بينه وبين يحيي بن على سعد المقدم ذكره من

---

(١) محسن بن على بن عز الدين الحازمى من رجال عهد حمود ابى مسمار ، وممن اسندت اليه مهام قياديه ، له تعلق بالادب ودربه في السياسة بعثه حمود في اثناء حصار ابى عريش مع قريبه حسن بن خالد الى صنعاء في رمضان سنة ١٢١٧ ولا زال يتولى الاعمال الادارية والقيادة الى ان قتل في سنة ١٢٢٩ في جهة « زبيد » .

جهة امام صنعا وجرت بينهم مناوشات متواصلة بالحرب وملابسة بالطعن والضرب ، وفي آخر وقعة أصابت السيد محسن بن على رصاصة كان فيها ازهاق روحه وخلاصه ، وكانت تلك المعركة قبلى بلاد حيس عند جبل الكولة ، بآلة التعريف بعدها واو ساكنة ولام وهاء تأنيث ، وكان هذا السيد من أماجد الرجال ، وأكابر الابطال له العقل الكامل والدهاء ، واليه في حسن السياسة المنتهى ، وهو ممن يتعلق بالادب والعرفان ، وله بالعلم المام يميزه على أبناء جنسه من الاقران ، وكان يرسله الشريف حمود في العظائم ويركن اليه في الأمور المهمات ، وما توجه لقصد الا أتمه الله على يده ، وقد أطلعت له على أشعار دلت على لطف طبعه وحسن المعيته ، رحمه الله تعالى ، وفي هذه المدة وقع التبرم على الشريف من الاشراف ، ورأوا أنه لم يعاملهم في سيرته بالانصاف ، ولله در القائل :

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

وعاملهم بما ليسوا أهلا له من الأبعاد ، واستمرت الوحشة بينه وبينهم الناشئة من مكائد الحساد ، وهكذا الدهر ممزوج بالانكار ، ولله در القائل :

ومن تفكر في الدنيا وبهجتها اقامة الفكر بين العجز والتعب

لا سيما مثل البطل الهزبر الشريف على بن حيدر وأخوه الشريف الماجد يحيي بن حيدر وابن عمهما الشريف منصور بن ناصر ، مع أن هؤلاء ذروة تاج المجد الباذخ وعصابة دائرة تهامة ذات الفخر

الشامخ ، لا غرو فهم فرع تلك الدوحة الحسنية وشعاع متصل بتلك الهامة الهاشمية ولله در القائل :

من الأولى غير زجر الخيل ما عرفوا اذا تعرف العرب زجر الشاه والعكر
جهال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

خصوصا مثل الشريف على بن حيدر ، فهو من أطعم الاساد ، ورأى الصعاد اذا همهم مالت الآساد عن طرقه ، واذا غضب خلع هياكل الطاعة عن عنقه :

وصول الى المستصعبات براية فلو كان قرن الشمس ماء لا ورد

وله العناية التامة بالشريف أيام مناجزته لأهل نجد ، وكان أحد أركان المملكة التي وقع بها الحل والعقد ( ) [1] وهم من جميع حالتهم على صفا ، وما زالوا منكرين للجفا حتى دخلت سنة ١٢٣٠ فأودع ابن أخيه الشريف يحيي بن حيدر دار الاعتقال بمدينة الزهرة آخر يوم من شعبان ، فخرج الشريف على بن حيدر وفي صحبته الشريف منصور بن ناصر . وغيرهم من أولادهم ومن لاذ بهم من الاشراف أرباب الكمال ملتهبى الانفاس . مخاطبين نفوسهم بقول أبى نواس :

ومن كان غير السيف كافل رزقه فللذل فيه لا محالة جانب

---

(١) هكذا في الأصل .

وتوجهوا نحو الشام بقلوب مكلومة ، وقلوب مسمومة ، مما أصابهم من الشريف وكانوا حقيقين بالاكرام والتشريف ، وأنشد لسان حالهم :

لا تحسبنَّ ذهاب نفسك موتها ما الموت الا أن تعيش مذللا
سافرتكن كسيف سُلَّ فبان في متنيه ما أخفى القراب واخملا

وكان منتهى سيرهم الى مكة المشرفة ، واتفقوا هناك بالقائم بتلك الجهة حسن باشا وهو كما بلغ رجل كامل العقل ذو رأى وتدبير وخبرة تامة بأمور الدولة السلطانية فتلقاهم بأحسن القبول ، بعد أن بثوا عليه شكواهم وطلبوا منه النصرة لما هم بصدده لأجل يبلغون غاية المأمول ، فأسعفهم بالمطلوب وبذل لهم من النفائس كل مرغوب وحسن الاقامة عنده أو يختارون لهم موضعا يكون لهم الاقامة فيه والنزول ، بينما تفرغ الأجناد السلطانية لمناجزة أهل الدرعية الموجهة من طريق مخدومه الباشا محمد على صاحب مصر ، وكانت قد توجهت الأتراك لمناجزتهم وقد صار نجم أهل الدرعية في سقوط ، وشامخ عزهم في هبوط ، فاختاروا أن يكون في (حلى بن يعقوب) النزول ، وتوجهوا من عنده مجبورين الخواطر منشرحين الصدور ، بعد أن قرر لهم عن طريق عامل القنفذة ما يقوم بكفايتهم وكفاية أتباعهم فطاب لهم الحال ، وألقوا عن عواتقهم عصا الترحال ، وانتظروا ذلك الموعد الذى وقع به بلوغ المآل . وفي شهر شوال توجه الشريف من مختارة الى جهة الشام ولم يدخل الى أبى عريش بل طرح في قرية (الجربة) وهى قرية قريبة من أبى عريش وهى بالجيم المكسورة بعدها باء موحدة وهاء تأنيث وكان

أهل جبل شرقي المدينة العريشية اسمه (سلا) [1] بلفظ الفعل الماضى من السلو ضد الحزن ، وكان قد رأى منهم الشريف بعض خلاف وتعدى على حدود مملكته الشرقية والأطراف فقصدهم بجموعه الكثيرة وعساكره المنصورة ، وطرح تحت ذلك الجبل ونازلهم مقدار خمسة أشهر ولم يبلغ منهم أمل لأنه جبل شامخ لا يهتدى أحد الى الطلوع اليه لتوعره وضيق مسالكه ، وقد كان قدم الى طلوع ذلك الجبل جماعة رئيسهم السيد ناصر بن حسين الحازمى فلما بلغ أثناء الجبل بدرهم من فيه بالرمى بالرصاص والحجارة فولوا منهزمين وتشتتوا في تلك الشعاب وقتل السيد ناصر بن حسين وكثير من أولئك الجند وصاروا طعمة للنسور والذئاب ، فلما وصل الخبر الى الشريف عظم عليه ذلك الأمر ولم يكن عنده غير عساكر غالبهم من تهامة وجماعة من همدان وكان عنده ولده الشريف أحمد في زبيد عساكر يقضى بهم الغرض في هذا الشأن فاستدعاه الى حضرته وهو اذ ذاك عامل زبيد ومع وصوله اليه بمن صحبه من الرجال حماة الحقائق عين معه طائفة من بكيل وأمره بالتقدم معهم الى المضائق ، فرقوا ذلك الجبل الطويل ولم يعطلهم عائق ، بعد أن عاينوا من أولئك الأمر المهيل ولكنهم أصدقوا اللقاء وحيوهم بما في أجواف البنادق ، فما ثبتوا أهل ذلك الجبل الا ساعة حتى استولى الشريف أحمد ومن معه على ذلك الجبل وما فيه من

---

(١) « سلا » جبل يطل على بلدة العارضة ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافي المنطقة جازان ـ .

صامت وناطق ، وأخرجوا بيوتهم وأشجارهم ، وقتلوا منهم جماعة ، وأسروا ثلة ومن نجا منهم تفرقوا في تلك المواضع :

وأضحوا كأنهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

ورجع الشريف أحمد الى مطرح والده وعلى رايته تباشير الفتح والسعادة وعن ميامنه وشمائله تلوح ، فسر والده عند ذلك وأقبل الشارد والوارد من أهل ذلك الجبل وغيرهم وبذل لهم الأمان ، ودخلوا في سلك الطاعة وخلعوا رداء العصيان ، وبعد ذلك توجه الشريف الى أبى عريش ثم الى (مختارة) ، وفيها كانت وفاة الوالد العلامة الهمام أمام البلاغة أحمد بن حسن البهكلى ، كان رحمه الله تعالى في صدور الحكام ، والرجع في المشكلات للأنام ، وقد استوفيت ترجمته في (**الديباج**) **وهو والد مصنف** (**نفح العود**) الذى هذا ذيله ، وفيها كان وصول محمد على باشا الى مكة المشرفة من مصر بلد ولايته بجنود تملأ الرحاب ، ويبلغ عثيرها لكثرتها عنان السحاب ، من كل مجرب في الترك للحرب العوان ، وممن لا يهاب عند ملاقاة الهيجاء للضرب والطعان ، وبعد وصوله الى مكة المشرفة توجه لملاقاته أهل نجد حيث بلغه عزمهم الى أطرف مكة المشرفة فبادر بالوصول اليهم قبل الوصول اليه [1] ، وكان المقدم في جند النجديين طامى بن

---

(١) وصل محمد على إلى الحجاز في سنة ١٨١٣/١٢٢٩ وبعد وصوله الى مكة أصدر أوامره إلى : =

شعيب فأقبل وجنوده تملأ الفضاء تخفق البنود على رأسه حتى انتهى الى موضع في أطراف بلاد غامد وزهران اسمه (كلاخ) بكاف

= ١ ـ جيشه في المدينة بالزحف الى نجد.

٢ ـ جيشه في الطائف لاحتلال تربه.

٣ ـ جيشه الثالث بالتقدم الى ميناء القنفذة التي سبقت ان احتلته قواته في أول هذه السنة وطردها منها طامى بن شعيب شر طرده وغنم مدافعهم وخيلهم ولم يسلم منهم الا الأقل فلم تتوقف حملتا محمد على ـ آنذاك ـ على نجد وتربه، بل تقدم محمد على بنفسه الى جهة الطائف فخاض معركة « بسل » المشهورة ضد الجيش السعودي بقيادة فيصل بن سعود وطامى بن شعيب والتى انتهت بانتصاره واحتلال بلدة « تربة » ومنها تقدم على « رنيه » فاحتلها ثم احتل بيشه وتقدم الى بلاد غامد وزهران ولم يصلها الا بعد خمسة عشر يوما وبعد ما لاقى من المشاق والأهوال ما كاد يقضى عليه.

وهناك التقى بجيش يقوده طامى بن شعيب في كلاخ كره فهزم محمد على، وانما استطاع لمَّ شعث جيشه وقام بهجوم مضاد فقضى على جيش طامى الذى فرَّ الى عسير وقد فقد روح المقاومة وعزيمة الثبات وشعر بدنو زحف محمد على إلى عسير فانحدر بمفرده الى تهامة، فدخل حصنه بمسلية ثم توجه الى أحد النعامية في الدهنا راجيا منه اصطحابه الى حمود ابى مسمار، فأشار عليه بالالتجاء الى الجبال الشرقية فرفض فصحبه الى صبيا التي كانت بها حامية عسيرية الا أن وزير حمود حسن بن خالد علم بهزيمة طامى وفراره واستيلاء محمد على بلاد عسير فتقدم من ضمد الى صبيا وطرد الحامية العسيرية وبعث رعيلاً من الخيال للقبض على طامى فصادفته قريباً من صبيا فاقتادته أسيراً وبوصوله الى حسن بن خالد بصبيا كبله بالحديد وأودعه قلعة صبيا تحت حراسة مشددة وبعدها وصلت كوكبة من فرسان محمد على من عسير لمطاردة طامى والقبض عليه وعلمت أنه سجين عند وزير حمود في صبيا فدخلت صبيا وطلبت تسليمه لها وعادت به الى محمد على في عسير الذى أرسله الى مصر وأمر بقتله هناك.

مضمومة وآخره خاء معجمة ، فوقع بينهم في ذلك الموضع التصاف ، واشتجروا بالهنديات وتخالفوا بالقنا الرعاف ، وكانت معركة عظيمة طحنت فيها رؤوس وذهبت فيها نفوس ، وكانت الدائرة على طامى بن شعيب وأصحابه فولوا منهزمين ، والأجناد التركية بعدهم بالطرد مجدين فلما وصل طامى بن شعيب بلده طبب ، بوحدتين محركتين قبلها طا مهملة من بلاد السراة ، وكان لما أصابه من الذعر لم يقر قراره ، ولم ير أن تقيه من شر أولئك الجند داره ، فارتكب الخطر بمفارقته أوطانه ، والبعد عن سكانه ، وركب جواده منفردا وتوجه هاربا الى جهة (مسلية) موضع في أعلى وادى بيش ، وهى بضم الميم وسكون السين المهملة واللام من السلو ، وكان قد اختط فيها محاريث للزراعة وبها معقل فيه عبيد له واماء ، ولم تطيب له الاقامة هناك فتوجه الى قرية (الحقو) في أطراف الجبال ، وهي بحاء مهملة مفتوحة وقاف بعدها واو ، ثم انعطف مائلا الى جهة المغرب ، ولم يشعر السيد العلامة يحيي ابن محسن النعمى الا وقد وصل الى عقر داره بقرية الدهنا ، فعظم عليه الأمر الى غاية ، وبعد ذلك شكا اليه ما لاقاه وان الأدبار قد حكم عليه ، وان المنايا قد تلقته من خلفه ومن بين يديه ، وما لاقاه من الحدثان وما عاناه من صروف الزمان ، فما وسعه غير تلقيه بالاكرام وانزاله عنده في أعلى مقام ، عملا بما ورد في الحديث ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر منشد يقول :

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وطلب شوره في الاقدام والاحجام على الشريف حمود ، مع أنه لم يكن له سابقة خير غير تلك الملاحم العظام والوقائع التى يشيب لها

رأس الغلام ، فبلغنى أن .. السيد يحيي أشار عليه بما يعلم منه أن لا يتوجه الى الشريف حمود بل يتوجه الى الجبال الشرقية التى يخفى فيها خبره بالكلية ، فمنع من ذلك الرأى المحمود وصمم على قصد الشريف حمود ، وكان في تلك المدة الشريف حمود غائبا عن تلك الجهة بل مستقر في مختارة ، والسيد العلامة الحسن بن خالد مستقر في هذه الجهة ، وهو أحد أركان مملكة الشريف حمود وله التقديم والتأخير فيما اليه نفح المملكة يعود ، والشريف لا يرى صوابا غير ما يقوله ، لكونه وزير صدق له ، ولعلمه الذى فاق النظر في علمى المعقول والمنقول ، فجعله سراجا يهتدى به في ظلمات المشكلات ، وإماما يقتدى به في المسائل الشرعيات ، فبلغه الخبر وهو في قرية ضمد فما كان منه الا المبادرة بالوصول الى صبيا فدخلها وملك قلعتها وأرسل رعيلا من الخيل للقاء طامى فوجده في أثناء الطريق ، وفي صحبته السيد العلامة يحيي بن محسن ، فما كان من السيد الحسن بعد وصوله اليه الا أن أوثقه في الحديد ولم يلتفت الى قول أحد من أهل العذل والتفنيد ، وقد كان محمد على باشا وصل الى طبب وبعث طليعة من الخيل ليعلموا من حيث ذهب طامى ، فلما وصلوا الى أطراف المخلاف وطلبوا طاميا أطلقه عليهم الحسن بن خالد ، وكان حال الأمير طامى بن شعيب كما قال القائل :

واذا خشيت من الأمور مقدرا وفررت منه فنحوه تتوجه

فذهبوا به وأنفاسه تتصعد ، وقلبه من الأحزان يتوقد ، وكان يظن بوصوله الى هذه البلاد تقع له الرحمة في قلوب من توجه اليهم ويمنعونه

من الترك أن يقع في أيديهم ويرى كونهم عربا أحسن حالا من العجم فركب أخف الخطرين [1] ، وقارب أدنى الشرين ولكن عومل بنقيض قصده ، وأصبح في كونه في يد الأتراك وان كان حيا في لحده ، ولله در القائل :

---

(١) جاور زيد عمراً بجوره : وقوله تعالى : (والجار ذى القربي والجار الجنب) فالجار ذو القربى هو نسيبك النازل معك في الحواء ويكون نازلاً في بلدة وأنت في أخرى فله حرمة جوار القربى والجار الجنب أن لا يكون له مناسباً فيجيء اليه ويسأله أن يجبره أن يمنعه فينزل معه ، فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومنعته وركونه الى امانته وعهده .

وفي التنزيل « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » قال الزجاج المعني إن طلب منك أحد من أهل الحرب أن تجيره من القتل الى أن يسمع كلام الله فأجره أى أمنه - وعرفه ما يجب عليه أن يعرفه من أمر الله الذى يتبين به الاسلام ، ثم أبلغه مأمنه لئلا يصاب بسوء قبل انهائه الى مأمنه هذا في حق الكافر وكيف بالمسلم .

والجار والمجير هو الذى يمنعك ويجيرك وفي الحديث ويجير عليهم أدناهم أى اذا أجار واحد من المسلمين حراً أو عبداً أو امرأة أو أحداً أوجماعة من الكفار وحفزهم وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين لا ينقض على جواره وأمانه .

وانه من حسن بن خالد تصرف غير كريم وعمل حكيم إزاء أمير عربى مسلم ألجأته الظروف وأجبرته الأقدار الى الإلتجاء الى امارة أمير عربى مسلم مثله ، التجأ اليه من مطارديه وكان الأولى أن يجيره ويأمن خوفه وأن يرسله الى حمود أمير البلاد في جهة بلاد بنى قيس في قرية (مختارة) أو يسهل له سبيل الفرار الى الجبال الشرقية .

وعلى كل فقد علق المؤلف رحمه الله التعليق اللائق وانتقد تصرف الوزير بالنقد اللاذع .

ربما يرجو الفتى نفع فتى خوفه أولى به من أمله
ربما من ترجو به دفع أذى سوف يأتيك الأذى من قبله

وفي حسبان الناس انه لو وصل الى حضرة الشريف حمود لمنع عليه ولم يصل أحد من الأتراك اليه والعلم عند الله سبحانه وتعالى ، وفي هذه السنة كانت وقعة (المهدف) بين بنى الحرث والسيد الحسن ابن خالد الحازمى ، وكانت الدائر على أولئك القبائل بعد أن استولوا على بعض مطرحه وأحرقوا خزانة البارود وقتلوا بعض عبيده ووقعت فيه جراحات كثيرة أفضت الى السلامة ، وأصابت جواده حال المعركة وبعد انقضاء الحرب ورجوعه الى المطرح نزل عنها وماتت ، ولما كانت اليد له على أولئك الأقوام لم يتأثر بما حصل من تلك الآلام ، وأسر جماعة منهم وقتل جماعة وقطعت منهم رؤوس وأوصلت الى أبى عريش لأجل الارهاب ، لأن تلك الفئة يقطعون الطريق وينتهبون القوافل السائرة الى الجبل ، وكان هذا لقتالهم من الأسباب وبعد أن أنطوت أيام طامى قام محمد بن أحمد الرفيدى من قرابة طامى واجتمع على طاعته أهل السراة رغبة ورهبة ، لأنه كان لابسا رداء الجبروت سفاكا للدماء من غير مراقبة للحى الذى لا يموت ، ولله در القائل :

أصم لا يسمع الشكوى وأبكم لا يدرى المقال وعن حال المشوق عمى

ولم يزل مضمرا للشر حتى دخلت سنة **احدى وثلاثين بعد المائتين والألف** فجمع الجموع وعقد البنود لأجل القتال للشريف حمود ، وذلك لما يكن في قلبه من الضغينة باطلاق قريبه طامى على الاتراك ، وبما سبق من العداوة التى سفك بسببها دماء كادت تبلغ عقد الشراك ، ويرى أن خروج صبيا ومخلافها من أيديهم

عليهم فيه عار لا يجليه الا رجوعها ، فلما بلغ الشريف ما يريد من اضرام تلك النار اهتم بجمع الأجناد ، وكان بمدينة أبي عريش واجتمعت لديه المقاتلة من قبائل البلاد فخرج للقائهم وقد نشر الرايات ، ودعا داعي النصر يا للثارات ، شعرا :

في فيلق من حديد لو قذفت به وجه الزمان لما دارت دوائره

وكان اللقاء قريبا من درب بني شعبة يوم الجمعة **ثامن عشر من شهر رجب** وفي ذلك الموضع وقع تخالف الطعن والضرب فصف الشريف الأجناد وأحسن الصفوف وجعل على كل طائفة رئيسا له في الشجاعة يوم معروف ، وتقدم الشريف بعد أن تسربل بالحديد وتقلد الهندي الباتر ، وكان ابنه الشريف أحمد بن حمود في ذلك اليوم مقدما في طائفة من أهل الخيل فأصدق الاقدام على أولئك الأقوام وفعل أفعالا عنتريه ، وأبان عن شجاعة علوية دل على أن هذا الشبل فرع ذلك .. الليث :

وخاض بالسيف بحر الموت خلفهم وكان منه الى الكعبين زاخره
فكم دم رويت منه أسنته ومهجة ولغت فيه بواتره

وكان الشريف الحسن بن خالد في خيل عشيرته الحوازمة ومن والاهم فأقدم على تلك الصفوف أقدام من لا يهاب للموت وشق تلك المقانب ، وأروى من دائهم السمهرية والقواضب ، والتحم القتال بين الفريقين وتصادقوا الطعان ، وأرسلوا من البنادق ما يصك أصواتها الأذن ، واخترط الأبطال السيوف ، وكان للشمس من عثيرالخميس كسوف ، وانطحنت هنالك جماجم ، واشتد على تلك الظهور المدبرة

طعن الردينيات وضرب الصوارم ، فولى الجند الشرقي الادبار ، بعد أن هطلت من دمائهم على الأرض الامطار ، وبلغت القتلى الى عدد تطيش له الأذهان ، مما يقارب ألف انسان ، وصارت لحومهم طعام للوحوش في فلوات البلدان ، وانصرف الشريف بعد الظفر بهم الى مخيمه تخفق على رأسه الرايات ولسان السعادة ينشد بعد هذه المتفقات :

وقد ظللت عقبان راياته ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت على الرايات حتى كأنها من الجيش الا أنها لن تقاتل

وقتل في ذلك اليوم الشريف محمد بن منصور بن محمد بن أخي الشريف ، وكان في الاقدام في مواطن الحروب من الضراغم وممن يلقى الكثيبة بوجه وضاح وثغر باسم ، وقتل في ذلك اليوم ادريس بن ابراهيم الحازمى ، وكان هذا السيد من الرجال الأفاضل ، وله في فعل الخير مقاصد حسنة تبلغه أعلى المنازل ، مع محافظة على أنواع العبادات على الاطلاق ، واتصافه بكمال المروءة ومحاسن الأخلاق ، وقتل نفر قليل من جند الشريف ، ونادى بعد ذلك منادى القدر على أولئك بعد انفصال القتال يوم بيوم بيش والحرب سجال ، فرجع بعد ذلك الشريف حمود الى المدينة العريشية بأبهة ملوكية وشارة حسنة تحف به من جوانبه الأبطال المعدودين بيوم النزال ، وعليه لوائح الجلالة تلوح ، وطيور السعد والاقبال تغدوا وتروح ، وأنشد لسان الحال :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل

ودخلت سنة **اثنين وثلاثين بعد المائتين والألف** وفيها بلغ الشريف أن محمد بن أحمد العسيرى في حركة فجمع الجموع ومشى الى وادى

بيش وأقام مقدار شهرين ومحمد بن أحمد المذكور لما بلغه حركة الشريف استعمل السكوت وأخلف الظنون وفي أثناء الطريق غزا البدوان آل عبس [1] وأخذ من أموالهم مالا يحصى له عددا وتفرقوا أيدى سبا ، وأمعنوا في تلك الجبال هربا ، وبعد ذلك رجع الى المدينة العريشية يخفق على رأسه لواء النصر ، متوجا بالسعادة ماضى النهى والأمر ، وأقام فيها مقدار نصف شهر ، ومشى الى الجبال وكان أول خروجه الى بلاد الحرث لتصليح تلك النواحى ، ولم يزل يرمم الأمور ويديرها على حسب ما يساعده المقدور نحو أربعة أشهر وانتهى نزوله منها الى مختارة ، والسيد الحسن بن خالد أقام في تصليح قلعة الحسينية لأجل اصلاح عبس ، وبعد دخولهم في الطاعة ، وانتظامهم في سلك الجماعة لحق بالشريف حمود وهو مستقر ببلاد الخميسين وأقام معه حتى نزل الى مختارة ، كما ذكرنا بعد حروب في تلك الجبال يشيب منها القذال ، واستولى الشريف على جبل (كحلان) وهو من الجبال المنيفة في أرض اليمن ، ودخلت سائر رعايا تلك الجهة تحت وطأة ، وبعد وصول الشريف حمود وصحبته الحسن الى مختارة كان في ذلك الوقت طلوع الوزير الكبير للسلطان حسن باشا بالاتراك الى بلاد

---

(١) عَبْس : قبيلة عبس قبيلة معروفة من قبائل المخلاف السليماني في منطقة جازان وتمتد مواطنها من ضمد جنوباً الى ناية الحقـو وجبال العَزِّيَيْن شمالاً وغرباً تحد بقبائل الحسينى وقبائل المخلاف الشمالى وبيش وشرقاً بقبائل جبالنا الشرقية كابنى الغازي وغيرهم والى هذا التاريخ نجد ان (عَزْوة) قبائل صبيا (صَبِيّ العبوس) مما يدل ان مداها القبلى كان يمتد الى صبيا .

عسير ، واستولى عليها لما ساعدته المقادير وبعد انفصاله عنها وقع منهم الخلاف ، والتظاهر بعدم .. الائتلاف ، وكان رئيسهم اذ ذاك محمد بن أحمد [١] الرفيدى العسيرى ، فوقعت المفاوضة بينه وبين (على بن مجثل المغيدى) [٢] انهم يستنجدون الشريف لأن كل من الرجلين في

---

(١) هو محمد بن أحمد المتحمى من عشيرة آل المتحمى من قبيلة ربيعة ورفيده عاصر عبد الوهاب أبا نقطة ، ورافق طامى بن شعيب في المهمة التى انتدبه عبد الوهاب لها للنظر بين صالح العلفى وحمود ، وبعد وصول طامى بلدة القطيع كلف محمد ابن أحمد النعمى بخطاب منه الى حمود وذلك في سنة ١٢٢٠ وفي سنة ١٢٢٣ بعثه الأمير طامى بقوته لنجدة حامية صبياء وبعدها تصرفت به الأمور في امارة ابنى عمه طامى حتى قبض على طامى وأرسل الى مصر بعد أن حكم ست سنوات - ونتيجة للحكم التركى الغاشم ضاق العسيريون ذرعاً فاغتنم محمد بن أحمد الفرصة وثار على قوات محمد على وقضى عليها وتولى الحكم وذلك في حوالى سنة ١٢٣٠ .

وفي رجب سنة ١٢٣١ تقدم لقتال حمود للأخذ بثأر ابن عمه طامى بن شعيب ودارت المعركة قرب قرية الدرب وانتهت بهزيمة محمد بن أحمد وانسحابه الى عسير.

وفي جماد الثانى سنة ١٢٣٢ تقدمت قوات محمد على في الحجاز واستعادت سيطرتها على عسير فتوارى محمد بن أحمد في جبل (تهلل) فأبقى قائد محمد على حامية في عسير وعاد الى الحجاز وبعودته ظهر محمد بن أحمد ونادى للجهاد فلم يوفق وانهزم ثانية فالتجأ الى حمود وطلب منه هو وعلى بن مجثل المغيدى التقدم للاستيلاء على عسير ففعل حمود ، وظل محمد بن احمد في عسير حتى توفى حمود وفي حوالى سنة ١٢٣٥ عندما تقدم محمد بن عون على عسير تخوف من موقف محمد ابن أحمد فأمر بالقبض عليه وترحيله الى الحجاز ومنها الى مصر وكان أمر بقتله في مصر.

(٢) على بن مجثل العبده تولى امارة عسير في صفر سنة ١٢٤٢ - سنة ١٢٤٩ - راجع كتابنا المخلاف السليمانى .

معلقه ومعه جماعة من عشيرته ، وباقى عسير قائمون عليهم بالحرب صباحا ومساء محافظة مع الاجناد الاتراك على الوفاء ، وأصحبوا الرسل الى الشريف هدية دروع .. وحصان فترجح له أن يجهز السيد الهصور ، العلامة المشهور الحسن بن خالد الى تلك الجهات فنفذ من عنده الى جهة أبى عريش وجمع المقاتلة من القبائل ومن بهذه الجهة من أهل الشام وأم بهم تلقاه ذلك المقصود ، وقدم قبله القاضى البطل حسن [1] بن عطيف الحكمى في ثلة من الجند فاستقر في بلاد رجال ألمع من اليمن ففاجأه الخبر بأن الشريف على بن حيدر والشريف منصور بن ناصر والوزير جمعة تابع الشريف غالب ابن مساعد متوجهون اليه في جيش جرار ، وبحر من الرجال زخار وكانوا قد انفصلوا من جهة بندر القنفذة وحلى بن يعقوب وخيموا في

---

(١) هو القاضى حسن بن على بن عطيف الحكمى من رجال العلم والقيادة في امارة حمود أبى مسمار - لا تزال في عشيرته وذويه تعيش في قرية الحصامة ويعرفون بالعطفة واليهم مشيخة قريتهم وقبيلتهم - اسندت اليه قيادة طليعة القوة التى أرسلت بقيادة الوزير حسن بن خالد لتأديب قبيلة الحرث في سنة ١٢٣٠ - للمرة الثانية - راجع ص ٩٨ جـ ٢ من كتابنا الأدب الشعبي في الجنوب وما ورد في الأشعار الشعبية حول تلك الغزوة وفي سنة ١٢٣٣ كان القاضى حسن بن عطيف على قيادة مقدمة جيش حمود الذى تقدم الى عسير بقيادة حسن بن خالد - راجع ص ٥٢٣ جـ ١ من كتابنا (المخلاف السليمانى) وبعد وفاة حمود التحق بإمارة ابنه أحمد بن حمود الذى أرسله على رأس حملة لتأديب قبيلة الخميسين في تهامة اليمن - فتألبت جموع تلك القبائل على الحملة وهزمتها وقتلت قائدها القاضى حسن ابن على بن عطيف وذلك في سنة ١٢٣٤ - راجع ص ٥٤١ من المصدر نفسه .

بلاد رجال ألمع من الشام ، وكان السيد الحسن بموضع يقال له (الحمة) بحاء مهملة وميم مشددة وهاء تأنيث وهو بين (الدرب) و (رجال ألمع) فالتقى الجيشان في ذلك المكان في شهر القعدة الحرام واشتد بينهم الجلاد وتخالفوا بالهنديات والأسنة الصعاد واستقام الحرب بينهم على ساق ، وانهلت المثقفة السمر بالدم المراق ، وكانت الدائرة على أهل الشام ، فولوا الادبار وخفقت للسيد الحسن وجنوده من النصر أعلام ، وذهب من الفريقين من وفد أجله ، وانقطع من الدنيا أمله ، وقتل في ذلك اليوم السيد الماجد ابراهيم بن يحيي الحازمى ، وحمل السيد الحسن رؤوس بعض القتلى الى أبى عريش للارهاب ، وبعد انقضاء الملحمة طمع السيد الحسن بن خالد في ملك السراة وادخالها في ممالك الشريف فاتصل به رؤساء من أهل تلك الجهات وفاوضهم فيما يريده فرغبوه في الوصول اليهم فأرسل بين يديه القاضى حسن بن عطيف في جماعة من الأجناد ولما تغلغل في تلك البلاد وتوسط بين تلك الشعاب والصخور الصلاب لم يبذلوا له النصح كما أراد ولم يتمكن من الرجوع الى من أرسله ، فلم يزل يبذل الرغبات الكبار لرجال عسير التى تسهل بها بين بنى الدنيا كل عسير فلحق الى تلك الأماكن واستقر بين أهلها في أعز المساكن ، وذلك بعد المواطأة بينه وبين أميرهم محمد بن أحمد الرفيدى واجتمع في الظاهر أمرهم على ذلك المقصد ، ولكن لما كانت تتوقد قلوبهم مما سلف من تلك الوقائع ، وينظرون من ذهب من اخوانهم في هاتيك المصارع ولله در القائل :

لا تأمنن امرأً أسكنت مهجته غيظا وتحسب أن الجرح يندمل

فأبدوا له ظاهرا صحيحة وفي البواطن قلوبهم جريحة ، ورموه بثالثة الاثافى ولم يقع منهم له حبيب مصافى ، ولزموا عليه أطراف البلاد حتى يتمكن من الخروج ، وسدوها بالرجال وقالوا ما لطرقها من فروج ، فلم يزل يبعث الرسائل الى الشريف حمود ، ويستنجده لاستنقاذه من لهوات الأسود ، والشريف مهتم بهذا الشأن ، مع أنه يرى ان تلك الجهة أهلها غير ناصحين ، وليس في تلك البلاد مصلحة عائدة الى المملكة ، ولم يزل يطلب العساكر ويبذل لهذا الأمر الذخائر لأن مع وقوع السيد الحسن في هذا الحادث لم يسعه غير تجليه الكارث ، والوفاء بالذمم طريقة أهل الاسلام ، لا سيما وهو يسعى فيما به يقع اتساع المملكة فجمع جيوشا يعسر لها التعداد ، وهم من المعدودين للجلاد ومن الأبطال الكماة ، والشجعان الكفاة ، والشريف ليث تلك العصابة ومقدمها الذى لا يتم نصابها الا به ، فخرج من أبى عريش في أبهة تملأ النواظر ، وتحف به من أهل الخيل كل هزبر كاسر :

وشزب أحمت الشعرى شكائمها ووسمتها على آنافها الحكم

فلما وصل الى الدرب انخذل عنه يام لما علموا أن مقصده السراة لاستنقاذ السيد الحسن بن خالد ومن معه ويرون عدم الاحتفال بمثل هذا الشأن لأن السيد الحسن كان لا يغضى على ما هم عليه من الأمور المخالفة ويودون هلاكه وعدم نصرته لو ساعدهم الشريف ولكن هيهات ، مع أنهم يعلمون السلامة لسالك تلك الجبال غير مضمونه ، فما كان من الشريف الا أن أبقاهم في قرية الدرب وأبقى لديهم الفقيه على بن محسن البهكلى يقوم بجراياتهم كفايتهم ، وأغضى على فعلهم وفي

العين قذى ، وفي الحلق شجى ، وعزم الا يستخدمهم في مستقبل الزمان ، وان يدخلهم في خبر كان ، انما بعض عقالهم وثلاثة من كبارهم أثروا طريق الوفا وساعدوا الشريف بالطلوع معه خوفا من عاقبة الجفا ، مع أنهم غير راضين من الشريف بهذا الصنيع ويصرحون أنه مخالف للصواب ، وكل يود دفعه لو يستطيع ، ولكن صمم الشريف على ذلك المرام ، ورأى أن استخلاص السيد الحسن بن خالد بغير ذلك لا يتم وانه من أكد الحقوق والوفا بالذمام طريق أهل الاسلام مع أن معه من صناديد بكيل وغيرهم من الأجناد ، وما تقوم به الكفاية يوم الجلاد ، وفي غيرهم الغنيمة ، ولكن عظم عليه فعل يام مع أنه قد غمرهم بالعطا الذى يزيد في مساعدتهم له في الاصدار والايراد ، وبعد ذلك انفصل الشريف من الدرب بجنوده تخفق على رأسه عذبات بنوده ، وكان طريقه على (ظلع) وطلع من تلك العقبة فلما استقر بأطراف السراة ذهب من أهلها الشقاق ورأوا أن مقابلة الشريف بالشر لا تطاق ، ودخلت **سنة ثلاثة وثلاثين بعد المائتين والألف** فيها استهل محرم مفتاح هذه السنة ولم يزل أهل السراة يدخلون في طاعته أفواجا وينفذون اليه من نواحيها وحدانا وأزواجا ، فانتظمت له الأحوال ، ونفذ بالأوامر والنواهي في البكور والآصال ، وبينما هو في تدبير ممالك تلك الجهات وتصليح أحوالها بما اقتضاه حالهم من التدبير بلغه توجه سنان أغا اليه مرسولا من محمد على باشا باشة مصر لتملك السراة ودفع من أراد تملكها ، لأنه قد تم الاستيلاء عليها من الأتراك كما سلف خبر ذلك ، ويرون أن خروجها من أيديهم عار لا يجليه غير ارجاعها الى حالة مملكتهم ، وفي صحبة سنان أغا جند كثيف من الأتراك وصحبتهم الشريف علي بن حيدر والشريف منصور بن

ناصر ، ومعه قبائل من حلى بن يعقوب وتلك الجهات وانضافهم الى سنان كما بلغ بأمر من صاحب مصر ، وكان الشريف علي بن حيدر بصيرا بعواقب الأمور ويرى الاقدام على الشريف مع قوته واندراج أهل السراة في سلك طاعته غير صواب ، وان ما في ذلك غير الفشلان ، ولكن لم تقع له المساعدة في هذا الرأي السديد لما قد سبق في علم الله من الجارى على تلك الطائفة من الهول الشديد ، وفي اثناء ذلك حصل على الشريف على بن حيدر عارض مرض منعه من الحركة ولم يقدر على السير معهم لعدم الاستطاعة من شدة المرض فزحف أولئك القوم بالجيش الجرار الى أن طلعوا قمة السراة حاملين كل سيف بتار ، معتقلين البنادق القداحية التى تذهل العقول بأصواتها وتصك الأسماع والأبصار ، وحين بلغ الشريف طلوعهم أيقن الا مقصد لهم سواه فعبأ جنوده ، وعقد لأبطال عسكره بنوده ، وكان ذلك اليوم قد علق به المرض فأشار عليه كبراء الاجناد بالوقوف في المطرح ويكون عنده جماعة ، فأبت همته الهاشمية عن الجلوس ، ورأى ذلك الرأى منهم حماقة ووضاعة فتقدم في بعض الخيل في الميمنة الشريف الحسن بن خالد ، وفي الميسرة الشريف حسن بن بشير بن أخى الشريف في خيل الأشراف ، والعسكر في قلب الجيش والشريف معهم في القلب ، وكان منهم الاصطفاف ، فالتقى الجيشان في تلك الشعاب وصدق بينهم الطعن والضراب ، وتنفست البنادق من الجانبين بالرصاص ، وتبين عند ذلك اليوم ما فيها من خواص ، وهزت الكماة عوالى المران ، وتعاطى بأطراف .... اللهذميات الفريقان ، فما كان الا ساعة من نهار ، حتى ولى الجند التركى ومن معهم الادبار ، وركعت منهم رؤوس بوقع السيوف ، واحتسوا بعد

كؤوس الصهباء كؤوس الحتوف ، والشريف يخوض ، غمرات الحرب على جواده ، ولولا قوة بأسه لم يستطيع النهوض من مهاده ، لشدة مرضه ، ولكن نشطه ما أيده الله به من النصر على أولئك الأقوام ، وأما أهل السراة فكانوا بأطراف الجبال ، لم تصدر منهم مناوشة ولا قتال ، لأنهم يرون من كانت الدائرة له كانوا معه لما انطوت عليه قلوبهم من الأحقاد المتنوعة ، فلما شاهدوا انهزام الأتراك لزموا لهم كل مضيق ، وتقاسموهم نهبا وقتلا فكل ثلة منهم بعد فريق ، ولحقوا سنان أغا في رأس العقبة عقبة تيه ، بتاء مثناه فوقية وياء تحتانية مشددة وآخرها هاء تأنيث ، فأذاقوه حد الحسام ولم يأوه قبرا بل تمزق في تلك الرجام ، وذهب جنده في تلك الرجام كأنهم أحلام ، وتعدوا أهل السراة على الشريف منصور بن ناصر فاستحلوا منه الدم الحرام ، والحقوه بالملك العلام ، ولما وصل بعض المبشرين بقتله يريد البشارة من الشريف في ذلك غضب غاية الغضب ، وكاد يفتك بالمخبر ، ولم ينجه الا الفرار ، واسترجع عنده الخطب الجسيم وضربته حمية القرابة ولكنه ما وسعه بما سبق به القدر غير التسليم ، وقد كان الشريف منصور العين الناظرة في آل خيرات والهرماسة ، البطل اذا تلاقت الكماة له مجد باسل ، وعقل كامل ، وسياسة في الأوامر والنواهى ، وهو مع طيب عنصره فهو داهية من الدواهى ، هذا مع أخذه بطرف من العرفان ، كان بها طراز افتخاره ، وتعلق بالأدب انتقش به مجد نضاره ، تولى صبيا وخلافها سنوات وأذاقهم حلاوة العدل وأزال عنهم الظلامات ، ولذا لقب بالملك العادل في تلك الجهات ، ولكن رتق صفو أيامه العساكر النجدية ، فاختار باذن عمه المقام في المدينة العريشية ، وبنى له قلعة عظيمة ، وأجرى عليه الانعامات العميمة ،

وبعد أن صفت صبيا من أهل نجد بعد انقضاء أيام طامى ، كما سلف خبر ذلك ، كان مترقبا رجوع عمالتها اليه كما وقع الالتزام له بذلك من عمه ، ولكن لما كان تملكها من طريق الحسن بن خالد وجعل عليها عاملا من قرابته وهو السيد ادريس بن ابراهيم الحازمى ، فما وسع الشريف غير المساعدة ولم يرد تكدير خاطر الحسن بن خالد بنزع عامله ، واعتذر الى الشريف منصور بهذا الواقع ، ولكن لم يصغ منصور الى هذا العذر السامع ، وظن أن ذلك من باب التأثير عليه ، فسكت على ضيم وما رأى المساعدة ، وتمكنت الوحشة في قلبه ولزم عقر بيته ، ولما وقع الحاصل من الشريف على يحيي بن حيدر ، وخرج أخيه الشريف على بن حيدر طالبا الانتصار على الشريف ظهر منه الكامن وساعد الشريف بالارتحال ، لأجل تمام الظفر بالمقصود ، ولكن حالت المنية دون الأمنية ، والله غالب على أمره لا يتم الا مراده في الصدور والورود وقد رثاه شيخنا الوالد العلامة القاضى شيخ الاسلام عبد الرحمن بن أحمد رحمه الله تعالى صاحب التاريخ المذكور الذى هذا ذيله ، لأنه كان عنده من أعز الأصدقاء الاعزاء بهذه القصيدة الفريدة :

لقد أبى الضيم ماضى العزم والجلد وحل من شرف العليا في صعد
أشم يشمخ عِزًّا أن تلامسه هوج الرياح فما ذا شأن كف يدى
لا يمتطى غير سرج الاعوجى ولا تـراه معتقلا غير القنا الملد
يصبوا الى المجد والعلياء ناظرهُ حتى ينال ذراها غير مضطهد
يأتى غمار العلا قسرا وان نكصت عنـه الجيـاد تـراه وارد الثمد
مثلم سيفه عند الرهان فلا تداس أعقابه في الرفع والوخد
يغشى المهم بقلب غير منفهق عن الثبات وعقل كامل الرشد

يأبى الدنية حتى لا يصاحبها ولا يغمض عينيه على ضمد
ولا يصعر خديه على أشر ولا يبيت على الاقتار ذا حرد
طابت مساعى علاه اذ منابتها الـ ـصريح ، من مضر الحمراء ومن ادد
أرومة من قصى عيصها أسل في ركنها شرف العلياء والسند
ثبت الجنان كريم الخيم ما فعلت بك العلى بعد أن وافتك طوع يد ؟
ماذا الذى عملته فيك فانخزلت ويحا ، لها كيف تقضى عزها الابدى
أنت الذى ضربت فسطاس نخوتها عليك أيام عين الدهر في رمد
كانت تراك حريا أن تقود لها شم الجبال على بطحاء ذى وهد
وأنت والله أهل أن تبلغها فوق الذى طلبت من منتهى الأمد
لك الايادى عليها اذ بنيت لها بيتا على هامة الجوزاء ذا عمد
ما كنت أحسب أن المجد مقصده صرف الزمان بطرف فيك منتقد
كنا نعد الليالى منك هائبة كما يهابك ذلا زائر الأسد
وان أم الليالى عنك حائدة عن أن يصيبك سهم البين بالقصد
لكن تنافس عن علياك صاهلة من الجياد وتحت الملك عن حسد
وزاحمت فيك غايات العلا شرفا لما رأتك محلا عن علا عدد
فاسلمتك يد العلياء فائضة خوف اشتراط وقد تسمو يد الحقد ؟
وصيرتك صريعا حول جندلة تاهت بقربك منها فوق ذى حيد
ضنَّت بك الهضبات الشم حين غلت تحنو عليك وقد صانتك عن وهد
ما كنت تخفى على عاف ومنتجع بل كنت في كل حال ظاهر المجد
فآلت الارض أن لا زال ظاهرها مضمخا بك لا يلوى على لحد
ففى الحياة ظهور شامخ بذخ وفي المات ظهور البدر في الكبد
كذا العلا حين لا ترضى مفارقة لماجد وهو فيها بيضة البلد
وليعتبر بك ياليث العرين فتى له الى طلب العلياء فضل يد
تالله لو ملكت كفاك عاملها
فليعظم الأجر كفو الرزء لو قصمت به ظهور أولى اللامات والسرد
لكنت تاركـ راميها بمصرعه طعم الحبارى وأشلاء لذى لبد
لو كان يملك يوم الروع ذو حدب عليك منه فداء كنت خير فدى
لهان فيك الذى فوق الورى وسخا من ضن بالنفس أو (بالطرف) والتلد
لكن جرى حكم البارى وقدرته أن لا يقاوى صريع الحادث العتد

فليهنك الخلد في در النعيم مع خير العباد أبيك السيد السند
وفي جوار على والبتول ومن حلت بهم في معاد رحمة الأحد

وهذه القصيدة في أعلا طبقات البلاغة غاية في باب المراثى لا جرم فقائلها شيخنا الامام الذى لا يلحق في مضمار الفصاحة ، نعم وبعد انتهى المعركة رجع الشريف الى مخيمه بعد أن قرت عينه بما فتح الله عليه من النصر وادبار المناوئين من أهل البغى والشر ، ولكن رافق في الاقامة السرير ، وتزايد عليه المرض حتى لحق باللطيف الخبير ، وكانت وفاته في هذا العام أى عام **ثلاثة وثلاثين بعد المائتين والألف** ، **في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الأول** ، [1] ودفن في بقعة من بلاد

---

(١) راجع كتابنا (محاضرات في الجامعات والمؤتمرات) ص ٣٤ وما اوردته عن صحة تاريخ معركة الملاحة وصحة تاريخ وفاة حمود والذى اوردنا فيه ما نصه (.... تجمُع مصادر تاريخ الجنوب بأن حمود توفاه الله بعد أيام من انتهاء تلك المعركة التي خاض غمارها ، وقد ابتدأت به علة المرض وان وفاته كانت في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٢٣ هـ .

ولم تشر تلك المصادر الى اسم اليوم والى التاريخ الذى دارت فيه رحا المعركة ، كما أنها لم تشر الى أى علاقة أو ارتباط بين استيلاء حمود على عسير وبين المعركة الرئيسية الدائرة بين الدولة السعودية ومحمد على وهنا نتساءل :

١ - في أي يوم وأي تاريخ - على وجه التحقيق دارت رحا معركة (الملاحة) بين حمود وسنان ؟

٢ - هل توفى حمود أبو مسمار - حقيقة - في ذلك التاريخ أي في ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ هـ ؟

٣ - هل كان استيلاء حمود على عسير جزء من مخطط معركة الدفاع الرئيسية ، =

= أم أنها انتهاز فرصة مع اندفاع خاص منه كما نَفْهَم من مضمون تلك المصادر ، واستجابة لنداء وافق رغبة ومطمحا وهوى ؟

وأقول بكل تواضع ، أنه بعد مضى ١٦٠ سنة - وبفضل الله تعالى وعونه أكون أول من اكتشف الحقائق الآتية :

١ - أن معركة الملاحة كانت على وجه التحقيق في يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ .

٢ - أن صحة تاريخ وفاة (حمود أبى مسمار) في يوم السبت الموافق ١٠ ربيع الأخرى سنة ١٢٣٣ .

٣ - ان استيلاء حمود على عسير هو من ضمن مخطط الدفاع السعودى وانه بالرغم من تلك الأيام الحالكة والمعارك الدائرة في قلب نجد لم تنقطع اتصالات الدولة الأم عن البلاد التابعة لها كما أن تلك البلاد لم تتخل أو تقصر عن ولائها للدولة السعودية ، وأن معركة الملاحة هى معركة فرعية من معركة المصير الواحد ضد الغزاة .

والدليل على ذلك هو دليل مشاهد مقروء ، يتألف من رسالة تاريخية جوابية من وزير حمود أبى مسمار الى الأمير عبدالله بن سعود بن عبد العزيز السعود على رسالة موجهة الى حمود قبيل وفاته . وهى أشبه ما يكون بتقرير مرفوع من قائد أحد الميادين الى القائد العام عن معركة (الملاحة) والاجراءات الحربية والادارية التى تمت بعدها ، كما تشير الى رسائل متبادلة قبلها بين (العاصمة) وحمود .

وها هو نصها الحرفى :

سم الله الرحمن الرحيم ..

من حسن بن خالد إلى الأمير عبدالله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود .. واياه بالباقيات الصالحات ....

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فبموجب الخطاب ابلاغك السلام والسؤال على حالك أحال الله عن الجميع كل مكروه وحسن بن شداد وصل والخطوط التى صحبته وصلت ، والحمد لله على عافيتكم .

وكان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف (حمود) ما عنده وانتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية : على أحسن حال (....) وكان وفاته لعشر مضين من شهور ربيع الأخرى ، فالله المسئول أن يرحمه ويكرمه نزله ، فلقد مات =

= مجاهداً في ذات الله .

وكان وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من الترك وغيرهم لأربع وعشرين مضين من شهر ربيع الأولى . وأخذ الله من الأروام. واستولى على كل ما معهم ، وعلى ما جروه من المدافع والقنابر وقتل مقدمهم سنان أغا كما أخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم شديد وقتل من الأتراك اكثر من ألف والحمد لله وحده صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ..

وتوفاه الله بعد أن أخذ الله الجنود الفاجرة على يديه ، وبعد ذلك من كان من العساكر من الجنود الذى جمعهم من أهل الدينار والدرهم رجعوا الى بلادهم ، وأخذهم على العمل بكتاب الله والسنة والموالاة والمعاداة والسمع والطاعة في العسر واليسر .

ومن بعد وجهنا المسلمين الى من يمتن من أهل الردة ، من أهل وادى شهران من أهل تندحة ودمر الله جملة قرى في وادى تندحة وشهران ، وبلاد عسير وحال .. نخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة ، وباشات الترك ، والخيل التى بأيدى كل من والى الترك بأيدينا وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقته ، وتاريخه وقد عاهدنا ربيعة ورفيدة اليمن . بعد أن أخربنا ديار من أراد الله وعاهد جميع شهران وبنى شهر ، وعاهد جميع بنى بشر وبالأحمر والأسمر ، وصار حد المسلمين الى شريف وسنحان ، وهم يكتبون الينا ، ورجال ألمع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله . كما قد ذكرنا لكم .

وتاريخه والمناخ الذى نحن فيه قد اجتمع فيه من المسلمين اكثر من عشرة آلاف ، وصدرت ونحن مستعينون الله ومستنصرونه ومثورون لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد . ونسأل الله أن ينصر دينه وكتابه « وما النصر إلا من عند الله » .

وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية على الوشم والقصيم ، وسدير ، وحولهم اضراما ، واضطراب العارض ، وهذه ثمرات الذنوب ، نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا في أمرنا ، ويثبت اقدامنا ، وينصرنا على القوم الكافرين .

والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سالكة ، والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ، ولا ينبغى للمسلم أن يفتقر الى غير الله ، نسأل الله الهداية الى الصراط المستقيم . =

بني مالك تسمى الملاحة ، بميم مفتوحة ولام بعدها حاء مهملة فهاء تأنيث وكان موته رزء في الإسلام ، وخطبا فادحا إنقصمت له ظهور الأنعام ، ولا سيما على من كان من أعوانه كالسيد الحسن بن خالد ، فانه عظم عليه الأمر لانفتاح الفتنة بينه وبين الترك ، وهم قد خلى لهم الجو عن الاشتغال فما لهم توجه الى غير اليمن ، وأما الأشراف فغالبهم وقع معه السرور بمصرعه لأنه لم يعاملهم بالرفق ، ولم يغتفر لهم الزلة في أدنى مخالفة وأودع بعضهم الحبوس ، وعزر بعضهم ومع هذا فهم في غاية من التوسع في الأحوال ، لأنه يبذل لهم الأموال وقائم بكافايتهم وكفاية من يعولون من غير اختلال ، وما علموا بما سيقع لهم من الحوادث في الاستقبال ومن تقاصر الأحوال ، وانقباض أيديهم عن أكثر الأعمال وشاهذ الحال يقول :

رب يوم بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه

ولقد مضى الشريف عن هذا العالم الدنيوى وهو في غاية الجلال والكمال لم يلحقه ضيم ، وما عاده أحد الا ظفر به وأورده الوبال ولسان الحال ينشد قول من قال :

= جواباتكم صحبت محمد الحويك وصلت وقت وفاة الشريف ، وأرسلنا الخط الذى منكم إليه إلى الولد أحمد بن حمود ، وصدر اليكم جوابه وهو معاكم ان شاء الله ، وقائم بغاية الهمة في جهاد أعداء الله ، نسأل الله ان يثبته ويسدد خطاه وأن يأخذ بناصيته الى ما فيه الخير والولد شبيب وصل الينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة بتآكل الورقة) . انتهى .

ان سقوط ضرمى هو في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣ ، ونقدر أن ـ الرسالة كتبت في شهر جمادى الأولى الذى بدأ حصار الدرعية في ٢٩ منه .

في كل أرض جنة من عدله الصـ ـافى أسـال نـداه فـيـه كوثـرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى غرثان ، وهو يرى الغزال الأغفر
سيف صقال المجد أخلص متنه وابان طيب الأصل فيه الجواهرا
مـا مـدحـه بالمستـعار لـه ولا آيــات سؤدده حــديث يــفترا
بين الملوك الـغـابـريـن وبـيـنـه في الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ملك اذا خفت حلوم ذوى النهى في الـروع زاد رصانة وتـوقـرا
ثبت الجنان يخاف من وثباته وثـباته يوم الوغى أسد الشرى
يـقظ يكاد يقول عما في غد بـبـديهة أغـنـتـه أن يـتـفكرا
حـــلم تخف لـــه الحلوم وراءه رأى وعـزم يحقـر الاسـكـنـدرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما ويصد عـن قـول الخنا متكبرا
لا تسمعن حديث ملك غيره يروى ، فكل الصيد في جوف الفرا

لقد ناحت عليه ناحت عليه من جميع البقاع بعد موته العلا والمكارم ، ولبست عليه الليالى ثياب الحداد ، فكأنها ظلمة ومآتم ، وعقمت الليالى أن تلد له نظير ، وقالت المفاخر حين عدلها طوائف الملوك ما لهن وما لى .

وقد وقع له من المآثر الدينية والدنيوية ما لم يتفق مثلها للملك من ملوك هذه الجهة المسيطرين على هذه الجهات ، فانى قد استقصيت تواريخ من سلف ممن تملك المخلاف السليمانى فلم يتفق له ما اتفق لهذا الشريف ، ولم يبلغ أحدهم مبلغه في ذلك ولا أدناه ، فانه بنى العمارات الباذخة والقلاع الشامخة ، في أبى عريش وجعل سورا على ديرة الأشراف المشهورة غربى مدينة أبى عريش ، وجعل له بابـين شامى ويمنى وصار أبو عريش ببركات عمارته من أمنع مدن اليمن ، وهو تخت مملكته ، ومستقر من جاءه من العساكر والجنود ، أو من وصل

اليه من الأقطار البعيدة من الوفود فلذلك زهى على أهل التهائم والنجود ، وبنى قلعة بندر جازان ، وبنى بأذنه السيد العلامة الحسن بن خالد الحازمى رحمه الله تعالى قلاعا عظيمة بقرية ضمد وله في مدينة الزهرا مبانى كثيرة ، وقلعة مختارة من أعظم العمارات التى بناها وسور على مدينة زبيد لمشارفة قاضيها السيد العلامة حسين بن عقيل الحازمى وقل بلد من بلاد مملكته الا وتجد له فيها آثار تنشد بلسان الاعتبار :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وكان هذا الشريف هو أول من استقل بالامارة من أهل هذا البيت ، وكان من سلف من آبائه وذويه ولايتهم مستعار) من أئمة صنعا ، كما سبقت الاشارة اليه ، وأما هو فباين أولئك الأئمة ، وامتدت يده من أطراف مدينة حيس الى جهة السراة .

وأما المآثر الدينية فهى بناء الجامع الذى في باطن سور الديرة وبعد ذلك نقضه وترجح أن يبنيه بقبب محكمة العمارة ، وتم له بناء المقدم من ذلك وحال الأجل دون اتمامه ، على أنه لم يكمل بناء المقدم ، وأتم بناءه بعد مدة الشريف الحسين بن علي بن حيدر بن محمد ، وفي مسجد في بيت الفقيه وحفرت بأمره آبار متفرقة في المدن و .. الطرقات والقرى ، وأوقف من الأرض خمسمائة معاد في وادي مور وفي وادى ليه ، على ثمانية أصناف العلماء والمتعلمين والفقراء والمساكين ، وفي الرقاب ، وابن السبيل ، وعلى المساجد ، ووقف على الجامع المذكور أوقافا من الأرض كثيرة ، ووقف على سور الديرة وقفا وخصص العلماء والمتعلمين بأوقافا من الأرض المذكورة تقوم

بكفايتهم ، لأنه كان في زمانه ظهور رياسة العلم ونفاق تجارته ، والسبب أن السيد الحسن بن خالد معاضده ووزيره وهو من العلماء فأرشده الى تعظيم العلماء والمتعلمين وكان بذلك نفاق تجارة العلم في ذلك الزمان ، وصارت لهم المزية التى هم أهل لها على كل قاص ودان وقصده العلماء من كل جهة ، ومن وصل اليه اكرمه وقابله بالاجلال والتكريم واحله في أعلى منازل الرفعة والتعظيم ، وأسكن بعضهم في قلاعه المختصة به ، وكان في جامعه المذكور جماعة يدرسون العلم ، وصارت القراءة عليهم من الطلبة في كل فن من فنون العلم ، فطار بذلك صيت الشريف كل مطار وسار بذكره حيث يسير الليل والنهار وغنى الناس بالثناء عليه في أبعد الأقطار ، ووفد اليه الأدباء بعضهم من العراق ، ومن كل جهة ومدحوه بالقصائد البليغة ، ولو جمع ما مدح به من الشعرلجاء في مجلد وكان يجيز الشعراء الجوائز الوسيعة ، ومن مدحه على ولو على البعد أرسل بها وأرسل اليه بالجائزة الى وطنه ، وكانت سيرته في الرعايا غالبا جارية على وفق منهج السداد ، ولا سيما في الأزمنة الأخيرة التى غلب على أهلها الاعوجاج في الاصدار والايراد وانتظمت أمور الناس في زمانه ، وجرت المملكة على قوانينها بالوزراء والعلماء والأعيان الذين بهم الكفاية عند حدوث الدهماء ء والعمال ـ الأمراء الاداريون ـ من تحت نظره وهم نخبة أهل العصر لما اتصفوا به من الامانة وحسن السياسة والكتاب الفصحاء الادباء ولاحظته مع ذلك السعادة التى يرتفع بها الانسان الى عنان السماء ، وكان له من العبيد المماليك نحو ألف انسان وهم بين حاملى البنادق وراكبى ظهور الخيل فصاروا بذلك جندا مستقلا واجتمع لديه من

نجائب الخيل ما لم يجتمع عند أحد ممن ملك هذه الجهات قديما وحديثا ، وفي زمانه أمنت الطرقات وذل أهل الفساد ولم يبق لمعتد عرق لما له من سطوة على أهل العناد ، وقد بلغ من أمان الطرقات أن الشيء المحمول يعجز صاحبه عن حمله وهو في قفر من الأرض فيتركه حتى يرجع اليه ، وكان له وقتا يجلس فيه لسماع الشكايات وازالة الظلامات وأوقاته مرتبه على حسب المقتضيات لا يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحة على اختلاف المرادات وقد كان ألقى الى السيد العلامة الحسن بن خالد في البلاد العريشية وجميع ممالكه الزمام قائما مقامه في النقض والابرام فلم يزل منفذا فيها الاحكام ومقررا أحوال المملكة في الاقدام والاحجام ، ولما كان أكثر الناس عوام وفيهم غفلة عن تعلم ما يجب من التكاليف الشرعية نصب لهذا الشأن الشريف العلامة الحسن بن بشير بن امبارك وألف له رسالة مشتملة على معرفة التوحيد الذى هو حقيقة ما بعث الله به الرسل صلوات الله عليهم من افراد الله تعالى بالربوبية وترك الاعتقاد بالضر والنفع في سوى خالقهم ، ومعرفة معنى لا اله الا الله التى هى كلمة الاسلام وعليها يدور قطب رحى الايمان ، ومعرفة ما يتعين على كل مكلف من الصلاة والصيام والزكاة والحج وبيان ما يجوز وما لا يجوز من العبادات ، فقام الشريف المذكور بهذا الأمر المهم ، وكان في صحبته جماعة من أهل العلم يعلمون الجاهل ويرشدون السائل ويوقظون الغافل ومشى المذكور على جميع ممالك الشريف حمود ونشر فيها لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعمرت في القرى المساجد وحافظ الناس على الجمعة والجماعة في كل مكان من جميع هذه الجهات وأنس الناس بمعرفة معالم الدين وظهرت من معالم الدين الخافي من العلامات وأقيمت

الحدود الشرعية وازيلت الأعراف المخالفة للشريعة المحمدية وكان التذكير لعامة الناس في كل أسبوع وناهيك أن تلك الأيام في وجه الدهر غرر وحجول صار بها ربع الاسلام مأهولا ، وقد استفاد الشريف وأعوانه بذلك الأجر والاحدوثة الحسنة على ممر الدهر ولله القائل :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

رحم الله أولئك الملأ الكرام وأسكنهم دار السلام ، وهذا آخر ما كان به تمام تاريخ شيخنا الامام العلامة القاضى (الامام ؟) عبد الرحمن بن أحمد البهكلى رحمه الله تعالى المسمى بنفح العود بقلم الفقير الى الله تعالى حسن بن أحمد بن عبد الله غفر الله لهم بتاريخ شهر جمادى الأول سنة ١٣٨٥ هـ [1] .

---

(١) قوبلت على نسختين سقيمتين كما قوبلت على النسخة المنقولة عن نسخة الاستاذ الشيخ حمد الجاسر.

فهرست أهم الأسماء

فهرست الأماكن والبلدان

فهرست بأسماء القبائل

مصادر التعليقات

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	عنوان المجد في تاريخ نجد	ابن بشر
٢	محاضرات أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عدد من المحاضرين منهم العقيلى
٣	تاريخ عدن	حمزة على ابراهيم لقمان
٤	اليمن عبر التاريخ	أحمد حسين شرف الدين
٥	عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر	فاروق أباظة
٦	اكتشاف جزيرة العرب	جاكلين بيرين
٧	التيارات السياسية المعاصرة	عبد الرحمن البطريق
٨	عصر محمد على	عبد الرحمن الرافعى
٩	تاريخ مكة	أحمد السباعى (الطبعة الأولى)
١٠	بناء دولة محمد على	شكرى ، محمد فؤاد وآخرون
١١	هذه هى اليمن	عبدالله الثور
١٢	مجدد القرن العشرين	د . محمد جميل غازى
١٣	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عبدالله بن عثيمين
١٤	تاريخ العرب	فيليب حِتِّي
١٥	دليل الخليج (قسم التاريخ)	ترجمة ديوان حاكم قطر
١٦	تاريخ البلاد السعودية	الدكتور منير العجلانى
١٧	السياسة الدولية في الشرق العربى	خولى ، أميل وعادل إسماعيل
١٨	روضة الأفكار	ابن غنام
١٩	نجد الحديث	أمين الريحانى

مصادر التعليقات

عدد	اسم الكتـــاب	اسم المؤلـف
٢٠	المخلاف السليماني	محمد بن أحمد العقيلي
٢١	محاضرات في الجامعات والمؤتمرات	محمد بن أحمد العقيلي
٢٢	الأدب الشعبي (الجزء الثاني)	محمد بن أحمد العقيلي
٢٣	المعجم الجغرافي لمنطقة جازان	محمد بن أحمد العقيلي
٢٤	التصوف في تهامة	محمد بن أحمد العقيلي
٢٥	قراءة جديدة لسياسة محمد على	د . سليمان بن محمد الغنام
٢٦	نصوص ووثائق في التاريخ الحديث	شكرى ، محمد فؤاد وآخرون
٢٧	ملوك العرب	أمين الريحاني
٢٨	الأغاني (الجزء الثالث عشر)	أبو الفرج الأصفهاني
٢٩	غاية الأماني في أخبار القطر اليماني	يحيي بن الحسين بن القاسم بن محمد
	مجلة الدارة	دارة الملك عبد العزيز

المخطوطات

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	العقد المفصل بالعجائب والغرائب	على عبد الرحمن البهكلى
٢	نزهة الظريف في أخبار دولة أبناء الشريف	على عبد الرحمن البهكلى
٣	العقيق اليمانى	عبدالله بن على النعمان
٤	الديباج الخسروانى	حسن بن أحمد عاكش
٥	عسير في أطوار التاريخ	محمد بن أحمد العقيلى } رسالة معدة للطبع
٦	نجَران في أطوار التاريخ	محمد بن أحمد العقيلى } رسالة معدة للطبع
٧	اللطائف السنية	محمد بن اسماعيل الكبسى

فهرست المحتويات